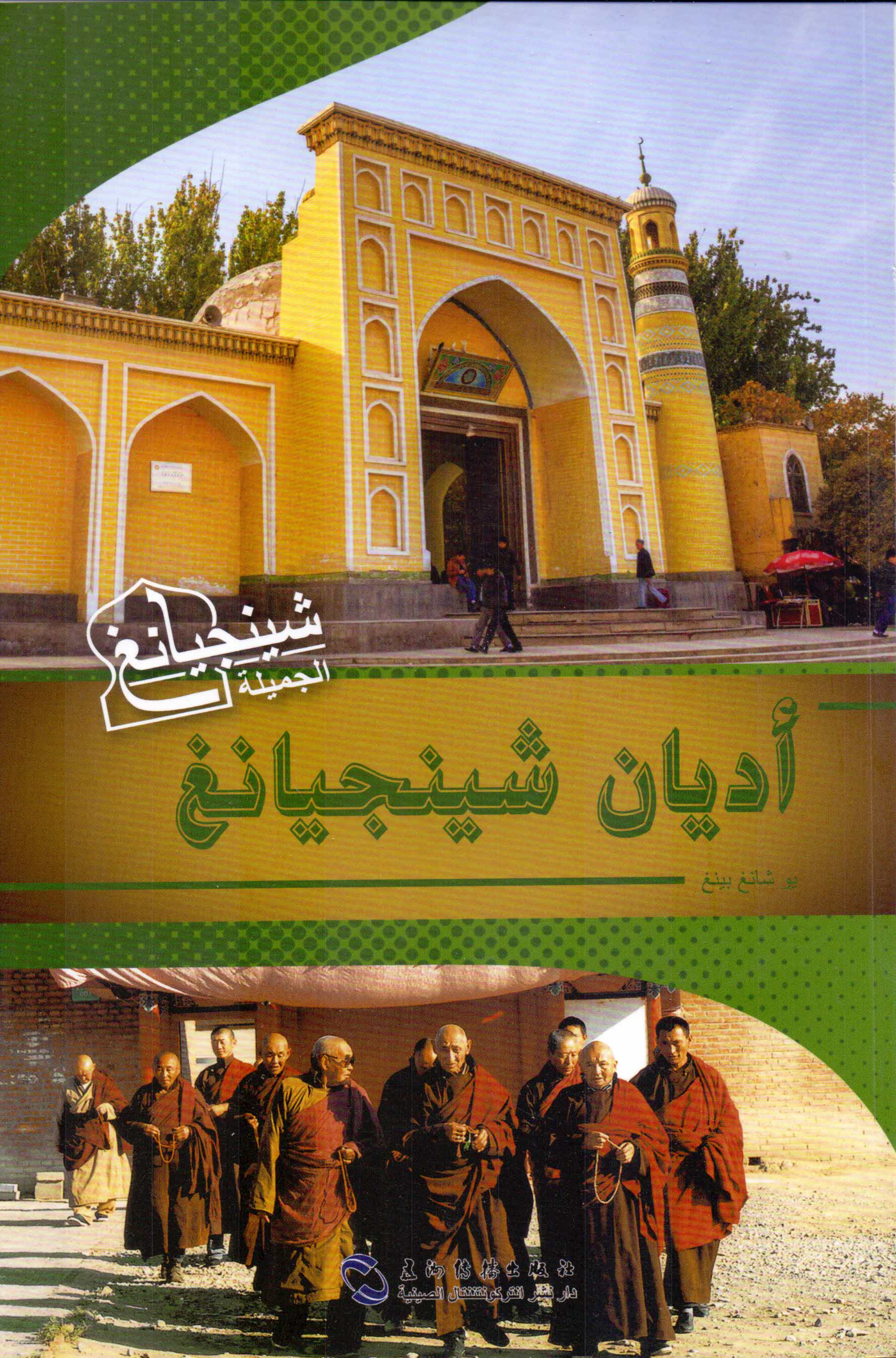

شينجيانغ
الجميلة
أديان شينجيانغ
يو شانغ بينغ
五洲传播出版社
دار نشر انتركونتيننتال الصينية

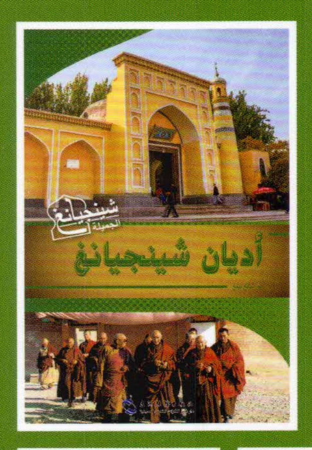
سلسلة ((شينجيانغ الجميلة))

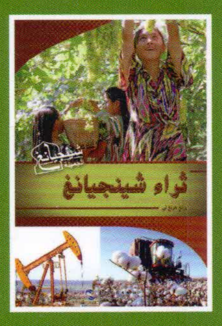
تتميز شينجيانغ بالآثار التاريخية التي لا تعد ولا تحصى، وقصصا تاريخية مفعمة بملامح أسطورية، كما تتمتع شينجيانغ بثقافة ومشاعر قومية رائعة عبقة ومعتقدات دينية متنوعة؛ وتقع شينجيانغ في المنطقة الداخلية للقارة الأور آسيوية، وتتمتع بأجواء طبيعية فريدة وتضاريس متنوعة ومشاهد خلابة؛ ففيها الأراضي الخصبة والمحاصيل الغنية، وفيها الثروات المعدنية الوفيرة، كما أن قطعان الماشية والأغنام والحبوب تملأ جنبات تلك البقعة المتفردة، إضافة إلى أن جوها يعبق بروائح الفواكه الموسمية، شينجيانغ... يا لها من جنة تعبق بالسحر والخيال!

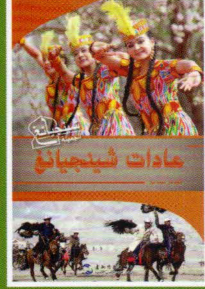
تحتوي سلسلة ((شينجيانغ الجميلة)) التي بين يديك عزيزي القارئ على عشرة كتب، يتناول كل كتاب منها جانبا من جوانب شينجيانغ المختلفة وهي: التاريخ، الجغرافية، الفنون، العادات، الأديان، الآثار، الثراء، الأطعمة، الاقتصاد، العلاقات الدولية، لترسم لك هذه السلسلة لوحة متنوعة مفعمة بالحيوية عن شينجيانغ، تعرض لك فيها شينجيانغ الحديثة التي تدمج بين خصائص القوميات الصينية الفريدة والمعايير الدولية الحديثة.

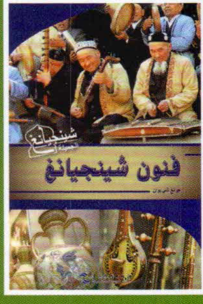
وهذه السلسلة عن شينجيانغ هي الأولى من نوعها باللغة العربية في العالم، وتهدف لتعريف القارئ العربي بشكل مباشر على كل ما يتعلق بشينجيانغ، وكل كتاب من كتب هذه السلسلة قام بتحريره متخصص شهير في مجال الكتاب بالصين، وأغلب كتاب هذه السلسلة عاشوا في شينجيانغ لفترات طويلة وعملوا بها في مجالات مختلفة، لذلك فهي سلسلة ذات مصداقية تتسم بأسلوب السرد البسيط الواضح الموضح بالصور لتكون معينا للقارئ العربي ليغوص في أعماق عالم جديد من السحر والجمال عالم لم يكتشف من قبل بهذه الدقة عالم يسمى ((شينجيانغ الجميلة)).

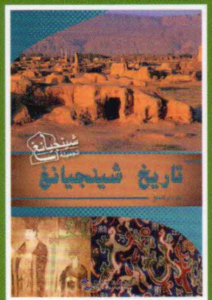
سلسلة ((شينجيانغ الجميلة))

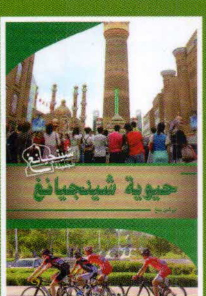




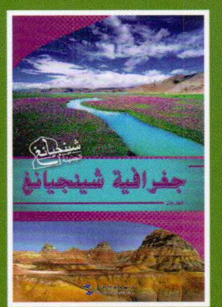


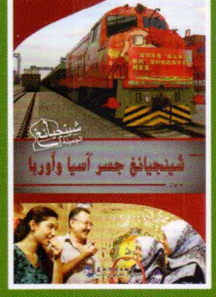


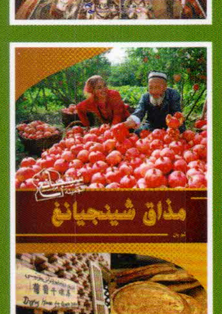




آثار شينجيانغ










ISBN 978-7-5085-3191-5

السعر المحدد: 138 يوان



أديان شينجيانغ

يو شانغ بينغ

五洲传播出版社
دار نشر انتركونتننتال الصينية

图书在版编目（C I P）数据

多元新疆 : 阿拉伯文 / 于尚平编著 ; (埃及) 鲁特菲译. —北京 : 五洲传播出版社, 2015.6
（魅力新疆）
ISBN 978-7-5085-3191-5

Ⅰ. ①多… Ⅱ. ①于… ②鲁… Ⅲ. ①宗教－介绍－新疆－阿拉伯语 Ⅳ. ①B929.2

中国版本图书馆CIP数据核字(2015)第138160号

多元新疆（阿拉伯文）

编　　著：于尚平
翻　　译：（埃及）艾哈迈德·鲁特菲（أحمد لطفي）
校　　对：（埃及）艾哈迈德·赛义德（أحمد السعيد）
图片提供：新疆维吾尔自治区新闻办公室 于尚平 CFP
责任编辑：张彩芸
封面设计：丰饶文化传播有限责任公司
内文设计：北京优品地带文化发展有限公司
出版发行：五洲传播出版社
社　　址：北京市北三环中路31号生产力大楼B座7层
电　　话：0086-10-82007837（发行部）
邮　　编：100088
网　　址：http://www.cicc.org.cn　http://www.thatsbooks.com
印　　刷：北京华联印刷有限公司
字　　数：80千字
图　　数：100幅
开　　本：710毫米×1000毫米 1/16
印　　张：11.5
印　　数：1—1300
版　　次：2015年6月第1版第1次印刷
定　　价：138.00元
（如有印刷、装订错误，请寄本社发行部调换）

مقدمة النشر

تقع منطقة شينجيانغ الويغورية ذاتية الحكم - ستذكر اختصارًا فيما بعد "شينجيانغ" - على حدود شمال غرب الصين، وتبلغ مساحتها 1 مليون و664 ألف و900 كيلو متر مربع، وهو ما يمثل سدس مساحة التراب الوطني الصيني، ويبلغ شريطها الحدودي أكثر من 5600 كم، حيث تشارك ثماني دول في حدودها، وهى منغوليا وروسيا وقازاقستان وقرغيزستان وطاجيكستان وأفغانستان وباكستان والهند، وهى أحد أهم معابر طريق الحرير القديم.

تتمتع شينجيانغ بخلفية حضارية ترجع إلى آلاف السنين، وهى منطقة تعج بقوميات وأديان متعددة منذ قديم الزمان. وقد أصبحت منذ عهد أسرة هان الغربية - بداية من عام 206 قبل الميلاد إلى عام 25 ميلادية - جزءًا مهمًّا لا يتجزأ عن الدولة الصينية الموحدة ذات القوميات المتعددة.

إن شينجيانغ واحدة من خمس مناطق أقليات متمتعة بالحكم الذاتي، حيث تحتضن بين جنباتها 55 قومية، وتضم - بشكل أساسي - قوميات الويغور والهان والقازاق والهوى والقرغيز والمنغول والطاجيك والشيبو والمانشو والأوزبك والروس والتاهور والتتار. وقد بلغ إجمالي سكان شينجيانغ نحو 22 مليونًا و643 ألف نسمة بنهاية سنة 2013م، وهو ما يمثل حوالى 61 في المئة من الأقليات.

تتميز شينجيانغ بآثار تاريخية لا تعد ولا تحصى وقصص تاريخية مفعمة بملامح أسطورية، وتتسم بثقافة قومية رائعة ومشاعر قومية عبقة ومعتقدات دينية متنوعة؛ حيث تقع في المنطقة الداخلية من القارة الأور آسيوية، حيث تتمتع بظروف طبيعية فريدة وتضاريس متنوعة ومشاهد رائعة خلابة؛ فهنا المحاصيل الغنية الخصبة، والموارد المعدنية الوفيرة، وقطعان الماشية والأغنام والحبوب تملأ جنبات تلك البقعة المتفردة، ويعبق الجو روائح الفواكه الموسمية... شينجيانغ، يا لها من جنة تنضح بالسحر والخيال!

قمنا بتأليف وإصدار سلسلة كتب "شينجيانغ الجميلة"، حتى يدرك جمهور القراء في الداخل والخارج شينجيانغ بصورة واقعية وحيوية ومتفتحة. وتضم سلسلة الكتب 10 مجلدات، وتهدف إلى التعريف بملامح شينجيانغ الأساسية من خلال 10 جوانب، آملين أن تصحبك هذا السلسلة في جولة إلى "شينجيانغ الجميلة".

يونيو 2015



الفهرس

أديان
شينجيانغ



المعتقدات الدينية العجيبة القديمة

لقد كانت الأديان البدائية (ديانات ما قبل التاريخ)، قبل دخول الأديان الوافدة على شينجيانغ، هي الأديان التي ظلت شائعة ومنتشرة ردحًا طويلاً من الزمن. ونظرًا لأن الإنسان البدائي الذي عاش في شينجيانغ لم يكن يقوى على مواجهة قوى الطبيعة، فضلاً عن أن التقلبات المستمرة للطبيعة وكذلك بعض الظواهر الفسيولوجية والنفسية للإنسان نفسه كان يحيط بها الكثير من الغموض، لذا فقد نجم عن هذه الأمور سلسلة من الأوهام والخزعبلات. ولكي ينعم الإنسان بما في الطبيعة من خيرات، لذا فقد بدأ في عبادتها محاولاً، حيث توهم أنها هي التي تجلب له هذا الخير، إرضائها بشتى السبل، ومن ثم أطلقنا على هذا النوع من المعتقدات اسم "الأديان البدائية" (ديانات ما قبل التاريخ).

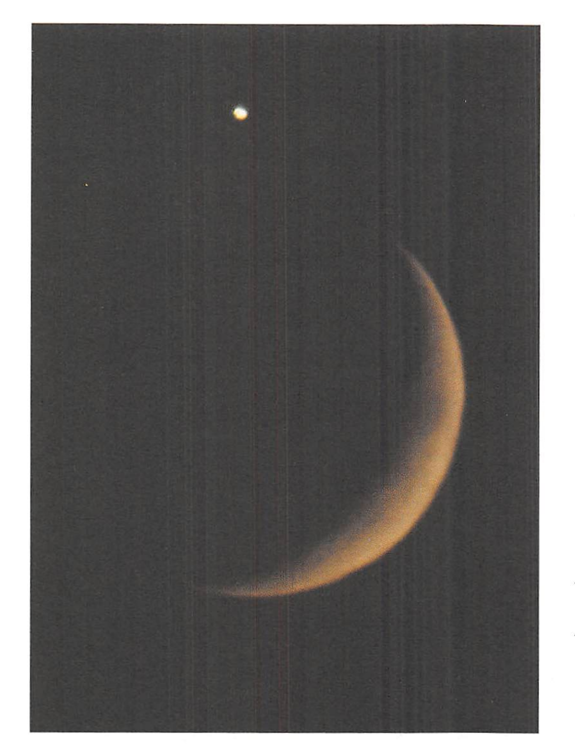
الأديـان البدائية الحافلة بالمظاهر الغريبة والعجيبة في منطقة شينجيانغ

عبادة الطبيعة

تُعد عبادة الطبيعة إحدى الظواهر الدينية البدائية التي انتشرت بين الأسلاف في شينجيانغ؛ حيث ارتبطت المعبودات الدينية الأولية ارتباطًا وثيقًا بالبيئة الحياتية للجنس البشري، على سبيل المثال: السماء والأرض والماء والنار وغيرها. وبهذا نرى أن المعبودات الدينية قد اختلفت باختلاف البيئة الجغرافية التي اعتمد عليها الإنسان البدائي للبقاء على قيد الحياة. وبالرغم من مرور فترة زمنية طويلة على عبادة الناس للطبيعة، إلا أن الناس في جميع أنحاء شينجيانغ لا يزالون يحتفظون بالكثير من العادات الموروثة عن أجدادهم فيما يخص عبادة الطبيعة.

عبادة "تنكري"

فيما يتعلق بعالم عبادة الطبيعة، نجد أن عبادة السماء بما فيها من أجرام تحظى بمكانة خاصة عند قدماء المناطق الغربية، حيث كانوا يحملون مشاعر دفينة وغامضة تجاه العديد من الأجرام الكونية كالسماء والشمس والقمر والنجوم، ثم بدأوا تدريجيًا في التعرف على كل قوانين وأنظمة حركة النجوم؛ وذلك من أجل ترتيب أوضاع الصيد والرعي والأنشطة الزراعية، كما اعتقدوا أن تغير مواقع النجوم هو السبب فيما يصادفونه في حياتهم من حظ سعيد أو عاثر، ومن ثم ظهرت عبادة الأجرام السماوية كالنجوم. علاوة على ذلك، فإنه لا يزال هناك بعض الناس الذين يعتقدون حتى يومنا هذا أن هناك أحد النجوم التي ترمز إلى حياة شخص ما وإذا سقط هذا النجم فإن هذا الإنسان يموت على الفور. ولهذا نلحظ آثار حبهم وتقديرهم للنجوم في قصائدهم وأغانيهم الشعبية، وفي تشبيههم لكل من يحبونه بالنجوم تعبيرًا



"التقاء كوكب زهرة مع القمر" في سماء هامي بشينجيانغ

منهم على حبهم الشديد للموصوف، وفي اتخاذهم من أسماء النجوم أسماءً لبناتهم.

ومما يجب التنبيه عليه هو أن لفظة "تنكري" ترجع أصولها إلى اللغة التركية (لغة تتحدث بها إحدى القوميات في الصين القديمة في القرن الثالث قبل الميلاد) والتي تعني السماء. وقد عبدت قومية الشيونغنو (إحدى القوميات القديمة في الصين) السماء قديمًا، والدليل على ذلك هو أنه قد ذُكر في ثنايا "كتاب هان" أن قومية شيونغنو قد اتخذوا من "تنكري" إلهًا لهم، وأنشأوا من أجله المعابد، كما أُطلق اسم "تشينغ لي قوو توو" على زعماء قومية شيونغنو. وتعني كلمة "تشينغ تـوو" في اللغة الصينية "تنكري" التي تعني السماء، أما كلمة "قوو توو" فتعني "ابن"، وعلى هذا يكون معناهما "ابن السماء". كما كان يُطلق أيضًا على إمبراطور السهول الوسطى (الصين قديمًا) اسم "ابن السماء". فقد أطلق الإمبراطور مودو شانيو (أحد أباطرة أسرة شيونغنو) على نفسه لقب (إمبراطور شيونغنو الأعظم)، أما الإمبراطور لاو شانغ فأطلق على نفسه لقب "زعيم شيونغنو الذي أوجدته الأرض والسماء والشمس والقمر". كما أطلق أبناء قومية شيونغنو على أنفسهم لقب "مُدَللي السماء"، حيث يرون أنهم يحظون بحماية السماء. وفي القرن الثاني قبل الميلاد، نسب الزعيم مودو شانيو الفضل للسماء في سيطرته على جميع الممالك الغربية بالإضافة إلى أسرة يوي. وفي عهد الإمبراطور وو (الإمبراطور السابع في عهد أسرة هان)، وقع حاكم شيونغنو في فخ مايي، إلا أنه يمكن من الفرار بمساعدة أحد الضباط (الذي يدعى وي شي) في أسرة هان. وقد علق على تلك الحادثة قائلاً: "لولا مساعدة وي شي والسماء والملائكة لي، لما أصبح لي أثر منذ ذلك الحين"، ومن ثم أطلق على وي شي لقب "ملك السماء".

ووفقًا للسجلات التاريخية، نجد أن قومية شيونغنو كانت تعقد ثلاثة اجتماعات سنويًا، فبالإضافة

إلى الاجتماع الذي يُعقد في فصل الخريف من أجل تفقد زيادة التعداد السكاني ومعرفة الأحوال التي آلت إليها تربية الماشية، كان هناك اجتماعان آخران من أجل تقديم القرابين لآلهتهم. وقد كانت هذه القرابين المقدمة للآلهة توضع فوق منصة عالية. ووفقًا "لحكايات أغوز خان"، فقد كان أغوز خان يقيم مراسم خاصة لتقديم القرابين للآلهة، حيث كان يقوم ببناء عمود خشبي يبلغ طوله أربعون ذراعًا، وفوق قمة هذا العمود يقوم بتعليق دجاجة، أما في أسفله فيقوم بربط أحد الخرفان، وهذه كانت إحدى المراسم لتقديم القرابين للآلهة.

أما الأتراك فقد كانوا يقدسون آلهتهم بشكل كبير، حيث كانوا يعتقدون أن الإله "تنكري" هو الإله المسيطر على كل شيء، بما في ذلك: الإنسان، والأرض، والطعام، والمواشي، والسلطة، والنفوذ، والعمر، والحرب، فضلاً عن أنه بيده نجاح الإنسان وفشله، كما كانوا يعتقدون أيضًا أن زوجاتهم وأولادهم هم منح من الإله "تنكري" ... إلخ. وقد ورد ذكر "تنكري" كثيرًا في "حكايات أغوز خان"، فنقرأ على سبيل المثال: "الأرض منحة من الإله تنكري" و "ما يتم تنفيذه من التزامات وواجبات كلها لإرضاء الإله تنكري" و "لا عليك سوى التصديق بكل ما يوحي تنكري به إليك في منامك" ...إلخ. كما أن أغوز خان نفسه كان يعتقد أن زوجته الأولى هي منحة من الإله "تنكري"، حيث إنها نزلت من السماء مصحوبة بنور أزرق أثناء توجهه بالدعاء إليه. فقد كان أغوز خان في يوم من الأيام يصلي رافعًا رأسه إلى السماء، وفجأة سار المكان من حوله مظلمًا، وإذا بنور أزرق ينزل من السماء، وعندما ذهب أغوز لتفقد هذا النور الساطع، رأى فتاة جميلة تجلس وحيدة داخل هذا النور المتساقط من السماء، وتبدو في غاية الجمال، وفوق جبينها توجد شامة تتلألأ مثل النجم القطبي الساطع في السماء، حيث كانت تضحك السماء لضحكتها وتبكي لبكائها. وما أن رآها أغوز، حتى وقع في حبها ثم تزوجها وأنجب منها ثلاثة أبناء، وأطلق عليهم أسماء، شمس وقمر ونجم. وفي يوم آخر، ذهب أغوز في رحلة صيد، وأثناء صيده وقع بصره على إحدى الأشجار الضخمة، وبتفقده هذه الشجرة وجد فتاة فاتنة تجلس في حجر هذه الشجرة، وتبدو في غاية الجمال؛ حيث كانت عينيها أكثر زرقة من السماء، وشعرها مرسل كالمياه الجارية، وأسنانها كاللآلئ، ولشدة جمالها تزوجها أغوز وأنجب منها ثلاثة أبناء، أطلق على أحدهم اسم "سماء"، والآخر أطلق عليه اسم "جبل"، أما الثالث فسماه "بحر". وتُبرز تلك الملحمة العبادة الخالصة والإيمان الراسخ الذي كان يكنه أغوز خان للإله "تنكري". ومن شدة تقديسهم لتنكري، بدأ يُطلق هذا الاسم تدريجيًا على كل الآلهة التي تحظى عندهم بمكانة رفيعة. فيرى الترك أنه من الضروري استخدام كلمة واحدة يشار بها إلى الإله الأعظم عندهم، لذا فقد ظهر اسم "تنكري السماء"، وتعني عندهم بإله الكون. وحتى يومنا هذا، فإنه عندما تواجه الويغور المشاكل والصعاب، فإنهم ينظرون دائمًا إلى السماء، ويصرخون بصوت عالٍ

مرددين "يا تنكري احمينا". والجدير بالذكر أنه عند بداية موسم حصاد الربيع من كل عام يتجمع جميع ويغور قرية هامي كبارًا وصغارًا، رجالاً ونساءً، في مكان خارج القرية على رؤوس الأشجار، حيث يقومون بذبح الأضاحي لعدة أيام، وخلال تلك الأيام يطلبون من السماء أن تمنحهم الحصاد الوفير وأن تحميهم ودوابهم من الأمراض وأن تحميهم من الكوارث والمصائب.

ووفقًا للسجلات الصينية التاريخية، فإن قبيلة أشيد التابعة لقومية الترك تعبد السماء، أما قبيلة أشينا فتعبد الشمس، ثم حدث تزاوج وتصاهر بين القبلتين جعل قومية الترك تجمع في عبادتها بين السماء والشمس، حيث إن الشمس ترمز عندهم إلى ملامح الإله، بينما ترمز السماء إلى اسم الإله. ومن معتقداتهم أن الآلهة تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، بالإضافة إلى قدرتها على فعل كل شيء، كما أنها هي التي تحميهم من جميع الشرور. وعند تقديم القرابين للآلهة، لا بد وأن يقوموا بالسجود ناحية المشرق، حتى ينالوا البركة والخير. ولذا فإن منازل الترك ومقابرهم دائمًا ما تكون فوق المنحدرات العالية، حيث يقدمون القرابين لآلهتهم فوق المروج الواسعة، ولهذا فإنهم يحتاجون إلى بناء منصات عالية حتى يتمكنون من فعل ذلك.

علاوة على ذلك، فإن المنغوليين لهم طقوسهم الخاصة بعبادة السماء، حيث يُعتبر الإله "تنكري" هو المعبود الأهم والمفضل عندهم. ووفقًا للسجلات المنغولية التاريخية، فإن المنغوليين معروفون بحبهم وتقديسهم للسماء والأرض، بل ويتوجهون إلى السماء في كل أمورهم، حيث إنهم يعتقدون أن إله السماء هو الإله المفضل والأكثر تقديسًا من بين جميع الآلهة، كما أنه عندهم مجموعة من الآلهة لكل إله منهم مهمته ووظيفته، مثل: "ماني خان تنكري" الذي يدير شؤون الصيد، و"جياتشي تنكري" الذي يدير شؤون تربية المواشي، و"باتيرل تنكري" الذي يعطي الشجاعة والقوة للإنسان، و"بيسمان تنكري" الذي يتحكم في كل الأمور المتعلقة بالمال والثروة ...إلخ.

عبادة الشمس والقمر

تتمتع عبادة الشمس والقمر والنجوم بمكانة هامة عند الأسلاف القدماء في المناطق الغربية، ومما يدل على ذلك هو تلك النقوش الموجودة على الآثار القديمة لأهل هذه المناطق، حيث توجد الكثير من النقوش التي توضح عبادتهم للشمس، ويظهر ذلك داخل واحدة من مقابر المجتمع القبلي التي اكتُشفت في لوب نور (على حدود بمحافظة يولي بشينجيانغ حاليًا). ومن أهم الخصائص البارزة لهذه المقبرة هو إقامة سبع دوائر من الأوتاد الخشبية على سطح هذه المقبرة بصورة منتظمة، كما يوجد خارج دائرة الأوتاد الخشبية أخشاب ممددة تتخللها أشعة من كل اتجاه تتجه نحو فتحة المقبرة، وهي تشبه أشعة الشمس المشرقة التي تضيء كل أنحاء الأرض، وهذا بالتأكيد يعكس تقديس أهل لوب نور للشمس

آنذاك، كما يوجد الكثير من المقابر المشابهة لهذه المقبرة في شرق منطقة ألتاي، إلا أنه تم استخدام الأحجار السوداء في بناء هذه الدوائر، وبالنسبة إلى عدد الطوابق، فإنه يوجد طبقتان فقط (داخلية وخارجية). علاوة على ذلك، فقد تم اكتشاف أشياء من هذا القبيل على الرسوم الصخرية، ومن بين الأشياء المثيرة للاهتمام هي تلك الرسوم الصخرية الملونة التي تم اكتشافها داخل كهف تانبال بمحافظة فويون التابعة لمنطقة ألتاي، حيث يظهر في الجانب العلوي من الرسوم الصخرية دائرتان متمركزتان ترمزان إلى الشمس والقمر، وبجانب هذه الرسوم تم رسم السُحب، أما في أسفل هذه الرسوم فتم رسم رأس إنسان ذي شكل غريب، كما أن أبنية هذا الكهف تتجه ناحية الشرق، وبخلاف ذلك فقد تم اكتشاف رسومات لثمان دوائر متمركزة ذات أحجام مختلفة في مواقع مختلفة داخل هذا الكهف، هذا باستثناء الآثار الدينية الواضحة، وكل هذه الرسومات تدل على عبادة الأجداد القدماء للشمس.

وقد ذكر تانغ شوان تسانغ في "سجلات تانغ العظمى عن المناطق الغربية" أنه عندما مر بتاشقرغان أثناء عودته إلى بلاده من رحلة للحصول على الكتب البوذية، رأى سماحة ولطف ملك هذه البلاد، وكان هذا الملك يُطلق على نفسه لقب "ابن هان الشمسي[1]" وهذا يدل على نبالة أصله. وقد سمع تانغ شوان تسانغ في تاشقرغان إحدى القصص الممتعة للغاية، تحكي هذه القصة أنه منذ قديم الزمان كان هناك ملك يدعى بوليس، وكان هذا الملك يرغب في الزواج من الأميرة ابنة امبراطور السهول الوسطى، ووافق الإمبراطور على هذا الزواج، وذلك من أجل تحسين العلاقات الودية مع بلاد الفرس. وعندما أرسلت السهول الوسطى قوات لمرافقة العروس أثناء رحلتها إلى تاشقرغان، واجهتهم بعض العقبات الحربية أثناء سيرهم، ومن ثم لم يجدوا ملاذًا سوى المكوث في هذا المكان، وبعد ثلاثة أشهر، أصبح الطريق ملائمًا للسير، ومن ثم استعد الموكب للانطلاق، إلا أنه قد حدث أمر غير متوقع هذه المرة، ألا وهو حمْل الأميرة، ومن ثم تم التحقيق في هذا الأمر، فبدأ خادم الأميرة في سرد الحقيقة قائلاً: "لا داعي للقلق، فإن هذه هي إرادة الإله، حيث كان هناك فارس يخرج في منتصف كل يوم من قرص الشمس، ويتبادل الحديث مع الأميرة أثناء ركوبه الحصان". وخاف الوفد المرافق للأميرة من العودة بعد تلك الحادثة خشية تعرضهم للقتل، لذا فقد رأوا أنه من غير المناسب مواصلة السير، فاضطروا للبقاء في هذا المكان وقاموا ببناء القصور والحصون فوق سطح الجبل، واتخذوا من الأميرة ملكة عليهم. وبعد ذلك أنجبت الأميرة طفلاً وسيمًا، في الوقت ذاته يتمتع ببنية قوية ومهابة رائعة، وبعد أن اشتد عوده ورث الحكم من أمه وأطلق على ذريته لقب "أبناء هان الشمسي"، وذلك لأن أمه تنتمي إلى قومية هان، أما أبوه فكان إله الشمس.

---

① لقب أطلقه هذا الملك على نفسه ليوضح علاقة الدم التي تربطه بأسرة الهان.



في محافظة يولي بشينجيانغ، يقوم أهل لوب نور بمراسم "العبادة". يقوم أحد خلف أهل لوب نور بالتمتمة بكلمات للمباركة ويشعل النار ويلقي الحبوب ويصلي من أجل تحسن الطقس.

ولا يزال هناك إلى الآن أثر لقلعة قديمة في جنوب تاشقرغان يُطلق عليها اسم (كورغان القرغيز) والتي تعني قلعة الأميرة. وكل من يسمع هذه القصة لا يصدقها، وذلك لأن أحداثها لا يمكن أن يقبلها عقل.

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن قومية شيونغنو لا تقتصر في عبادتها على الشمس، لكنها تعبد أيضًا القمر والنجوم، حيث يعتقد هؤلاء الناس أن الشمس والقمر يرمزان إلى النور الذي يتصارع مع الظلام الذي هو رمز للشيطان. ومن معتقداتهم أيضًا هو أن السبب الرئيسي للكسوف والخسوف هو وقوع الشمس والقمر تحت حصار وقيود الشيطان، وللتغلب على هاتين الظاهرتين، فإنهم يقومون بدق الطبول صائحين بأعلى صوت من أجل تخويف الشياطين ومن ثم إغاثة الشمس والقمر. وفيما يتعلق بكيفية عبادة الشمس والقمر، فإن زعيم قومية شيونغنو يخرج من خيمته في الصباح الباكر لعبادة الشمس، وفي الليل يتوجه إلى القمر بالعبادة. وكان من معتقداتهم أيضًا هو أنهم عند خوض أي عمليات حربية، فإنهم يقومون بمراقبة القمر والنجوم، فإذا كان القمر مزدهرًا أكملوا حربهم، وإن كان غير ذلك تراجعت الجنود. وقد استمرت عبادتهم للشمس والقمر بالرغم من تغير معتقداتهم الدينية كثيرًا. ولا يزال الويغوريون إلى اليوم يحرمون بشدة البصق والتبول تجاه الشمس والقمر، لأن هذه التصرف ينم عن مهانة وازدراء للشمس والقمر، بل ويعدونها جريمة. وبحدوث كسوف الشمس، فإنهم يقومون على الفور بالقرع على أوعيتهم، أو يتصدقون ويعكفون على قراءة الكتب الدينية، حتى يزول هذا الكسوف وتعود الشمس إلى شكلها الطبيعي. ويحتل القمر مكانة عظيمة في قلوب الويغوريين القدماء، وعادة ما يحددون أنشطتهم وفقًا لتغيرات القمر، الأمر الذي جعلهم يقدسون القمر ويعكفون على عبادته. ووفقًا للسجلات التاريخية، فإن الويغوريين لهم طقوسهم الخاصة في عبادة القمر منذ قديم الزمان، ولتقديسهم الشديد للقمر كانوا يطلقون اسمه على أبنائهم وأماكنهم التي يعيشون فيها. ومن القوميات الأخرى التي تقدس القمر قومية القازاق، حيث تمارس طقوسًا خاصة في عبادتهم للقمر. فعندما يظهر الهلال الجديد تخر الإناث له سجدًا، أما الذكور فيقفون احترامًا له، ومن ثم يرفعون أيديهم للدعاء له، وطلب البركة منه، أما شيوخ القبيلة فيطلبون منه البركة في الأولاد. ومن معتقداتهم أيضًا هو أن ميل فتحة الهلال تنبئ بقرب وقوع كارثة.

لقد انتشرت عبادة الشمس بشدة عند قبائل التشيانغ وشعوب الساكا، حيث إن الشمس كانت تتمتع بمكانة كبيرة لا سيما عند شعوب الساكا من بين الآلهة المتعددة. ولهذا يقول المؤرخ اليوناني هيرودوت: "لقد كانت الشمس هي الإله الأعظم عند شعوب الساكا، وكانوا يقدمون لها القرابين، وأفضل ما كانوا يقدمونه من قرابين لها هي الخيول، حيث إن الخيول أسرع الحيوانات عندهم، ومن ثم فإنه هو الحيوان الوحيد الذي يتلاءم مع الشمس التي تعد الأسرع من بين الآلهة. كما كانت تتمتع الشمس



يقوم أهل لوب نور برقصة الأسد في مراسم العبادة. تعد مراسم "العبادة" نشاط هام لأهل لوب نور، حيث يتم من خلالها شكر إله الشمس وطلب السعادة والبركة والسلامة للإنسان والمواشي.

بقدسية كبيرة عند شعب الووسون، بل ويقيمون الشعائر والطقوس الخاصة بها، ومن ضمن هذه الشعائر: أنهم يقومون بذبح الخيول كل عام ويقدمونها قربانًا لها. كما كانوا يعتقدون أيضًا أن النار هي تجسيد للشمس على الأرض، ومن ثم يقدسونها بصفتها تجسيد للشمس، فعبادتهم لها كأنها عبادة للشمس".

وقد تم اكتشاف حفرتين كبيرتين بداخلهما مجموعة من الخيول التي تم تقديمها قربانًا للشمس في مقبرة شانبولو التابعة لمحافظة لوبو بمنطقة هيتيان، وكان الحصان ملقى على جنبه، متجهًا رأسه ناحية الشرق، وقد غطي جسده بجذور القصب وأغصان الأشجار، ووضع ريش أبيض فوق ناصيته. ووفقًا للسجلات التاريخية، فقد أشار أحد الكهنة على الإمبراطور قوانغ دي إمبراطور مملكة يو تيان بوجوب ذبح مبعوثي مملكة الهان للخيول وتقديمها كقرابين (هو هان. سيرة بان تشاو). وتُعد مملكة يووتيان المكان الذين كان يقوم فيه شعوب الساكا بأنشطتهم، حيث كان يعد تقديم الخيول كقرابين للشمس أحد التقاليد الدينية لشعوب الساكا، ومما يدل على ذلك هو وجود بعض آثار الحفر التي دفنت فيها الخيول التي قُدمت كقرابين للآلهة، ومما سبق يتضح أن شعوب الساكا كانوا يقيمون مراسم لذبح الخيول وتقديمها قرابين لمعبودهم وهي الشمس.

أما النجوم فقد كانت معبود الأجداد في المناطق الغربية، حيث كانوا يعتقدون أنها ترمز إلى حياة

الإنسان. وبما أنه يوجد الكثير من النجوم في السماء، فإنه بالمثل يوجد الكثير من البشر على سطح الأرض، وكلما سقط نجم من السماء، يموت في مقابله واحد من البشر. ومن شدة ربطهم حياة الإنسان بالنجوم في السماء، فإنهم يصفون الأشخاص الذين يحملون الكراهية والبغضاء لبعضهم بـ "النجوم المتناحرة". وتحظى مجموعة النجوم السبعة التابعة لمجرة الدب الأكبر وكذلك نجوم فينوس بتقديس خاص بخلاف النجوم لأخرى، حيث يرون أنها نجوم إلهية. فأما النجوم السبعة التابعة لمجرة الدب الأكبر فهم (الحراس السبعة)، حيث يقومون بحماية اثنين من الخيول السماوية. أو ربما يعتقدون أن النجوم السبعة المضيئة عبارة عن سبعة ذئاب سماوية أو سبعة كلاب سماوية، أما فينوس فيعتقدون أنه إله يرمز إلى الخير حيث يخرج في الليل يرشد الناس إلى الطريق الصحيح. وفي نفس الوقت يعتقدون أيضًا أن جميع النجوم قد خرجت من رحم القمر، لذا كلما ظهر نجم جديد، اعتقدوا أنه قد خرج من رحم القمر ومن ثم وصفوه بابن القمر.

تعود عبادة الشمس في الأصل إلى عبادة النور، حيث ذكر كتاب "مشاهدات حية بالمناطق الغربية" وكتاب "الظروف البيئية والمجتمعية لمنطقة شينجيانغ" بالتفصيل شعائر النايتماتسي[1] الخاصة بمسلمي نانجينغ بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، حيث إنهم يصعدون إلى منصة عالية للترحيب والتهليل للشمس عندما تشرق عليهم، ويفعلون مثل هذه الطقوس عند غروب الشمس، لا سيما طقوس الترحيب بالشمس ووداعها بمصاحبة الموسيقى في المساء. وقد ذُكر في كتاب ((مشاهدات حية بالمناطق الغربية)): "أن جميع مدن هوي كانت تقيم المنصات الخشبية العالية في شرق المدن. ومع نهاية الظهيرة ودخول وقت الرواح يصعدون على تلك المنصات الخشبية يودعون الشمس ويرحبون بالغروب. ويتوجه زعماء القبيلة ورجال الدين نحو الغرب لأداء الصلاة ويعكفون على قراءة الكتب المقدسة، وقد كانوا يقيمون صلاتهم خمس مرات يوميًا، مع تغير حركة الشمس كطلوعها وغروبها وهكذا". وكل ما ذكر سلفا يعبر عن طقوس وعادات الويغوريين أثناء عبادتهم للشمس.

عبادة العواصف والأمطار والرعد والبرق

تعتبر العواصف والأمطار والرعد والبرق مجموعة من الظواهر الطبيعية الغامضة التي لا يعرف حقيقتها إلا الإله، وكان القدماء يعتقدون أن الرعد هو صوت عظيم يدل على غضب الآلهة، أما الأجداد الذين عاشوا في المناطق الغربية فقد كانوا لا يفهمون هذا الصوت، بل ويخافون منه خوفًا شديدًا، وفي نفس الوقت كانوا يخلصون العبادة له. وكانوا كلما يسمعون صوت الرعد يظنون أن هذا فأل حسن يدل

---

[1] تشير إلى الشعائر التي كان يقيمها المجتمع الإسلامي في شينجيانغ لزيادة الوعي الديني لديهم.

على أن الآلهة ستغدق عليهم من خيراتها، لذا كان الشيوخ والنساء تارة يطوفون حول منازلهم، وتارة يمسكون بالملاعق التي يستخدمونها في كل ما يتعلق بالألبان ويطرقون بها على بيوتهم، ويتوجهون إلى السماء بالصلاة والدعاء. وكان الرجال يخلعون قبعاتهم عندما تتساقط عليهم الأمطار الأولى في فصل الربيع، وذلك من أجل أن يتساقط المطر على رؤوسهم المكشوفة، ومن ثم يدعون الآلهة ليستمر سقوط المطر، حتى تخرج الأرض نباتها. وقد نصت بعض الكتب التاريخية على أن أهل قاوتشه كانوا يصرخون ويرمون السهام إلى السماء وينتقلون إلى مكان آخر للإقامة عندما يسمعون صوت الصواعق، وفي فصل الخريف من العام التالي يعودون مرة ثانية إلى تلك الأماكن التي حدثت فيها الصواعق، ثم يقومون بدفن الأغنام كقرابين للآلهة ويشعلون النيران، ثم يستلون سيوفهم، وتقوم إحدى النساء الشمانيات بقراءة بعض التعويذات، ثم يشكلون دائرة ويدورون حولها. والجدير بالذكر أن عادة (الصياح ورمي السماء بالسهام) تنم في الحقيقة عن تقديسهم للآلهة وتقديم القرابين إليها.

ولا تزال عبادة الرعد والبرق مستمرة حتى يومنا هذا، حيث إن هناك بعض القبائل الويغورية والقازاقية وغيرها من القوميات ترى أن الصواعق هي العقاب الأشد من قبل الآلهة، وبالتالي يخافون من اقتلاع الأشجار، إلا أن عيد الربيع عند قومية الترك يرمز إلى أول رعد حدث في فصل الربيع. وهناك عادة غريبة تعتقد بها قومية تاهور، وهي أنهم اتخذوا من النساء اللاتي توفين لأسباب غير طبيعية آلهة. ويرى الشعب المنغولي القديم أن الرعد هو صوت الإله، ولا يمكن للجيوش أن تخرج في أي عملية حربية عند سماع صوت الرعد، بل يقومون على الفور بذبح الخرفان وتقديمها كقرابين للسماء عندما يسمعون صوت أول رعد من كل عام، كما كانوا يقدمون الخيول الحية قربانًا للإله "الرعد".

ويُطلق على العواصف التي يتخذونها آلهة اسم "جي اريبا" في اللغة القازاقية، وهي واحدة من الأرواح التي ترسل آلهة السماء. ومع ذلك، فقد كانت القوميات البدوية ترى أن هذه العواصف ما هي إلا آلهة شريرة، وذلك لأن العواصف الثلجية كانت تُسبب خسائر ضخمة للبشر والدواب التي تعيش بالمروج والسُهُوب، وكانت تهدم منازل البدو، ولذا كلما هبت عاصفة، اعتقدوا أنها مرسلة من قبل الآلهة، ومن ثم كانوا يرتعدون من شدة الخوف.

عبادة الجبال والماء

تُعد آلهة الجبال وآلهة المياه أحد آلهة الطبيعة التي كان يقدسها الأجداد في المناطق الغربية، حيث كانت الجماهير ترى الكثير من القمم والمرتفعات والأنهار بشينجيانغ، بالإضافة إلى سلسلة جبال تيانشان وجبال ألتاي وكأنها الإله "تنكري"، لذا كان من الضروري عليهم تقديسها وعبادتها. ويعتقد الإنسان البدائي الذي عاش في المناطق الغربية أن الآلهة تسكن في الجبال الشاهقة، ولذا تتمتع الجبال

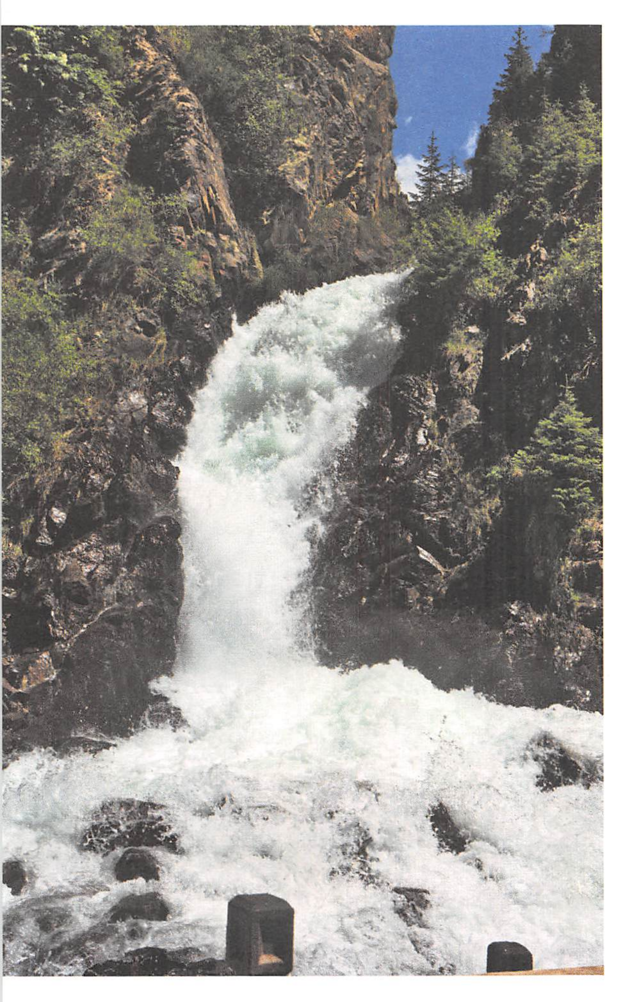


مزيج من صدى الرعد وطعنات البرق التي تخترق سماء مدينة أكسو، ليضفي على ليلة شينجيانغ مزيج من السحر.

بعظمة وقدسية كبيرة. وتهيمن آلهة الجبال على جميع الجبال، لذا لا يمكن لأحد من البشر الصعود على سفح الجبال للصيد إلا بعد أن يتضرع لآلهة الجبال ويطلب منها السلامة والبركة في الحصاد. أما قومية شيونغنو فيعتقد أهلها أن جبال هانغ جبال مقدسة يذبحون عندها المواشي ويقدمونها كقرابين للإله "تنكري"، والجدير بالذكر أن قومية الترك كانوا يقدسون جبل يودوجين، وكان يرمز عندهم إلى سلطة أسرة الهان.

أما فيما يتعلق بعبادة المياه، فلأن المياه تعتبر شريانًا هامًا من شرايين الحياة، وبدونها لا يستطيع الإنسان الحياة، لذا عاش الأتراك والويغور منذ قديم الزمان على ضفاف الأنهار. ووفقًا للسجلات التاريخية، فقد كانت تقع بالقرب من مساكن الجيل التاسع من الأغوز والجيل العاشر من الويغور الأنهار التسعة والأنهار العشرة. ومن هنا يتبين لنا أن السر في إطلاق اسم الجيل التاسع والجيل العاشر على تلك القوميات ربما يعود إلى تلك الأنهار التي كانت بالقرب من مساكنهم. فقد كان الأتراك يطلقون اسم "وولوكسو" على الأنهار الكبرى، وهذا الاسم يعني عندهم "الماء العظيم"، ويعتقدون أنه لا بد من تقديس هذه الأنهار التي تتدفق منها المياه بسرعة عالية، لأنها تعتبر قوة عظيمة وخارقة تفوق قوى الطبيعة. أما مياه المنابع، وبخاصة المنابع الحارة، فقد كانت المعبودات الخاصة للمناطق الغربية، حيث

يرون أن تلك المنابع تُعد واحدة من الآلهة، لأن الآلهة تسكن هذه المياه، ويمكنها علاج العديد من الأمراض. وترتبط تلك الينابيع المائية بعملية التناسل والتكاثر، فهي كفرج المرأة، حيث يُطلق عليها الينابيع المقدسة. كما أن هناك العديد من أبناء الويغور والقازاق الذين يعتقدون اعتقادًا جازمًا بأن هذه الينابيع هي التي تهبهم الأطفال، ومن ثم يصطحبون نموذجًا من عربة الأطفال أو يصطحب الزوج زوجته ويقومان بحفر الينابيع، ومن ثم يتضرعان إليها من أجل أن ترزقهم الأولاد. وينتشر هذا النوع من الينابيع في شتى أنحاء شينجيانغ، ومن أشهر الينابيع هناك ينبوع بلدية تيكسي الذاتية الحكم التابعة لقومية القازاق وينبوع بلدية تشينغخه بمنطقة ألتاي، كما توجد بعض الينابيع في بلدة ووباو بمنطقة هامي ومنطقة خهتيان لمعروفة باسم "تشياكا تشي"، وتعتبر جميع هذه الينابيع مقدسة، حيث يذهب أهل هذه المناطق إليها لطلب إنجاب الأولاد. ولذلك نرى كثيرًا الآن بعض كبار السن على ضفاف هذه الأنهار وهم يؤدون طقوسهم الدينية من صلاة ودعاء. وتقدس قومية الويغور والقازاق وغيرهما من القوميات المياه أيما تقديس، حيث يرونها منبع الطهارة، ومن ثم لا يمكن تلويثها، كما أن هناك الكثير من التصرفات المحرمة التي يُمنع أهل هذه المناطق من ارتكابها، منها: تحريم استخدام الأوعية الملوثة في ملئ المياه، والمنع بشدة ترك القاذورات في المياه بعد غسل الوجه والكفين، بالإضافة إلى منع تجفيف اليدين بعد غسلهما. ومما لا شك فيه أن كل هذه التصرفات تعبر عن تقديسهم الشديد للمياه باعتبارها مصدرًا



"شيوانتشوان ياوهونغ". يقع شلال وادي بايلونغ بين بحيرة تيانتشى الصغيرة الشرقية وسد تيانتشى، يتساقط الماء في هذا الشلال من أعلى السد، حيث الجبال الجميلة الخضراء والبيئة الهادئة، كما يطلق عليه أيضاً "شيوانتشوان فيباو".

من مصادر الحياة. ومن معتقداتهم أيضًا أن تلك المياه الجارية هي مياه حية يمكن الانتفاع بها في الشرب، أما تلك المياه غير الجارية فهي مياه ميتة لا يمكن الانتفاع بها ولا تصلح للشرب.

كما تعتقد شعوب الساكا أيضًا أن المياه هي الخالق لجميع الآلهة، ولذا فإن هناك علاقة وثيقة بين الآلهة والمياه، وهذا بالطبع يدل على أن الناس الذين يعيشون في الصحراء يرغبون في الحصول على ينابيع المياه النقية والغزيرة، ومن ثم كان قدماء الساكا يقدمون القرابين للمياه بصفة مستمرة، وكانت القرابين التي تُقدم للمياه عبارة عن حليب الأبقار ونوعين من النباتات، وذلك لأن المياه هي مصدر رئيسي للحياة بالنسبة للحيوانات والنباتات. والجدير بالذكر أن كبير الأسرة هو من يختار النبع أو الجدول أو البئر القريب من مقر سكنه، حيث يقوم تارة بتلاوة الدعاء والصلاة، وتارة يلقي القرابين في المياه. ويتولى أحد الكهنة الإشراف على الطقوس الخاصة بتقديم القرابين للمياه خلال الأعياد والاحتفالات الضخمة.

يعتقد القرغيزيون أنه لولا وجود الجبال والمياه لما وجدت الحياة، ولولا الجبال والمياه لما وُجد القرغيزيون الذين يعتمدون عليهما اعتمادًا كليًا في جميع مناحي حياتهم، ومن شدة تقديسهم للجبال والمياه فإنهم يعتبرونهم بمثابة الأب والأم لهم، حيث إنهم يعتبرون أن الجبال بمثابة الأب لهم وأن المياه بمثابة الأم لهم، وهذه هي إحدى الأمثال الشهيرة التي يعرفها جميع القرغيزيين. والجدير بالذكر أن عبادة المياه والجبال تظهر في جميع مناحي حياتهم الاجتماعية، حيث إنهم قبل الذهاب إلى الحروب يذهبون إلى الجبال ويقدمون لها القرابين طالبين منها أن تحفظهم وتمنحهم نفس قوة الجبال.

عبادة النار

تعتبر عبادة النار إحدى العبادات الشائعة لدى الأجداد الذين يقطنون المناطق الغربية. وقد قدس الترك القدماء النار، حيث يعتقدون أنها تحميهم من الكوارث، وتحمي كل من في القبيلة من الشرور، إنسانًا كان أو حيوانًا. وقد ذكر في أحد الكتب التي تتحدث عن قومية الترك: "كان إيتشي نيشي (أحد الأجداد الأوائل في قومية الترك) لديه من الأبناء أربعة، وكانت قبيلة الابن الأكبر تعيش في الجبال، ومن ثم كانوا يستغلون النار في مكافحة البرودة الشديدة". كما أن أهل قومية الترك كانوا لا يعتمدون على النار للقضاء على البرد القارص فحسب، بل كانوا يستغلونها أيضًا في التخلص من الشياطين. وقد ذكر المؤرخ البيزنطي ديوفلات في كتابه ((التاريخ)) أن: "الأتراك كانوا يعبدون النار، ويقدسون الهواء والمياه، ويمتدحون دومًا الأرض والمياه، إلا أنهم كانوا يتخذون إلهًا واحدًا لهم، ويقومون بذبح الخيول والبقر والأغنام ويقدمونها قرابين لهذا الإله، وفي نفس الوقت يوجد لديهم بعض الكهنة يتنبؤون بما سيحدث في المستقبل". علاوة على ذلك، فقد كانت النار في معتقداتهم هي الإله الذي يتولى حمايتهم ويحمي أسرهم.

وبالنسبة إلى أهل ووسون وأهل كانغجي، فإنهم يعتقدون أن النار هي تجسيد للشمس على الأرض، حيث تتمتع بقوة سحرية وعجيبة.

كما تعد القرابين التي تُقدم إلى النار واحدة من الأحداث الدينية في الحياة البدوية لشعوب الساكا، حيث كانوا يقدمون تلك القرابين إلى الأفران المنزلية ثلاث مرات يوميًا، في الصباح والظهيرة والمساء، وكانت القرابين التي يقدمونها إلى النار عبارة عن ثلاثة أشياء: الحطب النظيف والتوابل، بالإضافة إلى قطعة صغيرة من الدهون.

وفيما يتعلق بعبادة النار، فإننا نجد أنها تعكس رغبة الإنسان البدائي الذي يعيش في المناطق الغربية في العيش حياة مشرقة ودافئة، وفي الوقت ذاته حياة بلا ظلام ولا برودة، وذلك في ظل الظروف البيئية الطبيعية القاسية التي يعيشون فيها، حيث يعتقدون أنها آلهة تمتلك قوة خارقة تمكنها من التخلص من جميع الشياطين والروائح الكريهة، وفي نفس الوقت تضمن السلامة للإنسان والحيوان من المخاطر التي تحيط بهم، سواء من الحيوانات المفترسة أو الأوبئة، ومن ثم تعطي الإنسان والحيوان أملاً في البقاء والتكاثر، ولذلك يبذل الإنسان كل ما في جهده لحماية النار المشتعلة حتى تستمر في الاشتعال دون توقف، ولهذا تحتل عبادة النار مكانة خاصة عند قدماء المنطقة الغربية.

عبادة الأرض

لقد عُثر على ما يسمى بـ "تنكري الأرض والماء" على بعض النقوش الويغورية والتركية القديمة. ولا يزال الويغوريون يمارسون بعض الطقوس والعادات القديمة أثناء عبادتهم للأرض حتى يومنا هذا. ومن معتقداتهم أن كل مكان له إله يتكفل بإدارة شؤونه؛ على سبيل المثال، نجد الويغوريين الذين يفتتحون مطعمًا أو يفترشون البضائع على الأرض يمارسون بعض العادات التي تعبر عن تقديرهم لإله الأرض. ومن هذه العادات أنهم يجعلون أول زبون يدخل عليهم يلقي النقود التي اشترى بها البضائع على الأرض، ثم يلتقطونها مرة أخرى. كما أنهم يعدون ترك الأطعمة على الأرض من الجرائم. وفي حالة سقوط أحدهم فجأة على الأرض أثناء السير، فإنه بعد نهوضه يقوم بالبصق على الأرض كنوع من العقاب.

ويقدس المنغوليون إله الأرض تقديسًا كبيرًا، حيث يتضرعون إليه في جميع مناحي حياتهم بالدعاء وطلب البركة، مثل: "تضرعهم إلى الأرض في موسم الحصاد الزراعي والأمور الأسرية الهامة وغيرها من الأمور". ومن شدة تقديسهم للأرض أنهم يعتبرونها كالأم. ومن معتقدات المنغوليين أن الأرض تستطيع حماية أبنائهم وحيواناتهم من كل سوء، كما تضمن لهم البركة في المحاصيل الزراعية كل عام، ولذا فهم يعبدونها ويقدسونها.



يقيم رعاة تووا الذين يسكنون في قرية خهمو وقرية كاناس لقومية المنغول بشينجيانغ، بإضرام الاحتفالات بحلول السنة الجديدة.

عبادة الحيوانات والنباتات

في أديان ما قبل التاريخ، كانت عبادة الحيوانات والنباتات نتاجًا طبيعيًا لتطور عبادة الطبيعة وبلوغها مرحلة معينة، ومن ثم فإن عبادة الحيوانات والنباتات تشكل المرحلة الأخيرة لمراحل عبادة الطبيعية. ومن المعروف أنه توجد علاقة وثيقة بين الحيوانات والنباتات والإنسان، حيث يعتبر الحيوان مصدرًا رئيسيًا وهامًا للإنسان الذي يعيش في الحياة البدوية، فهو يعتمد عليه اعتمادًا كليًا في جميع مستلزماته المعيشية، وفي نفس الوقت يعتبر مصدرًا رئيسيًا لغذاء الإنسان في هذه المناطق. كما أن هناك بعض الحيوانات المفترسة التي تشكل تهديدًا كبيرًا على حياة الإنسان والماشية في هذه المناطق. وبالتالي فإن هذه العلاقات الحميمة والمتناقضة كانت السبب الرئيسي الذي شكل وجدان سكان هذه المناطق لعبادة الحيوانات، ولذلك فإنهم يعتقدون أن الكثير من الحيوانات تتمتع بصفة الألوهية، وفي نفس الوقت لديها قدرات خارقة. أما النباتات فإنها تتعرض لظاهرة الذبول بعد اكتمال فترة نموها، وفي نفس الوقت تتأثر بالمناخ الطبيعي؛ لذا تارة نجد وفرة في المحاصيل، وتارة نجد نقصًا شديدًا فيها بسبب الكوارث الطبيعية، كما أن هناك بعض النباتات التي تلعب دورًا في علاج بعض الأمراض التي تصيب الإنسان، والتي تُحدث تأثيرًا إيجابيًا على جسده، ولأجل ذلك تكتنف الإنسان مشاعر خاصة تجاه النباتات، والتي تجعله

في النهاية يقدسها ويعبدها. ومما لا شك فيه أن عبادة الحيوانات والنباتات ظاهرة منتشرة لدى أجدادنا القدماء منذ قديم الزمان.

عبادة الافيدرين

منذ أكثر من 3800 سنة، وفي إحدى مقابر لوب نور تم اكتشاف بعض بقايا فروع نبات الافيدرين داخل الأقمشة التي تم تكفين الموتى بها. ويعتبر الافيدرين نوعًا من النباتات الطبية التي تنمو في صحراء لوب نور، كما يستخدم هذا النبات لعلاج البرد وأزمات الربو المزمن وضيق التنفس وغيرها من الأمراض التي تصيب الإنسان. ويعتقد سكان منطقة لوب نور أن نبات الافيدرين له تأثير عجيب، حيث يستخدمونه لعلاج الكثير من الأمراض، وفي نفس الوقت يضعونه بجوار جسد الميت ظنًا منهم أنه يحمي روح الميت.

تُعد لوب نور موطن شعوب الساكا قديمًا. ويقال إن الآريين (الإيرانيين القدماء) كانوا يعبدون نوعًا من النبات يسمى هاوما، وكان يطلق عليه في اللغة الهندية اسم "سوما". وقد ذُكر في كتاب "الأفيستا" (أحد الكتب الدينية الزرادشتية) أن هاوما نوع من النباتات الخضراء متعددة الأشكال، كما أنه نبات طيب الرائحة يجمع بين الخشونة والنعومة، وينمو هذا النبات عادة في الأودية العميقة في الجبال الشاهقة، وفي الوقت نفسه يمكن عصر هذا النبات. وقد أضفي الإيرانيون القدماء صفات قيّمة على هذا النبات، حيث إنهم يعتقدون بأن عصيره يثير في الإنسان القوة والحيوية ويرفع الروح القتالية العالية في نفس المحارب، ويبعث الإلهام عند الشعراء، ويمنح الكهنة قوة خاصة لإدراك وحي الآلهة، كما يستخدم هذا النبات في علاج الكثير من الأمراض. ومما تجدر الإشارة إليه هو أن هناك جدلاً واسعًا حول نبات الهاوما، وإلى أي نوع من النباتات ينتمي هذا النبات، حيث يرى فريق منهم أنه نوع من نباتات الراوند، ويرى فريق آخر أنه نوع من النباتات الفطرية، في حين يعتقد فريق ثالث بعد البحث والتنقيب أنه يعتبر نوعًا من عشبة الفيجن. وخلاصة القول، فإن نبات الهاوما يعتبر من النباتات التي لها تأثير قوي على أعصاب الإنسان، حيث إنه يثير فيه القوة والحيوية أثناء تأدية الطقوس الدينية، مما يجعله على صلة واتصال دائم بربه. علاوة على ذلك، فإن هذا النبات يرمز عندهم إلى الإله هاوما، لذا عادة ما يتضرع إليه الفلاحون لكي يمنحهم البركة في المحاصيل، وأن يمن على نسائهم بالإنجاب. ومن الملاحظ أنه يوجد ارتباط وثيق بين الافيدرين التي يعبدها سكان منطقة لوب نور وبين الهاوما التي يقدسها الإيرانيون القدماء، وهذا بالطبع يعكس عبادة القوميات التي تقطن المناطق الغربية منذ قديم الأزل للنباتات التي لها تأثير تخديري على الإنسان في هذه المناطق.

وللعلم فقد تم اكتشاف وعاء عشبي بجوار كل مقبرة في منطقة لوب نور، وبداخل هذا الوعاء

العشبي يوجد بعض حبوب القمح، ومما سبق يتضح أن سكان هذه المناطق كانوا يقدسون النباتات ويعبدونها.

عبادة الأشجار

مما لا شك فيه أن عبادة الأشجار كانت منتشرة بين الكثير من القوميات في جميع أنحاء العالم، حيث ينظرون إليها باعتبارها جان سرت فيه الحياة. كما يعتقدون أنه يمكنها تسيير السحاب، وإنزال المطر، وجعل أشعة الشمس تضيء كل ركن من أركان الأرض، إلى جانب قدرتها على زيادة المحاصيل، وازدهار تربية الماشية، ومنح النساء القدرة على إنجاب الكثير من الأولاد. وبالرغم من أن عبادة الأشجار واحدة من عبادات الطبيعة التي ظهرت في عصر ما قبل التاريخ، إلا أنها استمرت حتى يومنا هذا، حيث لا تزال هناك العديد من الموروثات القديمة من عبادة الأشجار منتشرة في الحياة الإسلامية. وقد ذُكر في الأساطير التي تتعلق بأصل قومية الويغور أن الزعيم الويغوري الأول قد وُلد من الشجرة، أما كتاب (أسطورة أغوز خان) فقد ذكر أن الزوجة الثانية لأغوز خان قد انبثقت من إحدى الثقوب الموجودة داخل إحدى الأشجار، كما يعتقد القدماء الويغوريون أن الأشجار لديها قدرة خارقة. علاوة على ذلك، فقد اعتقد الأسلاف القدماء اعتقادًا راسخًا بأن أصل أجدادهم كان الأشجار، لذا يوجد بينهم وبين الأشجار علاقة خارقة. ويعتقد القدماء أيضًا أن أي ضرر يلحق بالأشجار التي ترمز إلى القبيلة، يُعتبر في حد ذاته انتهاكًا لجميع أفراد القبيلة. ومع مرور الزمن، ترك مفهوم عبادة الأشجار آثارًا عميقة في الويغوريين الذين يعيشون في الوقت الحاضر. وانطلاقًا من معتقد تقديس وعبادة الأشجار، لذا فإنه يحرم على البشر قطع الأشجار الفريدة الموجودة على ضفاف الأنهار وعلى جانبي الحقول وفي الحدائق، ولا سيما الأشجار القديمة. كما لا يُسمح بنشر الملابس على فروع الأشجار وإلقاء القاذورات أو المياه الملوثة عند الأشجار. ومما يدل على شدة تقديس الأشجار عند الويغوريين أنه إذا ذهب أحدهم الآن إلى المزارات فإنه يصطحب معه فسيلة أو أحد أغصان الأشجار، وذلك لزرعها بالقرب من المزارات والمقابر. أما في جنوب شينجيانغ، فإنه يتم زرع بعض فروع الأشجار بجوار القبور بعد الانتهاء من عملية دفن الميت، ثم يتناوب الأقارب بعد ذلك مهمة ري هذه الفروع. كما يقوم سكان هذه المناطق بزرع شجرة بجوار كل قبر من القبور، آملين أن تكون هذه الشجرة سببًا في دخول روح هذا الإنسان الجنة. ولهذا يولي الويغوريون أهمية كبيرة لزراعة الأشجار حول أفنية منازلهم.

علاوة على ذلك، فإن الويغوريين يؤمنون بوجود قوى روحية في جميع الأشجار التي يزيد عمرها عن مائة عام، لذا لا يمكن بأي حال من الأحوال التبول عند هذه الأشجار، وإلا تصيبهم اللعنات. وقد عبد الويغوريون الأشجار ظنًا منهم أنها تمدهم بالحيوية الشديدة والتي تعمل على تلبية رغباتهم من العيش

طويلاً بلا شيخوخة مثل الأشجار الكبيرة المعمرة، كما يعتقدون أيضًا أن الأشجار الكبيرة تستطيع العيش مئات بل آلاف السنين، وأن الحيوية التي تمتلكها هذه الأشجار هي نوع من القوى الروحية الخارقة التي لا يمكن للإنسان بلوغها.

وقد ورد في أسطورة "جيا سا خان" أنه قام بزرع إحدى الأشجار التي تمتلك قوى روحانية في مركز الأرض، ومن ثم تَولد من هذه الشجرة أرواح عديدة، تشبه هذه الأرواح الطيور، ثم قام جيا سا خان بعد ذلك باستخدام الطين الأصفر في صُنع دُمى صلصالية، ثم وضع هذه الأرواح داخل الدُمى الصلصالية عن طريق النفخ في فمها، وعلى الفور دبت الروح في هذه الدُمى ثم بدأت في النهوض، وهكذا خُلق البشر الأوائل.

كما يوجد في بلدة آيشن شالي جن التابعة لمحافظة تشابوتشار الذاتية الحكم لقومية شيبو شجرة الدردار عظيمة البنية، حيث تطلق عليها قومية شيبو اسم "وين تشي ري ها لي" والتي تعني في اللغة الصينية "شجرة الصلاة من أجل الحصاد الوافر". وقبل أكثر من مائتي سنة، وعندما انتقلت قومية شيبو من الشمال الشرقي، كانت هذه الشجرة لا تزال صغيرة جدًا. وكان لأهل قومية شيبو قول مأثور بهذا الشأن، حيث يقولون: "إن الشجرة التي تنبت وحدها لا يمكن قطعها"، ظنًا منهم أن الآلهة تتولى حماية هذه الأشجار، ومن ثم يعتنون بها عناية شديدة، وفي نفس الوقت يمنعون الأطفال من قطع فروع هذه الشجرة. وبقدوم عيد قوارب التنين من كل عام، فإنه يتم دعوة الكبار الذين يتمتعون بأخلاق سامية

الأغصان والزينة التي تحيط بالمزارات



وسمعة طيبة والفلاحين للاحتفال بالعيد عند هذه الشجرة، وذلك من أجل أمرين: الأول: إحياء ذكرى الشاعر الوطني تشو يوان، والثاني: الصلاة والدعاء من أجل البركة في الحصاد.

ومما لا شك فيه أن شجرة الصلاة من أجل الحصاد الوافر تعبر عن عبادة أهل قومية شيبو للأشجار، بل هي نوع من العادات القديمة التي رمزت إلى عبادة الطبيعة. كما توجد العديد من القوميات بمنطقة إيلي التي لا تزال تحافظ على طقوسها الدينية الموروثة عن أجدادها في عبادة الأشجار، حيث تعتقد هذه القوميات أن الأشجار العتيقة لديها قوى روحية، أو ربما تكون أشجار البيئة الروحية، ولهذا يُمنع قطعها منعًا باتًا، وإلا تعرض قاطعها للعقاب من قبل الطبيعة، أما قطع الشجرة التي تنبت وحدها فهو أشد خطرًا، بل ويتعرض قاطعها لعقاب أشد كما تتعرض السهوب لبعض الكوارث الطبيعية نتيجة لذلك. وعادة ما يقوم سكان هذه المناطق ببعض الممارسات التي تعبر عن تقديسهم للأشجار التي تنبت وحدها، ومن هذه الممارسات ربط أشرطة قماشية فوق هذه الأشجار.

عبادة الفئران

منذ قديم الزمان، كان سكان مملكة يو تيان "منطقة خهتيان حاليًا" يقدسون الفئران بشدة. وقد كتب الراهب الشهير تشيونتسانغ في "سجلات المناطق الغربية بأسرة تانغ" عن أحد الأساطير الشهيرة التي تحكي أن فأرًا قد أنقذ مملكة يو تيان من الدمار، لذا أقاموا احتفالاً ضخمًا يعبرون فيه عن عبادتهم وتقديسهم للفئران. وعلى بعد مائة وخمسين أو ستين ميلاً من غرب مملكة يو تيان توجد صحراء رملية بها الكثير من المقابر التي تم دفن الكثير من الفئران بها. وكان ملك الفئران يشبه القنفذ في شكله، ذو شعر ذهبي وفضي، تمشي الفئران في أثره أثناء خروجهم من الكهف للعب. وذات مرة، قاد ملك شيونغنو عشرات الآلاف من الجنود ودخل حدود ممكلة يو تيان، وعسكر بقواته بجوار منطقة مقابر الفئران، وبينما هم كذلك بدأ ملك مملكة يو تيان بحشد قواته، لكنه خشي من أن تكون قوته العسكرية غير كافية، ومن ثم لا يمكنها قمع قوات الأعداء، لذا فقد اتجه إلى مسار مختلف، وبدأوا في تأدية طقوسهم الدينية وحرقوا البخور وطلبوا من آلهتهم (الفئران) أن تمنحهم القوة في مجابهة الأعداء. ونتيجة لذلك، رأى ملك يو تيان في منامه أن ملك الفئران يقول له أنه مستعد أن يقدم له كل ما يحتاجه حتى يتمكن من هزيمة الأعداء، وأمره بتجهيز الجيوش والانطلاق بهم قبل شروق الشمس، وفي النهاية ستنتصر جيوشه. وبعد معرفة ملك يو تيان بمساعدة الآلهة له قام على الفور بإعادة تنظيم جيشه، وأصدر أوامره بتحرك الجيوش قبل بزوغ الفجر، وبالفعل زحفت الجيوش بكل شجاعة تجاه العدو، وقاموا بالهجوم المفاجئ على معسكرات الأعداء. وحينما علمت قومية شيونغنو بتقدم الجيوش نحوهم، أرادوا أن يتجهزوا للمعركة من خلال امتطاء الخيول ولبس الدروع، إلا أنهم فوجئوا بأن الفئران قد قرضت

سياطهم وملابسهم وأوتار أقواسهم، وبالفعل تمكنت جيوش يو تيان من هزيمة جيوش شيونغنو، ظنًا منهم أن كل ذلك قد حدث بمساعدة الآلهة لهم. ومن أجل التعبير عن العرفان للفئران، أقامت مملكة يو تيان معابدًا للفئران، وصنعت للملك تاجًا أطلق عليه تاج الفأر الذهبي. وعند مرور الناس بكهوف الفئران، ينزلون على الفور من فوق أحصنتهم ويتجهون نحو الكهف لتأدية الصلاة تحية منهم للفئران. كما يقدم سكان هذه المناطق القرابين للفئران، حيث يقدمون إلى الفئران كل ما لذ وطاب من الأطعمة، فضلاً عن الملابس والسهام والأقواس والزهور وغيرها، معتقدين أنهم إذا لم يقوموا بتقديم القرابين للآلهة فإن بلادهم ستتعرض للكوارث. وفي بداية القرن العشرين، تم اكتشاف لوحة خشبية ملونة في أطلال داندان ووليك بمملكة يو تيان، وكانت اللوحة عبارة عن "صورة عجيبة لرأس فأر"، ومن ثم فإن هذا يُعتبر دليلاً قويًا على عبادة سكان مملكة يو تيان للفئران في العصور القديمة.

مما سبق، يتضح أن أهل يو تيان اعتقدوا بألوهية الفئران وقدسوها وعظموها، ومن ثم عكفوا على عبادتها، ومن المستحيل تصديق مثل هذه الأمور حاليًا، إلا أن هذه الوقائع مسجلة تاريخيًا، لذا لا يمكننا إلا التسليم بها. كما يعتقدون أن الفأر يمتلك قوة خارقة تمكنه من إحداث الكثير من المخاطر التي تؤثر على اقتصادهم، ومن ثم لا حول لهم ولا قوة ولا يمكنهم التغلب على هذه المخاطر إلا من خلال تقديم القرابين له والإخلاص في الدعاء، حتى يُنعم عليهم بالحصاد الوفير والنجاة من المخاطر.

عبادة الخيول

تعد عبادة الخيول من العبادات القديمة التي اعتنقها أسلاف منطقة شينجيانغ. فقد كان الترك يقومون بذبح الخيول وتقديمها قربانًا للآلهة في المناسبات الدينية الضخمة، لكن لم يكن من السهل عليهم ذبح هذه الخيل. أما الويغوريون الذي يعيشون في منطقة هامي فقد كانوا يقومون بذبح الحصان الأبيض لتقديمه قربانًا للآلهة، وذلك في حالة حدوث الجفاف الشديد وعدم نزول الأمطار ووجود خطر شديد على المحاصيل، وعادة ما يغمرون رأس الحصان في ينابيع المياه الموجودة في الجبال بعد ذبحه، وهذا كله من أجل أن تغدق عليهم الآلهة بنزول الأمطار. كما يعتقد سكان هذه المناطق أن عظام الأرجل الأمامية للحصان يمكنها طرد الأرواح الشريرة وعلاج الأمراض، لذا يستخدمونها في علاج أمراض العظام وردع الشياطين.

ومما يجب التنبيه عليه هو أن المنغوليين وقومية داور مارسوا طقوسًا خاصة في عبادة الحصان، بل وأطلقوا على الحصان الإلهي اسم "ون قو"، وبالتالي لا يمكن لنسائهم ركوب هذا الحصان الذي تم اختياره كإله لهم. ومما لا شك فيه هو أن هناك خصائص مشتركة كثيرة لعبادة الحصان عند الأجداد القدماء، فعادة ما يكون الحصان الإلهي أبيض اللون، وذلك لأن الحصان الأبيض عادة ما يكون ذكرًا



"رجل وثلاثة خيول" هي لوحة جدارية في منطقة جبل تاخهتوبيهكه داخل حدود بلدة تشونغهوأر محافظة بوأرجين بمنطقة ألتاي في شينجيانغ



الخيول الجميلة في مراعي ولاية القازاق الذاتية الحكم بايلي

وليس بأنثى، فيقدم للسماء، وعلى العكس من ذلك، فإن البقرة ذات الشعر الأسود عادة ما تكون أنثى، وعادة ما يتم تقديمها لإله الأرض.

عبادة الصقور

لقد عكفت القوميات القديمة بالمناطق الغربية على تقديس وعبادة الصقور والنسور وغيرها من الطيور الجارحة، حيث إنهم يطلقون اسم "الصقر الإلهي" على الصقر لأنهم يعتقدون أنه بإمكانه التواصل مع العالم الإلهي، ولذا فهو المبعوث بين عالم البشر والإله "تنكري". ومن معتقداتهم في هذا الشأن أن زعيم الترك لم يمت، بل أخذه الصقر وصعد به إلى السماوات العُلى. ولهذا يُطلقون على كهنة الديانة الشامانية اسم "أبناء الصقر"، حيث يعتقدون أن روحه ترافق جسد الصقر، وأن كهنة الشامانية يمكنهم أن يحلقوا في العالم كالصقور، وذلك لتبليغ الأوامر الإلهية إلى البشرية. ومن الألعاب السحرية الشامانية هي التجسيد في صورة صقر. وقد ذُكر في ملحمة "ماناسي" أن والد البطل القرغيزي ماناسي قد رأى في منامه أن الصقر قد سقط في يديه، ومن ثم ساعد زوجته على الإنجاب، ولذا كان ماناسي يُلقب في بداية حياته بالصقر الصغير، أما في ريعان شبابه فكان يطلق عليه اسم الصقر القوي، وبعد مماته صعد الصقر الذي كان يرافق جسده إلى السماء. وقد اعتقد القرغيز بوجود علاقة وثيقة تربط بين أسلافهم الأبطال والصقور الإلهية تكمن في أن أجدادهم يتحلون بشجاعة وقوة الصقور، وهذا بالتأكيد ينعكس على المفاهيم الإيمانية لديهم نحو عبادة الصقور.

أما قومية الطاجيك فقد أُطلق عليها لقب "قومية الصقور الجبلية"، حيث كانت عبادة الصقور

تنتشر عندهم منذ القدم. ولشدة تقديسهم للصقور فإن حركاتهم في الرقص تشبه عادة حركات الصقور الجبلية أثناء تحليقها في السماء، إلى جانب أنهم يستخدمون عظام جناح النسر في صناعة المزمار وهو أحد الآلات الموسيقية التقليدية عندهم، وفوق كل ذلك فإن الصقر يحتل مكانة خاصة في قلوب الطاجيك.

أما القازاق القدامى فقد عبدوا البومة، وكانوا يعتقدون أن ريش البومة علامة على البركة وحسن الحظ، ولذلك كانت تُزين به قبعات الشابات القازاقيات، وعند الزواج يقومون بتزيين طنافس غرفة العروسين بذلك الريش، كما كانوا يعلقونه في رقبة الأطفال، ظنًا منهم أنه يطرد الشياطين ويجلب لهم السعادة. علاوة على ذلك، فقد كانوا يستخدمون ريش الصقور في تزيين رأس وذيل الخيول التي تشارك في سباق الخيل، ظنًا منهم أن هذا الريش يمنحها السرعة التي يتصف بها الصقر، ومن ثم يستطيع الطيران مثله فيفوز في النهاية بالسباق.

عبادة الإوز العراقي

تنظر قومية الترك إلى الإوز العراقي على أنه أحد الطيور المقدسة. ومن بين الأساطير التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بنشأة قومية القازاق تلك الأسطورة التي تزعم بأن الإوَز العراقي الأبيض هو في الأصل الأجداد الأوائل لقومية القازاق. فمنذ زمن بعيد، كان هناك أحد الزعماء يُدعى كالي شيا ديار، وكان يتمتع بشجاعة لم يعرف لها مثيل، وفي إحدى المعارك أصيب بجروح خطيرة، ومن شدة الألم قام بالاستلقاء على الأرض، وكان الموت قاب قوسين أو أدنى من هذا القائد الشجاع، إلا أن أمرًا غريبًا قد حدث، حيث ظهرت فوهة في السماء خرج منها طائر الإوز العراقي الأبيض، وأعطاه قطرة من لعابه، ثم اصطحبه إلى النهر، وشرب منه حتى ارتوى، وبعد ذلك شُفي تمامًا، ثم بدأ يستعيد قوته المعهودة تدريجيًا. وفي ذلك الوقت تحول هذا الطائر الأبيض الجميل إلى فتاة في ريعان شبابها، تلك الفتاة تتمتع بجمال فريد أخاذ، وكان هذا الزعيم في غاية السرور عندما وافقت هذه الفتاة على الزواج منه، وبعد الزواج أنجبت منه طفلاً أُطلق عليه اسم "قازاق". والجدير بالذكر أن لهذه الأسطورة أثرًا عميقًا في قلوب القازاقيين.

علاوة على ذلك، فإنه يمكنك أن ترى رسومًا لمجموعة كبيرة من الحيوانات كالنمور والفهود والخيول والغزلان والكلاب والماعز وغيرها من الحيوانات على الجدران الصخرية القديمة التي تركها الأجداد على جبال تيان شان وجبال ألتاي، وهذا بالتأكيد يدل على مدى تقديس القوميات البدوية بالمناطق الغربية للحيوانات.



مركز كولانساريكه محافظة آخهتشى لولاية قرغيز ذاتية الحكم بشينجيانغ، الصياد الشاب يركب على الحصان ويمسك صقر بيديه مما يوضح حبهم وشغفهم بالصقور.



مدينة تاكسكورجان لقومية الطاجيك الذاتية الحكم بشينجيانغ، يعد النسر رمز لقومية الطاجيك.

عبادة الطوطم

تطورت عبادة الحيوانات والنباتات وعبادة الطبيعة فيما بعد إلى عبادة الطوطم، وقد أُطلق عليها في اللغة الهندية اسم "توتيم"، وهي تعني العشيرة والإشارة، أي الإشارات والشعارات الأسرية. وقد كانت عبادة الطوطم واحدة من العبادات الشائعة عند الكثير من الأمم القديمة، خاصة عند القوميات القديمة بالمناطق الغربية، حيث لم تحظى أي عبادة أو ديانة من تلك الديانات التي تتبع الحيوانات والنباتات بمكانة خاصة مثلما حظيت عبادة الطوطم عندهم. ووفقًا للسجلات التاريخية القديمة، فإن ملك تشو مو قابل الملكة الأم للغرب، وربما تكون هذه الملكة هي زعيمة القبيلة الأمومية التي تعتبر النمور والفهود هي الطوطم في منطقة جبال كونلون. كما يوجد الكثير من القوميات في شينجيانغ التي تعتبر الأسود والذئاب والجمال وغيرها من الحيوانات هي الطوطم. على سبيل المثال، يعتقد القرغيز والترك والويغور أن الطوطم يتمثل في الذئب، إلا أن الويغور يعتبرون أن الأسود والجمال والأشجار وغير ذلك تمثل الطوطم.

طوطم الذئب

يُعد الذئب الطوطم الخاص بالعديد من القوميات التي تقطن المناطق الغربية، ولهذا قدسوها وشرعوا في عبادتها. وقد ذُكر في "أسطورة أغوز خان" أنهم كانوا يجعلون الذئب شعارًا لهم في الحروب،

حيث كانوا يعتقدون أن الذئب يظهر في الأوقات الحاسمة في الكثير من الحروب، ويمشي في المقدمة ويقود الطريق، ومن ثم ينشر الطمأنينة بين أبناء أغوز خان بعد الخطر المحدق، ويكتسح كل عائق في طريقه، ومن ثم يكون النصر حليفهم. وفي هذا السياق، يتحتم علينا ذكر إحدى الأساطير التي تتعلق بالذئاب.

منذ قديم الأزل، تعرض قدماء الويغور إلى هجوم من قبل الأعداء، مما أدى إلى إرغام سكان هذه المناطق على التشرد والنزوح، وإلى جانب ذلك تشردت ماشيتهم في أماكن بعيدة. وذات يوم، قدموا إلى مكان هادئ تحيطه الجبال والأنهار. ومع مرور الأيام، أقبل عليهم الشتاء القارس، حيث غطت الثلوج الشديدة المروج والكلأ، مما أدى إلى موت العديد من المواشي بسبب الجوع الشديد، وتذمر الناس بسبب النقص الشديد في المواد الغذائية، وبعد ذلك تكدست الثلوج إلى أن أصبحت كالتلال، فقُطعت الطرق وأصبح من المستحيل التمييز بين الأشياء.

وبعد المشاورات المستمرة من قبل شيوخ هذه القبائل، فقد قرروا مغادرة هذا المكان، إلا أنه لم يجدوا طريقًا يمكنهم من مغادرة هذا المكان، لذلك أرسلوا مجموعة من المستكشفين للبحث عن طريق يسلكونه، إلا أنهم ذهبوا ولم يعودوا. وذات يوم، وجد بعض المستكشفين ذئبًا يتجه نحو الجبل الغربي، مما جعلهم يقتفون أثره، إلا أن الذئب اختبأ فجأة داخل إحدى الكهوف، فتبعه المستكشفون ودخلوا وراءه هذا الكهف المظلم، وساروا في طريق طويل داخل هذا الكهف، وفجأة ظهر ضوء في الجانب الآخر من الكهف، ومن ثم خرج هذا الذئب من هذه الفتحة التي تخلل منها الضوء، ولم يقف المستكشفون عند هذا الحد، بل تابعوا السير خلف هذا الذئب، ورفعوا أبصارهم إلى الأعلى فرأوا بساطًا من العشب الأخضر، وسمعوا خرير المياه وتغريد مئات الطيور، ورأوا الأيائل البرية تلعب وسط العشب الأخضر، لقد كان حقًا مكانًا رائعًا يشتمل على الكثير من المناظر الساحرة. وما إن شاهد المستكشفون هذه المناظر الساحرة، حتى عادوا على الفور وقصوا ما حدث وما رأوه لشيوخهم، وعلى الفور انطلق الجميع نحو هذا المكان مصطحبين معهم ما تبقى من الماشية، وبهذا يكونوا قد نجوا مما هم فيه بفضل هذا الذئب. وبعد ذلك أصدر أشينا تاي تيلا زعيم الويغور أوامره بالتخييم في هذا المكان، ونصب علمًا كبيرًا أمام بوابة القرية، وتم تطريز رأس الذئب بخيط ذهبي على هذا العلم الحريري ذي اللون الأزق. ومنذ ذلك الحين، أصبح هذا العلم عرفًا متبعًا عند الويغور.

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن الويغوريين ما زالوا إلى الآن يعتقدون بأن الذئب هو الإله الذي يجلب لهم السعادة والبركة، وفي نفس الوقت يقوم بحمايتهم من المخاطر، حتى إن بعضهم يحتفظ بعظام الذئاب، ظنًا منهم أنها تجلب لهم البركة. ومن عاداتهم أنهم يجعلون المرأة الحامل تستلقي على جلد الذئب، ظنًا

منهم أن المولود سيصبح محاربًا شجاعًا بفضل ذلك الفِعل. ومن عاداتهم أيضًا أنهم يمنعون الإفراط في قتل وصيد الذئاب، وإذا صادف أحدهم ذئبًا، فإنهم يعتبرون ذلك الشخص محظوظًا للغاية.

علاوة على ذلك، فإن عبادة الذئب وطوطم الذئاب ما زال لهما أثر حتى الآن في قلوب القرغيزيين، ولهذا يقومون بتعليق عظام الذئاب على جسد الطفل، حيث يعتبرونها تميمة تحميه. ومن عاداتهم أيضًا أنهم يعلقون كاحل الذئاب على أجسادهم، ظنًا منهم أن كاحل الذئب لديه تأثير على دفع الشرور التي من الممكن أن تصيب الإنسان. ومن معتقداتهم أيضًا أنه يجب على المرأة العاقر أن تأكل لحم الذئاب حتى يمكنها الإنجاب.

لقد انتشرت عبادة طوطم الذئب عند قومية التتر، ويُطلق على الذئب في لغة التتر اسم "بو ري"، كما يُطلق على الكثير من الأبطال والمحاربين الشجعان اسم "بو ري". وهناك أسطورة عجيبة ترتبط بعبادة طوطم الذئب عند هذه القومية، حيث تقول هذه الأسطورة أنه في قديم الزمن نشبت حرب شعواء بين قبيلتين، فقامت القبيلة المنتصرة بإبادة كل أبناء القبيلة المهزومة، ولم يتبق إلا شابًا يافعًا يبلغ من العمر ستة عشر أو سبعة عشر عامًا، لكنهم قطعوا قدميه وألقوا به في مياه البحيرة. وبينما كان هذا الشاب على شفير الموت، اقتربت منه ذئبة شاردة وأخذته إلى داخل كهف، وكلما اصطادت فريسة عادت إلى الكهف وأطعمته منها، وبعد فترة قصيرة استعاد الشاب عافيته. وبمرور الوقت نشأت علاقة عاطفية جمعت بين الشاب والذئبة. وقد سمع الأعداء عن أن الذئبة تخفي الشاب في أحد الكهوف، فبدأوا في البحث عنه وعن الذئبة من أجل التخلص منهما، لكن الذئبة أخذته وهربت إلى الناحية الشرقية، وأنجبت تلك الذئبة عشرة من الأبناء، وبعد أن شب هؤلاء الأبناء العشرة تناكحوا وتناسلوا حتى أصبحوا عشرة من القبائل. وقد تم تسجيل تلك الأسطورة في الكثير من السجلات التاريخية.

وقد سجل العالم الويغوري الشهير محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري في كتابه "ديوان لغات الترك" ما يلي: عندما تلد المرأة ذكرًا، تقول القابلة ولدت "ذئبًا"، وذلك لأن الذكر يتسم عادة بالقوة والشجاعة، أما إذا أنجبت المرأة أنثى فإنهم يقولون أنجبت ثعلبة، وذلك لأن المرأة تتمتع بالجمال والسحر، وتحظى بحب الجميع. والجدير بالذكر أن قدماء القازاق يجمعون بين الذئب والسماء، فيرون أن الذئب هو الحيوان الإلهي الذي يحمي أرواح الأجداد، وفي نفس الوقت تمدهم بالقوة المقدسة التي يتمتع بها الأبطال والكهنة. ويُعد الذئب واحدًا من الآلهة المتعددة عند الشامانية القازاقية، كما تتخذه بعض القبائل القازاقية شعارًا لها، بل وتقوم برسم صورة الذئب على علم القومية. وللعلم فإن أسطورة الذئب لدى قومية القازاق تشبه تمامًا أسطورة أجداد الذئاب لقومية الترك، وفي نفس الوقت تشبه المعتقدات القديمة المتعلقة بالذئاب.



"مجموعة من الذئاب أثناء عملية الصيد"، الرسوم الجدارية في منطقة تاخهتوبيهكه الجبلية داخل حدود مركز تشونغهوأر بمحافظة بوأرجين بمنطقة ألتاي في شينجيانغ

طوطم الأيائل

هناك مجموعة من الأساطير ترتبط ارتباطًا كبيرًا بالأجداد الأيائل وطوطم الأيائل عند قومية التتر. ومما يُدلل على ذلك هو أن علماء الآثار قد وجدوا أكثر من ثلاثين حجرًا من الأيائل في محافظتي تشينغخه وفويون بمنطقة ألتاي. ويُعد حجر الأيائل نوعًا من المنقوشات الحجرية، حيث صنع الأجداد الأوائل الأحجار على شكل غصن طويل، ومن ثم يتم نحت صورة الأيائل عليه، ثم يتم نصبه أمام المقبرة. والجدير بالذكر أن هناك أشكالاً مختلفة من الأيائل تم نحتها على هذه الأحجار تبدو في غاية الجمال. وقد أشار الخبراء إلى أن أحجار الأيائل بمنطقة ألتاي يرجع تاريخها إلى ألف سنة قبل الميلاد، وهذا يعني أن هذه الأحجار قد تم نحتها منذ قديم الزمان من قبل شعوب الساكا في العصر البرونزي. وهناك تشابه كبير بين حجر الأيائل والطوطم في الكثير من المناطق (مثل المنطقة التي يعيش بها الهنود الحمر)، وهذا يدل على أن شعوب الساكا التي عاشت في منطقة ألتاي كانت لهم بعض العادات المتعلقة بعبادة الأيائل، حيث إنهم يتخذون الأيل كطوطم خاص بهم.

تُعد الأيائل واحدة من الطوطمات الرئيسة التي يقدسها القرغيز، ويُطلق عليها في اللغة القرغيزية

اسم "بوقو"، حيث يعتقدون أن الأيائل هم في الأصل أجدادهم، بل ويسمونها بـ "أم الأيل". وهناك أسطورة تنتشر بين أبناء القرغيز تتعلق بطوطم الأيائل، حيث تقول هذه الأسطورة أن القرغيز تعرضوا إلى حرب كبيرة مفاجئة، وكانت هذه الحرب على وشك إبادتهم جميعًا، إلا أنه من حسن الحظ كان هناك صبي وفتاة قد ذهبا إلى الجبل من أجل البحث عن أعشاب برية صالحة للأكل، لذا لم يتعرضا لهذه الكارثة. وبعد عودتهما إلى المنزل، اكتشفا أن جميع الناس قتلى، ولا يوجد أحد منهم على قيد الحياة، وعندما رأى هذان الطفلان ما حدث لأهلهم انغمرا في بكاء شديد، ولا يدريان ماذا يفعلان بعد موت أهلهم، عندئذ اقتربت منهما إحدى الأيائل، وأخذتهما إلى داخل الجبل، وأخذت ترضعُهما من حليبها، وبعد معاناة كبيرة ترعرع الطفلان تحت رعاية هذه الأيائل التي اعتنت بهما إلى أن صارا بالغين. وبعد ذلك تزوج الشاب من هذه الفتاة وتكاثر نسلهما، ويقال إن جميع القرغيز هم أحفاد هذين الطفلين اللذين نجيا من حرب الإبادة التي تعرض لها القرغيز، وفي نفس الوقت يزعم أبناء تلك القبيلة أنهم أحفاد هذه الأيائل التي اعتنت بالطفلين، ولهذا فإن القرغيز يحملون مشاعر خاصة للأيائل.

عبادة الأعضاء التناسلية

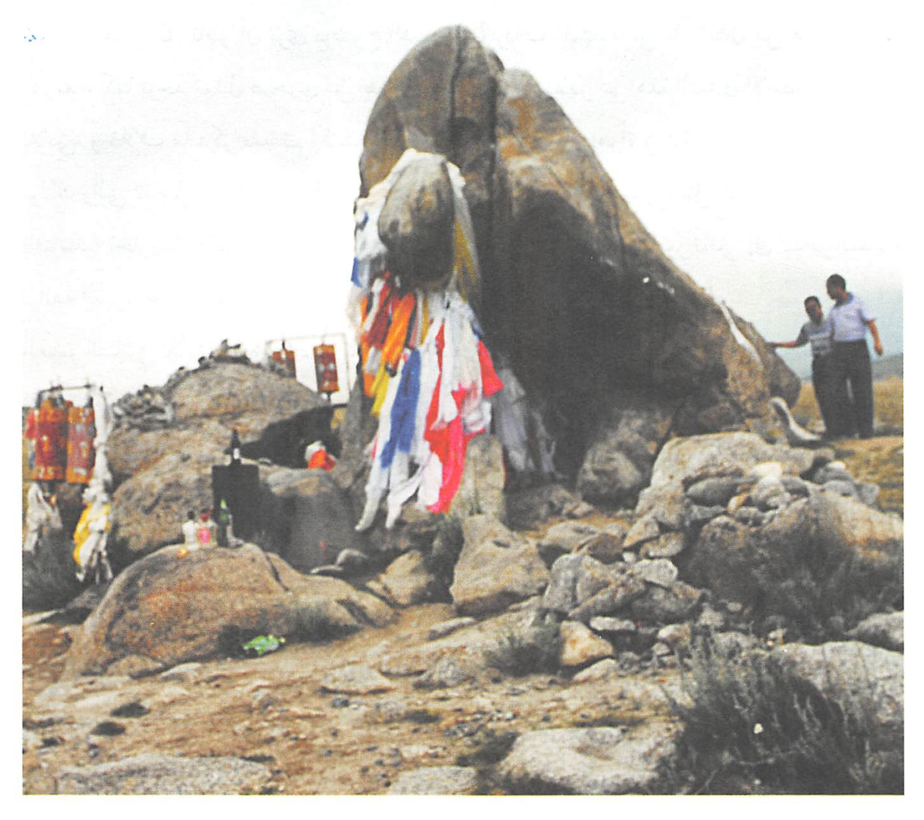
تعني كلمة عبادة الأعضاء التناسلية أي عبادة كلا من الجهاز التناسلي عند الرجل وعند المرأة، وهي ظاهرة خاصة في عبادة الطبيعة تعكس اهتمام الإنسان البدائي بالتناسل في المفهوم الديني. ومما يدل على أن الأجداد الأوائل كانوا يعبدون الأعضاء التناسلية هو ظهورها على الرسوم الصخرية والمنقوشات ومستلزمات الدفن والأساطير القديمة المختصة بهذا الشأن. وتظهر رسومات الأعضاء التناسلية على الرسوم الصخرية في الكهوف التي تقع في جبال تيان شان وجبل ألتاي بشينجيانغ. وقد تم اكتشاف أيضًا بعض الرسومات للشمس بأحجام مختلفة والخيول والكباش الجبلية على الرسوم الصخرية بكهف أكتاس الذي يقع في ووسون بإيلي. والجدير بالذكر أن الأعضاء التناسلية للأنثى المرسومة على الجدران الصخرية باللون الأحمر هي أكثر الرسومات جذبًا للأنظار، حيث يبلغ طولها 15 سم، أما ارتفاعها فيبلغ 9 سم، ويبلغ قطر الدائرة الصغيرة الداخلية 2.5 سم. ويعتقد الخبراء أن هذه الرسوم الصخرية يرجع تاريخها إلى أواخر العصر الحجري القديم (قبل 5000-8000 سنة) وأوائل العصر الحجري الحديث، وهذا يدل بالتأكيد على عبادة الإنسان البدائي في المناطق الغربية للأعضاء التناسلية للأنثى.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الاكتشافات الأثرية تعتبر دلائل قوية على ظاهرة عبادة الأعضاء التناسلية للذكور والإناث في العصور القديمة. وقد تم اكتشاف خمسة تماثيل خشبية على هيئة نصف جسد داخل المقابر العامة للقبائل بمنطقة لوب نور في حوالي القرن التاسع قبل الميلاد. ويوضح ذلك أنه يوجد خلف كل رقبة من رقاب كل تمثال جدائل صغيرة، وباستثناء تمثال واحد لا يظهر عليه بوضوح

الأعضاء الخارجية في جسد الأنثى، فإن التماثيل الأخرى يظهر عليها جليًا الأعضاء الخارجية للإناث، حيث يمكن لكل ناظر أن يرى بوضوح الثديين والأرداف الممتلئة على كل تمثال من هذه التماثيل الأربعة، كما يوجد تمثال صخري على هيئة جسد إنسان، ويظهر على هذا التمثال الأعضاء الخارجية للأنثى. وبخلاف ما ذُكر فقد تم اكتشاف تمثال على هيئة جسد امرأة في المقابر القديمة بمنطقة يان بولاك والتي تقع في منطقة هامي في نفس هذه الفترة، حيث يظهر بوضوح على هذا التمثال الأعضاء التناسلية الخارجية للأنثى، والمعلوم أن هذه المقابر القديمة في منطقة لوب نور تنتمي إلى المقابر القديمة سالفة الذكر. أما في منطقة خهتيان قدتم اكتشاف تمثال من الفخار على هيئة نصف جسد يظهر فيه العضو التناسلي للأنثى بشكل واضح. علاوة على ذلك، فقد تم اكتشاف العديد من التصاميم الزخرفية المصنوعة من الفخار على شكل مثلث في كل مكان في شينجيانغ، حيث يظهر على هذه التصاميم الزخرفية الأعضاء التناسلية للأنثى، ومما سبق يتضح أن الأجداد في العصور القديمة كانوا يعبدون الأعضاء التناسلية للإناث.

أما أساطير عبادة الأعضاء التناسلية بمملكة يوو تيان فهي كثيرة، نجد على سبيل المثال أسطورة "ثدي الأرض" بالمملكة، حيث يتخذ أهل يوو تيان من ثدي الأرض إلهًا لهم، ويسمونها آلهة التربية. وتزعم هذه الأسطورة أن ثدي الإلهة الأم قام بتربية الأسلاف الأوائل في يوو تيان. وتعني كلمة "ثدي الأرض" في اللغة السنسكريتية "كوستانا"، حيث تطلق كلمة "كو" على الأرض، أما كلمة ساتانا فتعني "ثدي الأنثى" في اللغة السنسكريتية، وقد تحدث تشيونتسانغ في كتابه "سجلات تانغ العظمى عن المناطق الغربية" عن أسطورة كوستانا في يوو تيان. وعندما سجل تشيونتسانغ هذه الأسطورة، سادت البوذية في جميع أنحاء يوو تيان، حيث إن أسطورة ثدي الأرض اصطبغت بالصبغة البوذية، وسوف نتحدث بالتفصيل فيما بعد عن الديانة البوذية. ومما لا شك فيه أن أصل أسطورة ثدي الأرض تأتي من مفهوم عبادة أهل يوو تيان للطبيعية منذ قديم الزمان، وهي نتيجة للارتباط الوثيق بين عبادة الأرض وعبادة الأعضاء التناسلية للأنثى.

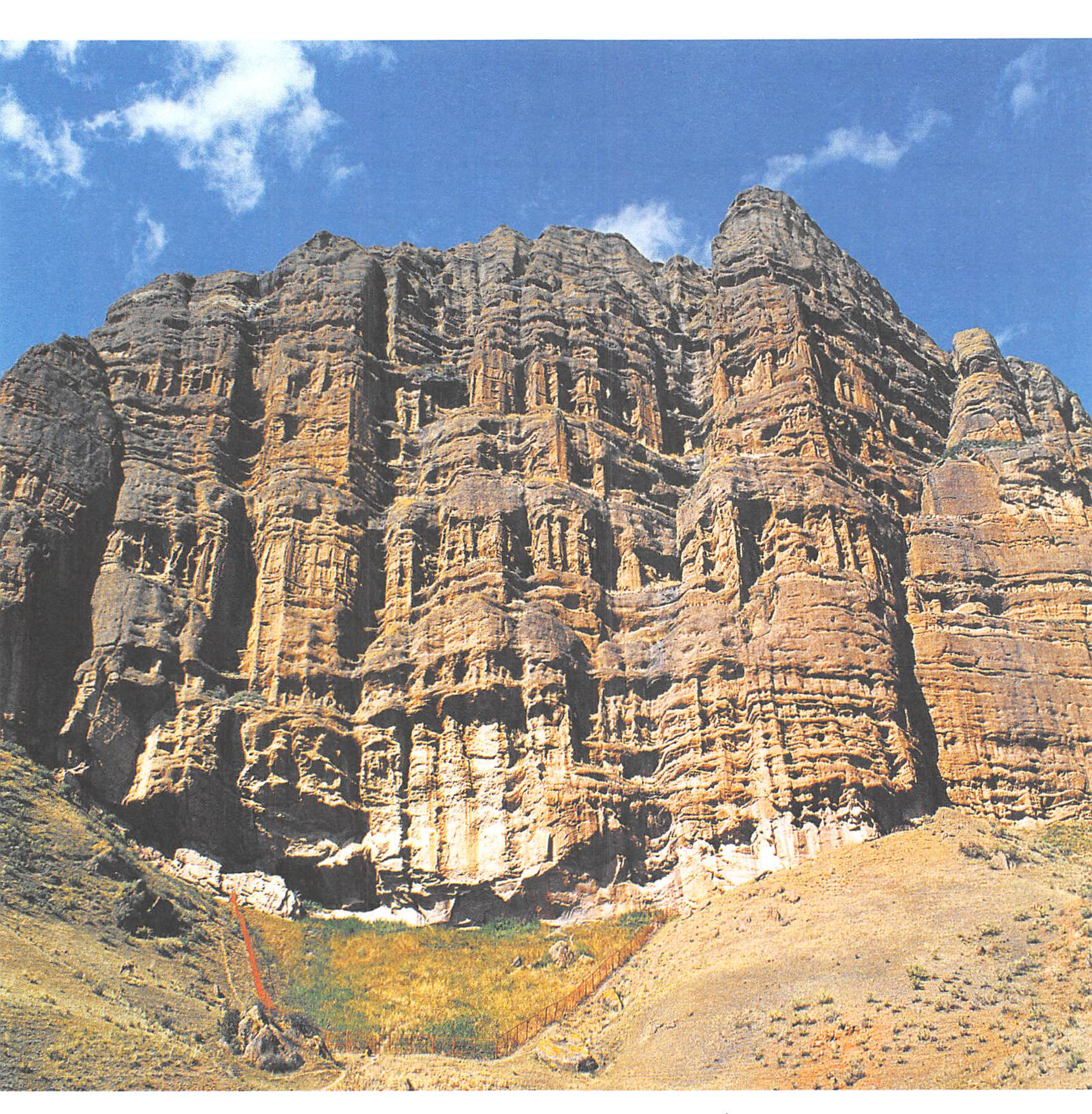
وبعد دخول عصر الكومونة الأبوية، أصبح هناك إقبال كبير على عبادة الأعضاء التناسلية للذكور، وهذا يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالدور المهيمن الذي لعبه الذكر في المجتمع. وقد تم اكتشاف بعض الآثار التي تُدلل على عبادة الأعضاء التناسلية للذكور في الكثير من المناطق بشينجيانغ. فعلى سبيل المثال، تم العثور على قضيب ذكري مصنوع من الحصى المطحون في الأطلال الأثرية ببلدية مولاي التي يرجع تاريخها بين القرنين الرابع وحتى الثامن قبل الميلاد، ويبلغ طول هذا القضيب الذكري 13 سم، وكان رسم هذا القضيب يكاد ينبض بالحياة. علاوة على ذلك، فقد تم اكتشاف إحدى النقوش الزخرفية التي على



"حجر الأم" الذي يقع بين الحشائش بجانب أعلي نهر بوأرتالا غرب محافظة ونتشيوان، ويشبه "حجر الأم" إلى حد كبير الأعضاء التناسلية للنساء، وفي أسرة سونغ، اعتبر الرعاة المحليون "حجر الأم" حجرا الهيا لطلب الأولاد والسعادة.

شكل عضو ذكري في منطقة أدينغ تشولو ببلدية وين تشوان. كما تم اكتشاف قضيب ذكري مصنوع من الخشب في المقابر القديمة بمنطقة لوب نور. ويرى الباحثون أن تلك القطعة الخشبية ربما تُتخذ كرمز أو أداة تستخدم في الدعاء من أجل التكاثر.

وفي ثمانينات القرن العشرين، تم اكتشاف نقوش صخرية كبيرة في جنوب غرب بلدية هوتوبي بمنطقة شينجيانغ، وتعرض هذه النقوش عبادة الأعضاء التناسلية للذكور والإناث، الأمر الذي أحدث هزة كبيرة في جميع أرجاء البلاد. ويوجد على الجدار الصخري الذي يبلغ طوله حوالي 41 مترًا وعرضه 9 أمتار ما يقرب من 200 صورة على شكل أشخاص وحيوانات، ويوجد صور كبيرة من بين هذه الصور يظهر شكل الإنسان فيها أكبر من الشكل الحقيقي، أما الصور الصغيرة فيبلغ ارتفاعها 10-20 سم فقط. ويرجع



الرسوم الصخرية التي توضح عبادة الأعضاء التناسلية في كانغجيا شيمنتسي

تاريخ هذه الرسومات إلى فترة المجتمع البدائي، أي قبل 3000-5000 سنة. والجدير بالذكر أنه يوجد تسعة تصاميم زخرفية لنساء عاريات في النهاية العلوية للنقوش الصخرية، وتصغُر هذه التصاميم تدريجيًا من اليسار إلى اليمين، حيث يبلغ ارتفاع التصميم الزخرفي الأكبر من هذه الأشكال 2-3 مترًا، أما التصميم الأصغر فيظهر حجمه مثل حجم الإنسان الطبيعي تمامًا. وفي الجانب الأيسر لهذه التصاميم يوجد تمثال

على شكل ذكر متجرد من ملابسه، وهذا التمثال ليس مستقيمًا بل كان مائلاً، ويظهر بوضوح على هذا التمثال القضيب الذكري والخصيتان. أما النساء العاريات فيتمتعن بأرداف نحيلة، أثداءٍ كبيرة، سيقان طويلة ونحيفة وأياد متمايلة، وتُظهر هذه التصاميم الزخرفية النساء وهن عاريات الأعضاء التناسلية، وفي نفس الوقت تُبرز خصائص عبادة الأعضاء التناسلية للأنثى، وتُظهر الرسومات الأنثى في وسط الصورة، أما الذكر فيظهر مائلاً، وفي نفس الوقت يحتل مرتبة التبعية للأنثى. والجدير بالذكر أن كل ما سبق يوضح خصائص عبادة الأعضاء التناسلية في المجتمع الأمومي بالمناطق الغربية التي تعتمد على الأنثى في طلب التكاثر في الأولاد.

أما الجزء السفلي للرسوم الصخرية فتُظهر بوضوح الأعضاء التناسلية للذكر. ومن بين الصور توجد صورة لافتة للنظر لذكر وأنثى في حالة جماع، وفي أسفل الصورة يوجد شخصان صغيران يبلغ ارتفاعهما حوالي 20 سم، ويوجد في الصف الأعلى ثلاثون فردًا، أما في الصف الأسفل فيوجد عشرون فردًا، وتظهر هذه الرسومات في أوضاع راقصة منتظمة. وللعلم فإن هذه الرسوم الراقصة ترمز إلى تكاثر الأجيال بعد العملية الجنسية بين الذكر والأنثى، وفي نفس الوقت تُبرز هذه الرسومات الأماني العالية في تكاثر الأولاد لدى الإنسان البدائي في المناطق الغربية. ومن بين التصاميم الزخرفية للحيوانات الموجودة على الرسوم الصخرية يوجد تصميمان على شكل حصان يجذبان الأنظار بشدة. وقد وُضع هذان التصميمان بين التصاميم الزخرفية للنساء العاريات، وبالنسبة إلى التصميم الأول للحصان فإنه تم ربط رأس الحصان الأول مع رجل الحصان الآخر باللون الأحمر، حيث يشبه في نفس الوقت شكل الشعار أو العلامة. أما التصميم الزخرفي الآخر للحصان فليس فيه اللون الأحمر الموجود في التصميم الأول، أما من حيث الشكل فإنه يشبه التصميم الأول إلى حد ما، إلا أنه تم إبراز الأعضاء التناسلية للذكر في هذين التصميمين. وبتحليل التصميمين من جهة الشكل، تم اكتشاف أن التصميمين اللذين تم رسمهما على شكل حصان لم يتم رسمهما في نفس توقيت التصاميم الزخرفية للنساء العاريات، ومما يلفت النظر أيضًا أن التصميم الزخرفي للحصان يُبرز ظاهرة التناسل لدى الحصان والتي لها علاقة وثيقة للعلاقات الحياتية للإنسان البدائي الذي يعيش في المناطق الغربية. وبالنظر إلى هذين التصميمين، نجد أن الإنسان البدائي دائمًا ما كان يستدعي في مخيلته التكاثر، بالإضافة إلى أن هذين التصميمين يعكسان خصائص عبادة الأعضاء التناسلية في المجتمع الأبوي.

وعلاوة على ذلك، فإن الإنسان البدائي الذي عاش بالمناطق الغربية يعتقد أن الغابات ترمز إلى الأعضاء التناسلية للذكور، خاصة الأشجار الكبيرة وجذع الشجرة. ومما يدل على ذلك هو أن المرأة الراغبة في الإنجاب دائمًا ما تأتي إلى الغابة لقضاء ليلة فيها، أو تقوم باحتضان جذع الشجرة وتتضرع

إليها بطلب إنجاب الأولاد. ويقال إن أم البطل ماناسي وأم البطل القازاقي ألباهميس قد ظلا في الغابة بمفرديهما، وذلك من أجل طلب إنجاب الأولاد، وهذه العادات لا تزال باقية إلى الآن. علاوة على ذلك، فإن بعض الناس لا يزالون يعتقدون أن العمود الحجري في المروج دليل على عبادة الأعضاء التناسلية للذكور.

وما يجب التنبيه عليه هو أنه يوجد في مقابر شمال شينجيانغ مزار خاص للنساء، يؤدين فيه صلاتهم وطقوسهم الدينية، ويطلقون عليه اسم آلي وو تسي وو الي، ويقال إنها مقبرة لرجل أعزب يمتلك القدرة على منح اللاجئين إليه البنين والبنات. ولذلك تتردد النساء الراغبات في الإنجاب على هذه المقبرة للعبادة مهما كان حال الطقس سواء كان بردًا قارسًا أو شديد الحرارة. وهذا بالتأكيد أحد الدلائل على عبادة الأعضاء التناسلية للذكور.

وقد عبدت قومية الترك باختلاف طوائفها إلهة النسل "وومي"، ويرى هؤلاء أن وومي تستطيع أن تهبهم الأولاد وأن تغدق عليهم المزيد من البركة في حياتهم المعيشية. وعندما هاجر الويغور إلى المناطق الغربية كانت الإلهة المسؤولة عن الإنجاب هي "وومي"، لذا قدسوها تقديسًا كبيرًا. وقد ذُكر في كتاب "ديوان لغات الترك" أن من طلب من الإلهة وومي الأولاد أعطته. وفي الحقيقة، فإن وومي تعني عندهم "مشيمة المرأة". وتعكس عبادة الإلهة وومي عبادة الأعضاء التناسلية للأنثى، حيث لا تزال بعض الآثار التي تدل على عبادة الويغور للإلهة وومي موجودة إلى اليوم. أما بالنسبة إلى منطقة هامي التي دخل فيها الدين الإسلامي مؤخرًا، فإنهم لا يزالون يعتقدون أن الإلهة وومي هي التي تحفظ أطفالهم من كل سوء، ولذا فهم يقدسونها ويعبدونها. على سبيل المثال، عندما يقومون بغسل الطفل بعد الولادة، فإن القائم على غسله يقول له: "إن اليد التي تقوم بغسلك ليست يدي، وإنما هي يد الإلهة وومي". وحينما يضحك أو يبكي المولود في نومه، فإن الأشخاص البالغين يقولون: "إن الإلهة وومي هي التي تضحكه أو تبكيه".

عبادة الأجداد

بعد ظهور المجتمع الأبوي، ومع ظهور الأسر التي يكون الرجل فيها هو مركز القوة، بدأت عبادة الناس تتطور تدريجيًا من عبادة الأعضاء التناسلية للذكور إلى عبادة الأجداد. والجدير بالذكر أن عبادة الأجداد هي خليط من عبادة روح الميت ومفهوم العشيرة والعرق الأسري. وفي الحقيقة، فإن عبادة الأجداد هي في الأصل عبارة عن عبادة أرواح الأجداد. وتظهر عبادة الأجداد في المناطق الغربية القديمة من خلال قيامهم بمراسم الجنائز وتقديم القرابين للآلهة. وتقريبًا كان لكل قومية من القوميات معبودها الخاص من الأجداد، حيث يعتقدون بأن معبودهم يتمتع بقدرة خارقة، بالإضافة إلى أخلاقه الحميدة. وتعكس الملحمة الويغورية القديمة "أسطورة أغوز خان" عبادة الويغور لأجدادهم القدماء، حيث تعد

"أسطورة أغوز خان" الأسطورة التي تناولت عبادة الويغور لجدهم أُغوز خان الذي هو نفسه يعد أحد الشخصيات الأسطورية.

كان البطل أغوز خان شخصًا عجيبًا منذ ولادته، فقد بلغ سن الرشد بعد أن أتم أربعين يومًا فقط، كما كانت ملامحه أيضًا عجيبة، فقد كان جميلاً للغاية، ذا شفاه قرمزية وعينين زرقاوين، وحواجبه وشعره أسودين. ومما يثير العجب هو أنه رضع حليب أمه مرة واحدة فقط، ثم بدأ بالكلام وطلب لحمًا نيئًا وطعامًا ونبيذًا. وبعد أربعين يومًا، أصبح بالغًا، ومن ثم بدأ يمشي ويلعب. لم يكن هذا طفلاً فحسب، بل بدا وكأنه عاصفة، لم تكن تسعه الدنيا، وبعد أيام غدا رجلا لا يلوى له ذراع، عريض المنكبين، ذا خصر ذئبي، وكان الشعر الكثيف يغطي جميع جسده. وبعد مرور الأيام، بدأ بالمصارعة وركوب الخيل وصيد الوعل. وكان يعيش في الغابة، وعند وصوله لسن الشباب كان قد ظهر في إحدى الغابات المجاورة وحش ينشر الرعب في المنطقة، ويُلحق الضرر بالإنسان والماشية، إلا أن البطل أغوز خان انتظر هذا الوحش بمفرده في الغابة وصارعه واستطاع قتله وقطع رأسه. وكانت "أسطورة أغوز خان" مليئة بالقصص العجيبة، فقد كان أغوز خان يتمتع بقوة خارقة، لذا كان له مكانة خاصة في قلوب الويغوريين.

كانت عبادة الأجداد تقتصر على الجد الذي يمتلك القوة الخارقة، لذا نجد أن الأجداد المعبودين كانوا أبطالاً عظامًا في قوميتهم. ويُدلل على ذلك هو أن القرغيز كانوا يعتبرون ماناسي جدًا لهم، ولذا فإن الظاهرة الرئيسة عندهم هي عبادة البطل ماناسي. وبالرغم من أن ماناسي قد رحل عن عالمهم، إلا أن سلالته وشعبه لا زالوا يؤمنون إيمانًا راسخًا بأن روحه ما زالت موجودة معهم، كما أنهم يؤمنون بأن روحه هي السبب وراء الانتصارات التي يحققونها على أعدائهم، الأمر الذي يجعلهم دائمًا يهتفون باسمه كلما خاضوا معركة ضد أعدائهم، ومن ثم ينتشر اسمه في جميع أرجاء المعركة، حينئذ يرتعد أعداؤهم من الخوف مما يجعلهم ينهزمون هزيمة تلو الأخرى. ولم يقتصر ظهور ماناسي في الأدب الشعبي فحسب، بل ظهر أيضًا في جميع مناحي الحياة الواقعية، وما زال ماناسي هو المعبود الخاص بالقرغيز إلى اليوم، ولذا كلما واجهتهم مشكلة أو عانوا من كارثة، تضرعوا إلى ماناسي حتى يمنحهم الحماية. ويظهر هذا جليًا في حلف أحدهم وقسمه، حيث يقول: "إذا حنثت في وعدي معك، فسوف أتعرض للعقاب الشديد من قبل روح ومقبرة وقوة ماناسي". ومما سبق، يتضح لنا أن عبادة الأجداد ترتبط ارتباطًا وثيقًا بعبادة الأبطال الخارقين للعادة.

لقد كان السبب في وضع الأدوات الجنائزية الدفينة التي عثر عليها في المقابر القديمة في شينجيانغ هو اعتقادهم أن روح الميت لا تزال تنعم بالحياة في العالم الآخر. وقد تولدت عبادة الأجداد تدريجيًا



غناء رعاة قومية القرغيز لملحمة "ماناس" البطلية.

بسبب اعتقاد الأجداد القدماء بأن روح الميت لا تزال موجودة معهم في جميع نواحي حياتهم، وذلك من أجل حماية عشائرهم وقبائلهم. والجدير بالذكر أنه لا يزال يوجد حتى الآن الكثير من التماثيل الحجرية أمام القبور التي تقع في مروج شينجيانغ، وكانت أشكال هذه التماثيل تبدو بسيطة للغاية، كما أنها تعتبر واحدة من بقايا تراث القدماء الأتراك في القرنين السادس والسابع، حيث تحمل تلك التماثيل بين طياتها مضمون عبادة الأجداد. ومن بين الآثار التي عُثر عليها في شينجيانغ، بعض الأواني والسكاكين والقدور الصغيرة والزناد والأقواس والسهام وغيرها من مستلزمات الحياة، أما الأدوات الجنائزية الخاصة بالنساء فهي الأقراط والأساور وغيرها من الحلي، والهدف من وضع هذه الأشياء سالفة الذكر هو اعتقادهم بأن الإنسان سيعود مرة أخرى للحياة بعد الموت.

المعتقدات الشامانية الغامضة بشينجيانغ

أصل وخصائص الشامانية

تُعد الشامانية واحدة من الأديان البدائية التي تعتمد على عبادة الأجداد، حيث نشأت هذه الديانة

عبر مجموعة من المراحل التاريخية الطويلة. فكانت البداية مع عبادة الطبيعة والحيوانات والنباتات والطوطم التي ظهرت في المجتمع البدائي، ومن ثم تدرجت عبادته إلى عبادة الأجداد، ولذلك فإن الشامانية ليس لها مؤسس كمعظم الأديان، لكنها كانت نتاجًا للتطور الطبيعي للأديان البدائية.

وتنحدر كلمة شامان من لغة تونغوسكا والتي تعني الكاهن؛ وذلك لأن عبادة الكاهن هي إحدى الخصائص الدينية في الديانة الشامانية. وقد أطلقت الكتب التاريخية الصينية على تلك الديانة مجموعة من الأسماء، مثل (وو) التي تعني العراف، والسحر والساحر، وغيرها من الأسماء. وفي منتصف القرن الثاني عشر، أطلق شو منغ شين (خلال فترة سونغ الجنوبية) اسم "شان مان" على الشامانية في إحدى مؤلفاته، أما في كتابه "تاريخ جين" فقد أطلق اسم "ساماو" أو "سامو" على الشامانية، كما أُطلق اسم "ساما" على الشامانية في كتاب "تاريخ تشينغ"، وعلاوة على ذلك، فإن شو منغ شين أطلق اسم "شامان" على الشامانية في مطلع كتابه "نماذج من أحداث تشينغ العظمى"، ومن ثم انتشر هذا الاسم كالنار في الهشيم ولا يزال مستخدمًا حتى يومنا هذا.

ومن خصائص هذه الديانة أنها ترى أن كل شيء في العالم له روح، وأن كل روح لها شكل وأداء ونمط حياتي ومكان خاص بها، وأن السبب في تغيرات الطبيعة يعود إلى وجود الأرواح والجن والأشباح، فضلاً عن دورها الذي تلعبه في تلك التغيرات، وأن التأثيرات الإيجابية والسلبية التي تُحدثها هذه



رقص الشامان بمحافظة تشابوتشار لقومية شيبو ذاتية الحكم

التغيرات على الإنسان تخضع في النهاية لإرادة الأرواح. والجدير بالذكر أن من يتبعون هذه الديانة يمارسون بعض الطقوس المعتادة لمطالبة الآلهة بأن تنعم عليهم بالبركة وتُجنبهم المصائب والشرور. ومن بين هذه الطقوس، تقديم القرابين وقهر الشياطين التي تقترب من جسد الإنسان، وطرد الشياطين عن طريق الرقص، إلى جانب تحضير الأرواح من خلال بعض التعويذات السحرية وغيرها من الطقوس، وأن من يقوم بكل هذه الطقوس هو الكاهن (الشامان)، كما يعتبر الكاهن الشخصية المحورية في الديانة الشامانية. وللعلم، فإن الديانة الشامانية ليس لها كتب مقدسة مكتوبة أو مذهب ديني كلاسيكي أو مؤسس لهذه الديانة يتبعه جميع الشامانيون، كما أنه ليس لأتباعها معابد خاصة بهم ولا أي أبنية دينية. علاوة على ذلك، فإن أنشطتهم الدينية ليست موحدة، بل هي عبارة عن طقوس دينية يقوم بها كاهن العشيرة أو القبيلة، ومن ثم تنتشر هذه الطقوس جيلاً بعد جيل.

ومن بين الأدوات التي يستخدمها الشامان، الطبول المقدسة، والعصيان، والسيوف، والحبال، والأعلام، وغيرها.

فأما الطبول المقدسة فهي واحدة من الأدوات الضرورية في الطقوس الشامانية، حيث تنبئ عن نزول الآلهة واقترانها بالجسد، كما تستعمل في عالم الأشباح. وتتمتع الطبول المقدسة الويغورية بشكل متميز، حيث إنها عبارة عن دف أحادي الجانب ذي إطار فاتح، وليس له مضرب، كما تفتقر إلى النقوش أو أي نوع من أنواع الزينة. أما الشامانية عند القازاق والقرغيز فلا يستخدمون الطبول عند القيام بطقوسهم الدينية، بل يستخدمون نوعًا من الآلات الموسيقية التي تؤدي نفس الغرض الذي تقوم به الطبول.

أما غالب قومية الترك الذين يدينون بالشامانية فيستخدمون السيوف المقدسة وكذلك الشامانيون الويغور يستخدمون السيوف أيضًا، حيث يبلغ طول هذه السيوف حوالي 35 سم، لها حدان ومقبض خشبي، ويوضع ثلاث حلقات حديدية بين جسم السيف والمقبض الخشبي؛ وذلك لإصدار أصوات رنانة عند التحرك بالسيف. ويقال إن السيف هو أقوى سلاح يستخدمه الشامان عند محاربتهم للشيطان.

ومن الأدوات التي يستخدمها الشامان أيضًا عند محاربتهم للشيطان، إلى جانب السيف، السوط. وعادة ما يستخدم شامان قومية الويغور سوطًا جلديًا مكونًا من ثلاث شوكات، أما الشامان في قومية القازاق والقرغيز فيستخدمون سوط الحصان العادي.

ومن بين الأدوات التي عادة ما يستخدمها الشامان الحبل الذي يتم فتله بالصوف الأبيض، وعند القيام بالطقوس السحرية يتم جر الحبل من النافذة بطريقة مستقيمة، ومن ثم يتم تثبيته في الأرض، وهو يرمز عندهم إلى جذع الشجرة الكونية. علاوة على ذلك، فإنهم يختارون فروع شجر العناب كفروع

للشجرة الإلهية، ومن ثم يتم تثبيتها في أعلى الحبل، وهذا يرمز عندهم إلى الفروع الكونية التي تستخدم من أجل راحة الآلهة.

أما العلم الذي يستخدمه الشامان أثناء تأدية الطقوس الدينية فإنه يتكون من أربعة ألوان؛ الأحمر، والأزرق، والأبيض، والأسود، ويبلغ طوله حوالي 50 سم. ويتم تعليق هذا العلم على فروع الشجرة الإلهية، وذلك للتمييز بين آلهة الشرق والجنوب والغرب والشمال.

ويستخدم الشامان الويغور المرآة، وهي عبارة عن مرآة زجاجية دائرية يستعملها الكاهن كأداة لطرد الأرواح الشريرة وعلاج الأمراض وللتنجيم، حيث إنهم يعتقدون أن الشياطين تخاف من رؤية المرآة. كما أنهم يستعملونها أيضًا كمصباح صغير، ظنًا منهم أنها تنير طريق الآلهة، ويطلقون عليها اسم "ضوء الشبح".

يؤدي الشامان دورًا رئيسًا في الحياة الدينية والاجتماعية للجماعة لما له من قدرات على شفاء الأمراض، وطرد الشياطين والأرواح الشريرة، وهذه الأمور تعد من أهم الأنشطة الدينية التي يقوم بها الشامان. وفي حالة فقدان الماشية، أو تعرضها للهلاك المستمر، أو فقدان الممتلكات وغير ذلك من الأمور، فإنهم على الفور يطلبون من الشامان تأدية طقوسه الدينية التي تمكنه من طرد الأرواح الشريرة والقضاء على الكوارث التي حلت بهم والعثور على الأشياء التي تم فقدانها.

ويُعد السحر والكهانة جزءا لا يتجزأ من الأنشطة الدينية الشامانية، حيث ترتبط ارتباطًا وثيقًا بنشأة المجتمع وحياته. ويعتبر السحر الخاص بطلب نزول المطر من الأمور العادية في الديانة الشامانية، ويطلق التُرك اسم سحر دودا على هذا النوع من السحر. ولأجل نزول الأمطار يقوم الكاهن الشاماني بوضع صخرة أو حجر في الماء، وبعد ذلك يقرأ بعض التعويذات طالبًا نزول الأمطار، ويقال إن حجر دودا واحد من الأحجار الإلهية التي تتشكل في بطون الأبقار والخيول، إلا أن الباحثين يعتقدون أنه تكون من الحصى العادية. وعند قيام الشامان بهذا النوع من السحر، فإنه يختار أحد ينابيع المياه، ومن ثم يغمر الحجر في هذه المياه، وبعد ذلك يقرأ بعض التعويذات طالبًا نزول المطر. وقد ذُكر في "ديوان لغات الترك" هذا النوع من السحر الذي يكون الغرض منه نزول الأمطار أو القضاء على الكوارث.

أما "التضرع إلى وومي" فهو أحد الطقوس التي يؤديها معتنقو الشامانية لطلب الإنجاب، وتعني كلمة "وومي" مشيمة المرأة في اللغة التركية القديمة. ويعتقد معتنقو الشامانية أن "وومي" لديه المقدرة على زيادة النسل، وفي حالة إصابة الطفل بمرض شديد، فإنهم يعتقدون أن روح الطفل تنتقل إلى العالم الآخر، ومن ثم يطلبون من الشامان أداء طقوسه الدينية التي يتضرع فيها إلى "وومي" طالبًا إعادة روح هذا الطفل المريض.

انتشار الشامانية في جميع المناطق الغربية القديمة

مما لا شك فيه أن الشامانية قد انتشرت سريعًا في المناطق الغربية القديمة، وقد اعتنق أجداد بعض القوميات الحالية بشينجيانغ الديانة الشامانية، ومنها على سبيل المثال: قومية الويغور، وقومية القازاق، وقومية المغول، وقومية القرغيز، وقومية شيبو، وقومية مان، وقومية داور، وقومية التتار وقومية الأوزبك. والجدير بالذكر أن مضمون وشكل الديانة الشامانية يختلف باختلاف نمط الحياة في كل منطقة، وهذا يظهر من خلال خصائصها في كل منطقة.

وقد تناولت مجموعة من الكتب الصينية الحديث الديانة الشامانية بالمناطق الغربية مثل كتاب "سجلات التاريخ" وكتاب "أسرة هان". ومن بين ما ذكر في (كتاب أسرة هان. سيرة شيونغ نو) أن قومية شيونغنو كانت تمتلك معبدًا يقومون فيه بتقديم القرابين والصلاة، بالإضافة إلى القيام بالفنون السحرية. وبعد استسلام لي قوانغ لي (أحد القادة في أسرة هان) إلى شيونغنو، قام زعيم شيونغنو بقتله وذلك بسبب تصديقه الافتراءات التي قيلت عليه. ولم تمض فترة طويلة حتى نزلت النوازل بقومية شيونغنو، فتعرضت القومية للسيول والثلوج لعدة أشهر، مما أدى إلى موت المواشي بسبب الجوع والبرودة، وانتشرت الأوبئة بين سكان هذه المناطق، وأصبحت الثمار لا تنضج، الأمر الذي جعل سكان شيونغنو يعتقدون بأن اللعنة قد حلت بهم بسبب قتلهم للقائد لي قوانغ لي، ولذلك أنشأوا معبدًا يؤدون فيه الصلاة ويقدمون القرابين. ووفقًا لخبراء علم الآثار، فقد تم العثور على معابد مشابهة في أطلال مدن ومراكز شيونغنو.

ولقد كان شعب ووسون، منذ قديم الزمن، يمتلك كاهنًا خاصًا به وذلك خلال فترة المجتمع الأمومي، وكانوا يعتقدون أن هذا الكاهن يُعتبر حلقة الوصل بين عالم البشر وعالم الأرواح، لذلك حظي بالاحترام والتبجيل. ومن شدة تقديسهم للكاهن كانوا يرسمون صورته على صخر الكهوف. ومما يدل على ذلك أنه تم العثور على بعض الرسومات لآلهة على شكل وجه إنسان داخل كهف كانغبالا ببلدية فويون التي تقع في منطقة ألتاي. كما تم العثور على بعض الأشكال التي تشبه شكل وجه الإنسان على الرسومات الصخرية بجبل الجنرال بمدينة ألتاي، وتم رسم هذه الأشكال على هيئة رأس إنسان يرتدي قبعة مدببة، حيث يشبه مظهرها مظهر الشامان تمامًا، وذلك حسب ما ذكرت كتب التاريخ.

كان الشامان يتمتع بمكانة خاصة في قلوب الأتراك. ويقال إن أحد الأسلاف الترك ويُدعى نيشدو كان يمتلك القدرة على السيطرة على الرياح والأمطار وغيرها من قوى الطبيعة. علاوة على ذلك، كان للشامان أن يبدي آرائه في الكثير من شؤون الدولة، لا سيما الشؤون السياسية والعسكرية وغيرها من الأمور الهامة في الدولة، بالإضافة إلى قدرته على التنبؤ بما سيحدث في المستقبل من خير أو شر، ومن ثم

يمكنه اتخاذ ما يراه مناسبًا من قرارات. وما إن يصعد الخاقان على عرش البلاد حتى يتم تنصيبه ليكون رسولاً للإله من قبل الشامان، حيث يمثل الإرادة الإلهية ويتلقى التعليمات الإلهية.

أطلال الشامانية في الأقليات القومية بشينجيانغ

تُعد الشامانية واحدة من الأديان الحيوية القوية. ومهما كانت التغيرات الدينية التي تطرأ على جميع القوميات على مر التاريخ، إلا أن الشامانية يمكنها التسلل داخل عادات وتقاليد الدين الجديد، كما يمكنها أن تبقى على مر العصور والأزمان. ويمكننا أن نرى تأثير الشامانية من خلال المؤلفين الشهيرين " قوتادغوبيليك" و"ديوان لغات الترك" الذي قام بتأليفه أحد علماء الويغور المشهورين بعد أكثر من قرن على دخول الدين الإسلامي إلى شينجيانغ. فعلى سبيل المثال، نجد أنه قد ذُكر في كتاب " قوتادغوبيليك" فصل كامل يتحدث عن كيفية التعامل الأمثل مع "كامو (الشامان)". أما كتاب "مدخل إلى الحقيقة"، نجد أن مؤلفه، الشاعر الويغوري المسلم الذي اتسم بالصدق والورع في الفترة ما بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر والذي يُدعى أحمد يوجينايكي، قد تحسر فيه على الانحطاط الأخلاقي الذي وصل إليه مجتمعه، حيث كان يشكو في كتابه عن قلة الأشخاص الذين يؤدون الصلوات في المساجد، بالإضافة إلى كثرة الأشخاص الذين يلهثون وراء الرقص الشاماني. وبعد مرور مئات السنين، فإن الويغوريين لا يزالون يلهثون وراء الرقص الشاماني حيث يعتبرونه أحد أهم مظاهر الفرحة عندهم في عيد الأضحى وعيد الفطر، ومن ثم يقومون بالرقص الجماعي في هذين العيدين. وبخلاف ما ذكر، فإنه يمكننا رؤية الكثير من العادات والتقاليد التي خلفتها الشامانية في الأقليات القومية الأخرى في شينجيانغ.

ومما يجب التنبيه عليه هو أن الشامان ما زال موجودً في بعض القوميات رغم اندثار الشامانية، ومن بين هذه القوميات: قومية الويغور والقازاق وغيرهما من القوميات. وقد تغير اسمه من "كامو" إلى "باهاشي" (وكان يطلق عليه "باكس" في اللغة القازاقية، أما الكاهنات فيُطلق عليهن اسم "كوشيناش")، وتظهر كلمة باهاشي في اللغة التركية القديمة واللغة الفارسية، وتعني عندهم الرهبان البوذيين، أما في اللغة المنغولية فيطلق عليه اسم "الطبيب"، ويلقب بـ "المطرب" في اللغة التركمانية، كما يطلق عليه اسم "الساحر والكاهن" في اللغة القرغيزية واللغة القازاقية، ويعني عندهم الشخص الذي يعالج المرضى من خلال السحر وقراءة بعض التعويذات.

ويمكننا رؤية الكثير من الأنشطة الدينية التي خلفها الشامانيون في كثير من المزارات الدينية، ومن بين هذه المزارات: مزار أودانغ (يقع في بلدية ينغجيشا)، ومن أهم طقوسهم الدينية أنهم يقدمون القرابين للآلهة. ووفقًا للنظام المتبع عندهم فإن الشامان (الباهاشي) يترأس شعائرهم الدينية، ومن ثم يقوم الشيخ (مراقب المزار) بقراءة بعض آيات الكتاب المقدس والدعاء. ويعتبر الباهاشي (الشامان)

شعيرة العلم (علم المزار) امتيازًا مقدسًا يتناوبه الأجداد جيلاً بعد جيل، وتتناوب الأسرة أو العشيرة فقط على الحصول عليه. كما يقوم الباهاشي بقراءة بعض التعويذات لعلاج المرضى داخل المزار. ومن طقوسهم الدينية الغريبة: أن النساء يقمن بدفن أيديهن في الرمال المجاورة للمزار، ثم يقبضنها ويأكلن ما بها، بغض النظر عما قبضته أيديهن، حتى ولو كانت ما قبضته بعض الحشرات الصغيرة، وذلك كله من أجل طلب الإنجاب أو علاج الأمراض. أما بالنسبة إلى النساء اللاتي يشعرن بعدم السعادة في حياتهن، أو هناك خلافات بينهن وبين أزواجهن أو اللاتي تم تطليقهن خلال فترة الحمل، فإن الساحرات يقمن بربط قطعة من الخيط فوق خصورهن. وبعد انتهاء شعيرة التضحية الرسمية، يرقص الجميع حول المزار، حيث تشبه حركاتهم تمامًا حركات الشامان، ويعتقدون أن هذه الحركات الراقصة التي يقلدون فيها الشامان تحمل في طياتها معنى التضحية.

ومن الجدير بالذكر أن كلمة "باكس" تعني باللغة القازاقية: عالم، شاعر، عازف موسيقى، مطرب، مستشار القبيلة. وعند قيامهم بالرقص، فإنهم يستخدمون آلة موسيقية خاصة للعزف عليها أثناء إلقاء الأغاني. علاوة على ذلك، فإنهم يستخدمون عند الحرب مجموعة من الآلات الموسيقية، حيث يقومون بعزف الموسيقى بالقرب من قائد الجيش، وذلك تحفيزًا للروح المعنوية لدى الجنود، كما يقومون بأعمال سحرية تمكن الجنود من الانتصار. ومن العجيب أنهم يطلقون اسم "الشيخ" على بعض الباكسيين، وهي تعني "الشيخ" في الديانة الإسلامية. وعادة ما يحمل هذا الشيخ معه أربعين حجرًا، وذلك لاستخدامها في التنبؤ بخفايا المستقبل المجهول. ومن المعلوم أن بعض هؤلاء الشيوخ لا يتزوجون طيلة حياتهم، بل يكرسون حياتهم في علاج المرضى والتنبؤ بخفايا المستقبل المجهول، إلى جانب الرقصات السحرية التي يقومون بها. أما البعض الآخر من الباكسيين فيطلق عليهم اسم "دي وا نا"، ويلبس هؤلاء عادة ملابس جلدية مصنوعة من جلد الإوز العراقي، ويركبون خيولاً بيضاء، ويحملون في أيديهم الرماح أو العِصي. ويعتقد الناس أن ما يطلق عليهم اسم "دي وا نا" لهم قدسية خاصة، حيث إنهم يسيرون على نفس خطى الشامان، ويتبعون طريق الآلهة، كما يمكنهم أيضًا التنبؤ بخفايا المستقبل المجهول، إلى جانب قدرتهم على علاج المرضى من خلال الإشارة بأصابعهم، ويحظى هؤلاء باحترام كبير. ولذلك فإنه ليس من الصعوبة بمكان أن نجد بعض بقايا الديانة الشامانية في المعتقدات الإسلامية لدى قومية القازاق. علاوة على ذلك، فإن دور الباكسيين ليس مقصورًا على ما ذُكر آنفا فحسب، بل إنهم قدموا إسهامات عظيمة في شتى المجالات داخل قومية القازاق في العصور القديمة، ومنها: نشر وتطوير الأشعار القازاقية القديمة والموسيقى والفنون الأدبية وفن النحت والألعاب البهلوانية، حيث يُعتقد بأنهم الورثة والمطورون للثقافة القازاقية القديمة. (تاريخ المناطق الغربية).



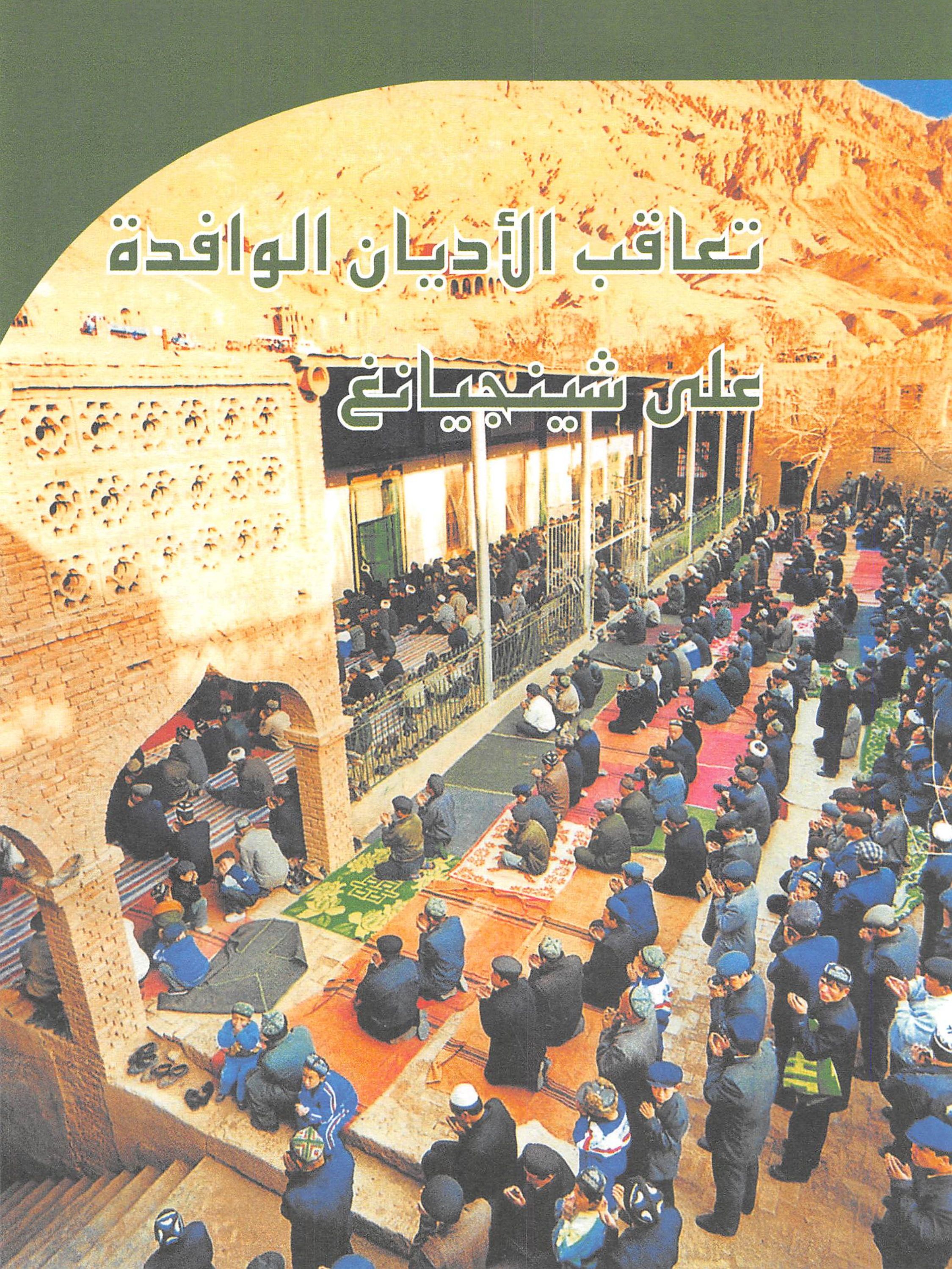
يعالج الطبيب باخهشي المرضى في محافظة موهيوى بمنطقة خهتيان

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن المراسم الخاصة بطلب نزول الأمطار تُعقد أيضًا في المزارات الدينية، حيث تنتشر هذه المزارات انتشارًا واسعًا في الممرات الجبلية، والوديان، والمناطق الصحراوية. ويعتقد الناس اعتقادًا راسخًا بأن الأرواح الموجودة بتلك المزارات تتمتع بقوة خارقة، ومن ثم يمكنها تحقيق ما يتمنوه من هطول الأمطار والحصاد الوفير، وذلك بعد تأدية طقوسهم الدينية من صلاة ودعاء وتقديم للقرابين. ومن الجدير بالذكر أن التقاليد المتبعة في طلب هطول الأمطار منتشرة بشدة في المناطق الريفية في جنوب شينجيانغ، وفي حالة حدوث قحط شديد، فإنهم يذهبون إلى الكهنة ويطلبون منهم نزول الأمطار.

أديان

شينجيانغ

تعاقب الأديان الوافدة على شينجيانغ



انتشرت في شينجيانغ مجموعة كبيرة من الأديان والمعتقدات الدينية، بل وحظيت تلك الأديان بالتعايش، فضلا عن الخصائص المحلية التي تمتعت بها تلك المعتقدات الدينية. فعلى المستوى التاريخي، نجد أنه قد انتشرت الكثير من الأديان بالإضافة إلى عبادة الطبيعة والشامانية، مثل: الزرادشتية، والبوذية، والمانوية، والنسطورية، إلا أن الديانة البوذية والدين الإسلامي هما من أكثر الديانات انتشارًا وتأثيرًا في سكان هذه المناطق. ويعتبر الدين الإسلامي حتى اللحظة الراهنة هو الدين الرئيسي في شينجيانغ، إلا أنه لا يزال هناك أديان أخرى في هذه المنطقة، والجدير بالذكر أن انتشار وتطور الأديان في شينجيانغ قد ترك آثارًا عميقة في هذه المنطقة، لذا يستحق هذا الأمر منا تذوق وتذكر ما كانت عليه هذه الديانات.

الزرادشتية — القطرة الأولى في بحر الديانات الوافدة على شينجيانغ

تعتبر الزرادشتية واحدة من الأديان التي اعتنقها الأجداد القدماء في شينجيانغ، وقد انتشرت هذه الديانة لفترة طويلة في هذه المنطقة، وأحدثت تأثيرًا عظيمًا في الحياة الاجتماعية والتقاليد الثقافية لمعظم القوميات التابعة لشينجيانغ.

نشأة الزرادشتية

يطلق الصينيون على الزرادشتية أسماءً عديدة، من بينها: "دين عبادة النار"، و"دين النار" و"دين هوا شيان" وغيرها من الأسماء، أما معظم البلدان الغربية فيطلقون عليها اسم "دين زرادشت" نسبة إلى مؤسسها زرادشت، وبالنسبة إلى معتنقي الزرادشتية فإنهم يطلقون عليها اسم "المازدية". والجدير بالذكر أن الزرادشتيين يتخذون أهورا مازدا إلهًا لهم، حيث يطلقون عليه أسماءً عديدة، منها: إله السماء، وإله النار، وإله الزرادشت إلخ. وتعتبر "" من الكلمات الأجنبية الدخيلة على اللغة الصينية، وتظهر في السجلات التاريخية لأسرة تانغ، حيث يقال إن نطقها وثيق الصلة باللغة التي يتحدث بها شعب يوتيان، وتعني عندهم إله السماء. أما سبب تسمية الزرادشتية بدين عبادة النار أو دين هوا شيان فيرجع إلى عبادة معتنقي هذا الديانة للنار وتقديسهم لها تقديسًا عظيمًا.

تعتبر الزرادشتية ديانة إيرانية قديمة، وقد ظهرت الزرادشتية في دا شيا (منطقة بلخ بأفغانستان حاليًا) شرق بلاد فارس في الفترة ما بين القرنين السادس والسابع قبل الميلاد. وقد نسبت الديانة إلى مؤسسها زرادشت، حيث تعني كلمة "زرادشت" في اللغة الصينية "الجمل الأصفر"، أو "شكل يشبه الجمل" أو "قائد الجمل". ويُحكى أن زرادشت عندما بلغ عامه العشرين غادر أسرته وعاش حياة منعزلة لمدة عشر سنوات، وعندما بلغ الثلاثين من عمره أسس الديانة الزرادشتية. والجدير بالذكر أنه لم يلق الدعم الكامل

من قبل المجتمع في بداية نشر دعوته، إلا أنه عندما بلغ الثانية والأربعين اكتسب ثقة الملك وستاب، وذلك عندما عالج أحد أفراد الأسرة الحاكمة من مرض خطير ألم به عن طريق قراءته لبعض التعويذات الدينية، ومنذ ذلك الحين اعتنق الملك والوزراء الزرادشتية. علاوة على ذلك، فقد تزوج رئيس الوزراء من الابنة الصغرى لزرادشت، مما هيأ الظروف لانتشار الديانة الزرادشتية. وفي ظل الدعم الكامل الذي حظي به زرادشت من قبل الملك، فقد قاد الجيوش لفتح البلدان المجاورة، ومن ثم انتشرت الزرادشتية في جميع أنحاء المملكة، ولم تمض فترة طويلة حتى انتشرت الزرادشتية في بلاد فارس وجميع أنحاء آسيا الوسطى وأصبحت الديانة الرسمية في هذه البلاد، وقد أفنى زرادشت حياته في نشر الزرادشتية، وقاد الكثير من المعارك الدينية حتى توفي في إحداها عن عمر يناهز 77 عامًا.

الكتب المقدسة والعقائد الزرادشتية

يعتبر الأفيستا هو كتاب الزرادشتية المقدس، ويقع هذا الكتاب في 21 جزءًا، ويبلغ عدد كلماته 053 ألف كلمة. ويتمتع المحتوى الذي يشتمل عليه الكتاب بالغزارة والتعقيد، ومن أهم ما يتضمنه هذا الكتاب: نظريات حول تأسيس الزرادشتية، والمدائح عند أهورا مازدا (إله النور)، والأناشيد الدينية، ومعايير ومبادئ المعتقدات الدينية، والطقوس الدينية، والصلوات اليومية والتي تضم تراتيل في بيان عظمة الإله، والواجبات الدينية، والأساطير الدينية، والأصل العرقي والتطور التاريخي للقوميات الناطقة باللغة الإيرانية، والتطورات التاريخية ...إلخ. كما يحتوي مضمون هذا الكتاب على الخرافات الأسطورية وتاريخ الديانة الفارسية القديمة ...إلخ. وقد استغل زرادشت هذه المواد لتعديل وإعداد خطب دينية بطريقة منهجية منظمة.

تتمثل عقائد الزرادشتية في أربعة وجوه:

(1) الاعتقاد بأن أهورا مازدا هو الإله الواحد وهو على كل شيء قدير، وهو خالق الكون وبكل شيء عليم، وهو المهيمن والمسيطر على كل ما في الكون من النور والظلام وغير ذلك، وهو الذي سيحاسب البشر في اليوم الآخر، وهو مانح الخيرات في الدنيا. وقد أعلن زرادشت صراحة أن أهورا مازدا هو الإله الخالد في هذا الكون، ولم يخلقه شيء، وأنه الخالق لجميع المخلوقات بما فيها الآلهة الأخرى.

(2) النظرية الثنائية (قوى الخير، وقوى الشر)؛ حيث إن معتنقي هذه الديانة يعتقدون أن الخير والشر موجودان منذ بدء الخليقة، كما أنهم يعتقدون بوجود إلهين، أحدهما: أهورا مازدا وهو إله للخير والنور، والآخر: أهريمان وهو إله للشر والظلام. ومنذ بدء الخليقة فإنه يوجد صراع بين الخير والشر، إلا أن الخير ينتصر دائمًا في النهاية.

(3) الاعتقاد بوجود إله للسماء؛ ويشير هذا إلى أن أهورا مازدا قد خلق بعض الآلهة لمساعدته في القضاء على إله الشر، ومن بين الآلهة التي خلقها أهورا مازدا ستة آلهة، ولكل منهم وظيفة أو مهمة مختلفة عن الآخر، وهم كالتالي:

1. واريا خشاترا، وهو إله السماء، وفي نفس الوقت يتولى حماية الأرض.

2. سبنته أرمئيتي، وهو إله حماية الأرض.

3. هوروارتات، وهو إله حماية المياه.

4. امريتات، وهو إله حماية النباتات.

5. وهومن، وهو إله حماية البقر الذي يرمز إلى الخير.

6. واهيشته أشا، وهو إله حماية النار والكون والإنسان.

(4) الاعتقاد بالحساب لمن يفعل الخير والشر، حيث يعتقد الزرادشتيون أن الروح تهيم لمدة أربعة أيام بعد الوفاة قبل أن تنتقل إلى العالم الآخر، وأن روح الميت ستصل الى الجسد في اليوم الرابع من وفاته، وأن روح المؤمن الصالح ستظهر بمظهر فتاة جميلة ذات قوام رشيق ومظهر أنيق، بينما روح الكافر الطالح ستظهر بمظهر عجوز شمطاء، وبعد ذلك فإن الزرادشتي الصالح سيخلد في الجنة إلى جانب زرادشت، في حين أن الفاسق سيخلد في النار إلى جانب الشياطين. كما يعتقدون أن عالم الجنة يشتمل على أربع طبقات: النجوم، والقمر، والشمس، والجنة، وأن النار تنقسم إلى أربع طبقات، حيث يتم تحديد الطبقة التي سيخلد فيها الإنسان وفقًا لما قدمه من خير أو شر في الدنيا. ومن بين معتقداتهم أن روح الشر سوف تسقط في النار أثناء مرورها على الصراط الذي يكون أحد من السيف. ومهما كان مصير الروح سواء إلى الجنة أو إلى النار، فإنه ما زال يوجد حكم نهائي (يوم القيامة)، وبعد هذا الحكم النهائي يمكن لروح الشر إذا تطهرت من الذنوب التي اقترفتها أن تبعث مع روح الخير ويدخلان سويًا إلى جنة السعادة.

شعائر الزرادشتية

تشكلت شعائر وطقوس الديانة الزرادشتية وفقًا للاحتياجات العقائدية والعادات والتقاليد لبلاد الفرس القديمة، وبسبب التعقيدات التي طرأت على طقوس وشعائر الزرادشتية، فقد كانوا يطلقون عليها اسم "دين الشعائر"، ومن أهم الطقوس الزرادشتية ما يلي:

(1) الصلاة والإيمان بالكتاب المقدس، حيث تقام الصلاة في الديانة الزرادشتية خمس مرات في اليوم؛ الأولى قبل الفجر، والثانية في الظهر (انتصاف النهار)، والثالثة قبل غروب الشمس، والرابعة عند الغروب، والخامسة في منتصف الليل. وتسبق الصلاة عملية الوضوء التي تتضمن غسل الوجه واليدين

والقدمين. ثم بعد ذلك يقف المصلي منتصباً مرسل الذراعين في حضرة أهورا مازدا، ثم يتلو في صلاته بعض الأدعية الخاصة بالصلاة. وبينما تكون عينا المصلي مثبتتين على النار المقدسة التي أمامه فإنه يقوم بحلّ شاله ويمسك به بكلتا يديه. وفي نهاية الصلاة يقوم المصلي بإعادة الشال إلى وسطه فيلفه ثلاث مرات، ثم يعقده من الأمام ومن الخلف إشارة إلى عناصر الأخلاق الزرادشتية الثلاثة. وهذا الشال هو الشارة التي يميز بها الزرادشتيون أنفسهم؛ كما أن حله وإعادة ربطه واحد من الطقوس التي ترمز إلى تمسك المؤمن بالتعاليم وتذكرها على الدوام. أما كلمات الصلاة عندهم فهي عبارة عن كلمات تحمل في طياتها الثناء والعبودية، وهي تدل على إيمان الزرادشتي بالكتاب المقدس.

(2) عبادة النار المقدسة؛ حيث يعتقد الزرادشتيون أن النار تعتبر ابن أهورا مازدا، وهي من أقوى المخلوقات التي خلقها الإله، ولذلك يقدسون النار على اعتبار أنها ترمز إلى أهورا مازدا، وتعتبر الصلاة تجاه النار من أهم الواجبات التي يجب أن يلتزم بها الزرادشتي.

(3) مراسم دخول الزرادشتية. وهي تعني عندهم أن كل ذكر وأنثى من أتباع الزرادشتية يجب أن يؤدوا هذه الشعيرة في سن محدد، حيث إن معتنقي الزرادشتية في الهند يؤدون هذه المراسم في سن السابعة، أما في إيران، فإن الزرادشتيين يؤدون هذه المراسم في سن العاشرة، والجدير بالذكر أن جميع أعضاء المجتمع الزرادشتي يجب أن يشاركوا في هذه المراسم. وأثناء هذه المراسم يقوم الكاهن بمنح الرباط المقدس واللباس المقدس كعلامة على دخول الزرادشتية، ويكون اللباس المقدس مطرزًا بقماش الكتان الأبيض، حيث يرمز الوجه الأمامي والوجه الخلفي إلى الماضي والمستقبل. وفي نفس الوقت، فإن الرباط المقدس يكون منسوجًا بـ 27 حبة من الصوف والتي بدورها ترمز إلى 27 فصلاً في "الأفيستا. ياسنا". أما طوله فهو عبارة عن ثلاث حلقات حول الخصر، وهذا يرمز إلى الفكر الحسن، والقول الحسن، والعمل الحسن. ولذا يجب عليهم ارتداء اللباس المقدس والرباط طيلة حياتهم.

(4) الطهارة والنظافة. يهتم معتنقو الزرادشتية بالطهارة اهتمامًا بالغًا، حيث إن حرص الزرادشتي المبالغ فيه على النظافة يأتي من اعتقاده بأن الفساد والتحلل والعفونة وكل أنواع القذارة هي من عمل الشيطان. ومن هنا فإن النظافة والبُعد عن الاحتكاك بكل ما هو قذر وملوث هو شأن يعادل الصلاة والعمل الطيب، ولذا فإن طقوس الطهارة عندهم تكون معقدة للغاية، حيث إنهم يعتقدون أن الأشياء في الحياة عامة تنقسم إلى طاهرة ونجسة، وكذا من الأطعمة ما يحل أكلها وما يحرم أكلها. ومن أطهر الأشياء عندهم والتي يعتقدون أنها لا تنجس أبدًا: النار، والماء، والمعادن. ومن ثم يهتم الزرادشتيون حتى الآن بطهارة الماء، حيث يجب التأكد من كونه نظيفًا وطاهرًا وأنه قد جُلب من مصدر غير ملوث قبل استخدامه في الشرب والطبخ والاغتسال. وفيما يتعلق بالنار المنزلية أو نار الطقوس، فإن وقودها

يجب أن يقتصر على القش والعيدان والحطب وألا يُحرَق فيها الروث والقمامة وغيرها، كما يجب تجنب إطفاء النار عن طريق القدم. علاوة على ذلك، فإنه يمنع منعًا باتًا عندهم ملئ الوعاء بالأطعمة الزائدة عن مقداره ووضعه في النار، حتى لا يقع الطعام في النار ومن ثم يتم تلويثها.

أما طقوس النظافة، فتنقسم عندهم إلى ثلاثة أمور:

أولاً: الوضوء، ويشير إلى غسل الأجزاء المكشوفة من الجسد قبل وبعد الصلاة والقيام من النوم والتبول والتبرز وتناول الطعام، إلى جانب قراءة بعض آيات الكتاب المقدس.

ثانيًا: الغسل، ويشير عندهم إلى غسل جميع الجسد عند مراسم الدخول في الزرادشتية والزواج والولادة، ويجب أن يكون الغسل تحت إشراف الكاهن، ولا بد أن يتم غسل الجسد ثلاثين مرة، وهو ما يسمى عندهم "الثلاثون غسلاً".

ثالثًا: الغسل الخاص، وهذا الغسل يكون مقتصرًا على بعض الأشخاص حيث يكون أكثر تعقيدًا من سابقه. ومن بين الأشخاص الذين يجب عليهم أداء هذا الغسل: رجال الكهنوت، والأشخاص الذين يحملون الجثة، بالإضافة إلى الأشخاص الذين يعتنون بالمرضى المشرفين على الموت، وهذا الغسل يسمى عندهم "غسل الليالي التسع".

(5) طقوس الدفن. تُعد المياه والنار والتراب من الأشياء المقدسة عند معتنقي الزرادشتية، فيدخل التراب القذر وكذلك النار والمياه إلى قائمة المحرمات. ولذا يقوم أتباع الزرادشتية بتنفيذ ما يسمى بالدفن الزرادشتي. فبعد موت الزرادشتي توضع جثته على أبراج خاصة تسمى أبراج الصمت. وعادة ما يتم بناء البرج في سفح جبل، ويوضع في قمة هذا البرج لوح حجري، ويوجد بداخله بئر، وينقسم البرج إلى ثلاث طبقات؛ داخلية وخارجية ومتوسطة، وذلك لوضع جثث الرجال والنساء والأطفال، وبعد ذلك تُترَك الجثة مكشوفة في العراء حتى تتحلل بتأثير العوامل الطبيعية أو انقضاض الطيور الجارحة عليها، ثم يتم وضع ما تبقى منها في البئر. ومن الجدير بالذكر أنه عند بناء برج الصمت فإنهم يقومون بأداء صلاة إرساء حجر الأساس، والتي تعتبر من الطقوس المهيبة الموجودة عندهم.

أعياد الديانة الزرادشتية

تعتبر العادات الفارسية القديمة منبع العادات المتبعة في الأعياد الزرادشتية. وتنقسم السنة حسب التقويم الفارسي إلى اثني عشر شهرًا، منقسمين إلى فصلين: الربيع والخريف. ومن أهم الأعياد عندهم عيد في بداية فصل الربيع وعيد في بداية فصل الخريف. والجدير بالذكر أن السنة عندهم تنقسم إلى ستة فصول صغرى، وكل فصل من الفصول له عيد خاص به، ومن بينها: عيد منتصف الربيع (الشهر



تجمع الجماهير من مختلف القوميات في هامي بشينجيانغ معا للاحتفال بحلول "عيد النوروز".

الثاني من الربيع) وعيد منتصف الصيف (الشهر الثاني من الصيف) وعيد الحصاد وعيد العودة إلى المنازل وعيد منتصف الخريف وعيد الصلاة للأرواح... إلخ، إلا أن زرادشت قام بتعديل هذه الأعياد لتكون ذات صلة بالإله أهورا مازدا، وتم صبغ الأعياد عندهم بالصبغة الدينية، ولذا يجب على جميع الزرادشتيين الالتزام بهذه الأعياد.

ومن أشهر الأعياد الزرادشتية عيد بداية العام وأوانه الاعتدال الربيعي، وأول من حدد موعد هذا العيد زرادشت، حيث يطلق على هذا العيد اسم "عيد النيروز" في اللغة الفارسية، ويبدأ هذا العيد قبل يوم واحد من الاعتدال الربيعي ويكون الاحتفال به في المساء، ويرمز هذا العيد إلى انتهاء فصل الشتاء القارس وبداية فصل الربيع، ومن ثم يعود كل شيء نضرًا بهيجًا، كما يعود إله الهاجرة إلى الدنيا لإعطاء الدفء والنور.

وتعتبر المشاركة في الشعائر الجماعية لهذه الأعياد واجب أساسي على كل زرادشتي مثل أداءه الصلوات الخمس تمامًا، لذا لا يجوز له التخلف عن شعائر هذه الأعياد، وما إن حل وقت العيد حتى يستيقظ الزرادشتيون من نومهم مبكرًا، ثم يجتمعون في المعبد لتقديم القرابين إلى أهورا مازدا، ثم يعدون مائدة كبيرة لتناول الطعام يتحدثون حولها عن الأيام الخوالي، ثم يعم الضجيج أرجاء المكان.

انتشار الزرادشتية في المناطق الغربية

تعتبر الزرادشتية من أقدم الأديان الوافدة على سكان منطقة شينجيانغ، إلا أن كتب التاريخ لم تذكر بالتحديد تاريخ دخول الزرادشتية إلى شينجيانغ. وفي عام 1978م، تم العثور على أثر تاريخي يتعلق بالديانة الزرادشتية في منطقة أورومتشي ومنطقة إيلي، وهو عبارة عن قرص نحاسي حامل للوحوش ذي قاعدة مربعة عالية. ووفقًا لما ذكره علماء الآثار، فإن هذين القرصين النحاسيين يرجع تاريخهما إلى ما بين القرنين الأول والخامس قبل الميلاد. ويشبه هذا الشكل شكل منصة تقديم القرابين للآلهة الخاصة بالديانة الزرادشتية التي تم اكتشافها في آسيا الوسطى، كما أن هذه الأسطوانة النحاسية يتم استخدامها من قبل الزرادشتيين في تقديم القرابين للنار المقدسة، ومما سبق يتضح أن الديانة الزرادشتية قد دخلت منطقة شينجيانغ في الفترة ما بين القرنين الأول والخامس قبل الميلاد. علاوة على ذلك، فإن الديانة الزرادشتية قد دخلت شينجيانغ عن طريق بلاد فارس مرورًا بشمال طريق الحرير وآسيا الوسطى ومنها إلى شينجيانغ.

ونظرًا لوجه الشبه بين الديانة الزرادشتية التي تأمر بعبادة السماء، والأرض، والشمس، والقمر، والماء، والنار، والأخشاب، والتراب، وبين عبادة الطبيعة المنتشرة في شينجيانغ، لذا كان من السهل على سكان شينجيانغ أن يتقبلوا الديانة الزرادشتية بكل سلاسة. وفي الفترة ما بين أسرة وي جين وأسرتي تانغ وسونغ، فقد انتشرت الزرادشتية بسرعة داخل شينجيانغ. وفي هذه السنوات، تم العثور على عدة توابيت فخارية في منطقة توربان، وذلك في عهد أسرة تانغ، حيث يدفن في هذه التوابيت الفخارية أتباع الديانة الزرادشتية. كما تم العثور على بعض الكتابات التي تتعلق بالأنشطة الزرادشتية، إلى جانب بعض الأسماء لمعتنقي الديانة الزرادشتية على الأوراق الأثرية التي تم اكتشافها في منطقة توربان. وقد تم تسجيل انتشار الديانة الزرادشتية في منطقة فوربان في كتب التاريخ، حيث ذكرت هذه الكتب أن: "سكان منطقة جاوتشانغ كانوا يعتنقون الزرادشتية إلا عددًا قليلاً منهم كان يعتنق البوذية"، وهذا يدل على أن الديانة الزرادشتية كانت منتشرة في هذه المناطق في تلك الفترة. والجدير بالذكر أن الانتشار السريع للديانة الزرادشتية في منطقة جاوتشانغ قد أثار انتباه حاكم هذه المنطقة، ومن أجل تعزيز إدارة الديانة الزرادشتية، تم إنشاء جهات مسؤولة عن الديانة الزرادشتية، ومن ثم تم وضع بعض القيود على الأنشطة الخاصة بهذه الديانة.

وبعد الانتشار السريع الذي حظيت به الديانة الزرادشتية في السهول الوسطى تم وضع الكثير من القيود التي تحد من انتشار هذه الديانة، وبالفعل شهدت هذه الديانة اضمحلالاً كبيرًا في أواخر عهد أسرة تانغ، إلا أنها لا زالت منتشرة بصورة جيدة في شينجيانغ. ووفقًا لـ ((كتاب أسرة تانغ))، فإن الديانة

الزرادشتية لم تشهد انتشارًا واسعًا في منطقة توربان ويانكي فحسب، بل ذاع صيتها في منطقة يوتيان وشولا اللتين تعتبران مركزين للديانة البوذية، ومن هنا أصبحت الزرادشتية إحدى الديانات الرسمية التي يعتنقها سكان هاتين المنطقتين. وعلاوة على ذلك، فإن الديانة الزرادشتية قد انتشرت أيضًا في منطقة هامي. وقد ذكر في كتاب "السجلات الجغرافية لشاتشو وييتشو" الذي تم تأليفه في السنة الأولى من فترة تانغقوانغ تشي (عام 885م) بوجود معبد زرادشتي في منطقة هامي.

وفي عهد الأسر الخمس [1] وحتى عهد أسرة سونغ، فقد انتشرت الزرادشتية بشدة في منطقة شينجيانغ. وقد ذُكر في كتاب "تاريخ الأسر الخمس القديمة، سيرة البلدان الخارجية" أن أهل مملكة يوتيان قاموا على خدمة آلهة الزرادشتية، كما ذُكر في كتاب "تاريخ سونغ، سيرة البلدان الخارجية" معلومات عن اعتناق أهل يوتيان للزرادشتية. علاوة على ذلك، فقد كتب الرحالة الأجانب الذين جاءوا إلى الصين عن اعتناق سكان شينجيانغ للزرادشتية، حيث كتب الرحالة العربي مسار في القرن العاشر عن اعتناق القرغيز للزرادشتية، حيث ذكر أنهم "يحرمون إطفاء النار" و"عند الصلاة يتجهون ناحية الجنوب لعبادة زحل وفينوس والمريخ". وللعلم فإن هناك بعض معتنقي الزرادشتية في بلاد باشي (بلدية تسالا بشينجيانغ حاليًا).

وتدل وثائق علم الآثار والفولكلور على أن تعاليم الزرادشتية يتم تنفيذها بصرامة على معتنقي الزرادشتية في شينجيانغ. والجدير بالذكر أن الديانة الزرادشتية لا تأمر بعبادة النار فحسب، بل تأمر أيضًا بعبادة الماء والتراب والأخشاب. ولهذا فإنهم يعتقدون أن جثث الموتى غير طاهرة، لذا يكرهون فكرة اختلاط الجسد المادي بعناصر الحياة؛ الماء والتراب والنار حتى لا يلوثها، فضلاً عن أنهم لا يضعون الموتى في التابوت الخشبي، ولذا فإنهم يقومون بتنفيذ ما يسمى بـ "الدفن الشمسي أو الدفن الهوائي". فبعد موت الزرادشتي فإن جثته توضع على مصطبة حجرية في سفح جبل أو في صحراء جوبي، حيث تترك مكشوفة في العراء حتى تتحلل بتأثير العوامل الطبيعية أو بانقضاض الطيور الجارحة عليها. وبعد فترة كافية من تحلل الجسم تدفن العظام داخل برج الصمت المصنوع من الصخور اللوحية والقطع الحجرية. وبالرغم من أن الزرادشتيين يتبعون تعاليم الزرادشتية وينفذونها بكل دقة وصرامة، إلا أنهم قد اتخذوا بعض الإجراءات التي تتناسب مع الظروف المحلية، ومن بين هذه الإجراءات إجراء بعض التعديلات على الطقوس الخاصة بدفن الموتى، حيث إنهم لا يستخدمون برج الصمت فحسب، بل يدفنون ما تبقى من عظام الميت في صندوق عظام الموتى المصنوع من الصلصال أو في التابوت المصنوع من الفخار.

---

[1] تطلق على فترة الانقسامات والحكم الانفصالي الذي شهدته البلاد في أواخر عهد أسرة تانغ وبداية أسرة سونغ.

الآثار الزرادشتية

بالرغم من اضمحلال الزرادشتية، إلا أن هناك آثارًا لبعض عاداتها وتقاليدها ما زالت إلى اليوم، وذلك بسبب انتشارها لفترة طويلة، وتشابهها مع طقوس وشعائر عبادة الطبيعة، لذلك تركت هذه الديانة بعض التقاليد التي ما زالت عالقة حتى الآن في أذهان الكثيرين.

فما زالت التقاليد الخاصة بالزرادشتية قائمة في ريف قومية الويغور. ففي قرية دونغ فينغ بمنطقة هامي لا زالت "رقصة عبادة النار" و"رقصة المصباح" موجودة، كما أن رقصة المصباح موجودة أيضًا في كاشغر، وفي بلدة كاتشه تُمارس بعض العروض السحرية التي تتمثل في نفخ النار عند عزف المشربية. أما بالنسبة إلى قومية القرغيز وغيرها من القوميات البدوية فإنهم يشعلون النيران باستخدام طريق الأعشاب في اليوم السابق لعيد النيروز، حيث تقفز الجماهير والدواب من فوق تلك النيران، ظنًا منهم أن ذلك يخفف الكوارث ويقلل المصائب، فضلاً عن الازدهار الذي تحظى به البرية والمواشي في العام الجديد.

أما قومية الطاجيك بشينجيانغ، فما زالت تحتفظ بالكثير من الأفكار التي ورثوها عن الديانة الزرادشتية، ويظهر ذلك من خلال "معتقدات الإمام" في الدين الإسلامي لقومية الطاجيك، حيث يعتقدون أن الإمام هو رسول النور، وأن الإمامين الحسن والحسين أبناء علي وفاطمة (ابنة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم) يعطيان النور إلى أهل قومية الطاجيك، ثم بعد ذلك ينتقل إليهم النور عن طريق الإمام، ومن ثم وصل إليهم هذا النور عن طريق جميع الأئمة. وقد عمل هذا على تجسيد الأفكار الدينية الزرادشتية القديمة والتي كانت تشتمل على النور والظلام. وينقسم البشر عند الطاجيك إلى قسمين: صالح، وشرير، فأما أرواح الصالحين فتصعد إلى الرسل والآلهة، وتنعم هناك بنعيم الجنة، أما أرواح الأشرار فتصعد أيضًا إلى السماء، لكنها لا تلقى الرسل والآلهة هناك، ولا تتنعم بما تتنعم به أرواح الصالحين، كما أنهم يعتقدون بأن روح الشرير تتحول إلى أمطار أو ثلوج وتسقط على الأرض، وبعد ذلك تنبت الأرض العشب فيتغذى عليه الحيوانات، وبعد أكل الحيوانات للعشب الذي هو في الأصل روح الشرير، تتعرض هذه الروح للعذاب والمعاناة لأن معدة الحيوان هي بمثابة النار لهذه الروح. وبخلاف ما ذكر فإن روح الشرير تتحول أحيانًا إلى ماشية أو طيور، مثل: الحمير، والكلاب، والغربان وغيرها من الطيور والمواشي، ومن ثم تعاني هذه الروح من البؤس والمعاناة ما لا يتحمله أحد ولا يمكنها العودة إلى ما كانت عليه قبل تحولها. وبخلاف الشرير فإن المذنب يتحول إلى جمل، أو خروف، أو ماعز، أو بقر... إلخ. وبعد أكل لحومها تتسلل هذه اللحوم التي هي في الأصل روح المذنب وتتحول بعد ذلك إلى جسد آخر على شكل إنسان يعيش مرة أخرى في هذه الدنيا. علاوة على ذلك، فإنهم يعتقدون أن هناك ملكين



طعام عيد النوروز.

يعيشان في السماء، أحدهما يسمى "منكر"، والآخر يسمى "نكير"، ووظيفة هذين الملكين هي تسجيل أعمال الصالحين والطالحين طيلة حياتهم، وأن الإنسان عمومًا سواء كان صالحًا أو طالحًا فإنه سيحاسب وفق ما تم تسجيله من أعمال من قبل الملكين. ويقال إن هناك ملكًا عن اليمين، وملكًا عن الشمال، فأما ملك اليمين فيكتب الحسنات، وأما ملك الشمال فيكتب السيئات. ومما سبق يتضح أن كل هذه الأفكار قد تم توارثها عن الديانة الزرادشتية، مثل: "ثنائية الخير والشر" و"عقاب الطالح وإثابة الصالح".

كما يقوم نساء ورجال قومية الطاجيك عادة باستخدام مسحوق أخضر قاتم يزينون به أسفل جفونهم، ويطلقون عليه اسم "سرماي"، ويقال إن هذه العادة قد تم توارثها عن الفرس، حيث إنهم يستخدمون المسك في تخليل لحاهم ومسح آذانهم وأنوفهم وذلك أثناء عبادتهم للآلهة.

أما بالنسبة إلى الشعائر الجنائزية، فيتمسك الطاجيك بتعاليم الإسلام في عملية الدفن، ولكن بعد انتهاء مراسم الدفن يذهبون في المساء إلى داخل الغرفة ويشعلون مصباحًا "نوكتشا" ويصلون عند ضوء هذا المصباح. وعند زيارة القبور فإنهم يقومون أيضًا بإشعال المصابيح ويقرأون الكتاب المقدس ويؤدون الصلاة ومن ثم يتضرعون إلى إلههم بالدعاء ليغفر للميت. أما بالنسبة إلى الشعائر الجنائزية عند القازاق، فإنهم يقومون بإشعال أربعين مشعلاً، وعند حلول الليل، يفتحون باب الغرفة ويشعل المشعل على يمين إطار الباب، ويفرشون سجادة بيضاء اللون، وبعد ذلك يؤدون الصلاة، ويعتقد القازاق أن روح

الميت من الممكن أن تعود إلى المنزل خلال أربعين يومًا من الوفاة لزيارة والديه وزوجته وأبنائه، ولذلك يشعلون مساء كل ليلة من الليالي الأربعين مشعلاً لطرد الشياطين وترقب عودة الروح.

ويعد "عيد النيروز" واحدًا من أهم الأعياد عند الكثير من القوميات في شينجيانغ، ومن بينها: قومية الويغور، وقومية القازاق، وقومية القرغيز، وقومية الطاجيك... إلخ، وهو عيد بداية العام وأوانه الاعتدال الربيعي. ويعود هذا العيد إلى الديانة الزرادشتية، حيث إنه عيد بداية العام حسب التقويم في الديانة الزرادشتية، كما أنه يعتبر من أهم أعياد الفرح والسرور والسعادة عندهم. وعند قدوم عيد النيروز عند الويغور والقازاق والقرغيز، فإنهم يقومون بإعداد الأطعمة الخاصة بهذا العيد، ويغنون الأغاني الخاصة به، ويتبادلون الزيارات احتفالاً بحلول ربيع العام الجديد. أما الطاجيك فيطلقون على هذا العيد اسم "تشي داتشيار"، ويعتبر واحدًا من أهم الأعياد عندهم. وعند حلول هذا العيد تتهيأ كل الأسر لتنظيف المنازل، ثم يرشون الطحين في المنزل، ويكثرون من الدعاء لطلب السعادة وحلول البركة على الإنسان والماشية في العام الجديد.

علاوة على ذلك، فإن "عيد النيروز" يعتبر من أهم الأعياد الشعبية التقليدية لدى الكثير من القوميات في شينجيانغ على مر التاريخ، وكما هو معروف فإن هذا العيد يرجع تاريخه إلى الديانة الزرادشتية. وقد انتشر هذا العيد في شينجيانغ منذ أكثر من ألفي عام، ولا تزال قومية الطاجيك تحتفل ببعض الأعياد التي لها علاقة وثيقة بالأعياد في الديانة الزرادشتية، ومن بين هذه الأعياد: "عيد زيور" (عيد الماء) و"عيد تخزووستي " (عيد الزراعة) .... إلخ.

البوذية — ديانة تنتشر في جميع أركان شينجيانغ

تعد البوذية إحدى الديانات العالمية الثلاث التي انتشرت في شينجيانغ منذ قديم الزمان، كما أنها العبادة التي انتشرت واعتنقها الكثيرون لفترة طويلة في شينجيانغ، بالإضافة إلى تأثيرها الكبير على المجتمع آنذاك وكونها إرثًا ثقافيًا ثريًا.

نشأة البوذية

ظهرت البوذية في أراضي الهند في الفترة ما بين القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، وتأسست على يد سيدهارتا غوتاما في بلاد كابيلفاستو بشمال الهند، وكان البوذيون يطلقون عليه اسم "ساكيامونى"، وتعني عندهم "قديس شاكيا". ويقال أيضًا إن بوذا كان ولي عهد الملك جينغ فان، أما أمه فاسمها مايا وتوفيت بعد اليوم السابع من ولادته، وبعد وفاتها قامت خالته برعايته وكانت تدعى بوجي بو، وحينما

بلغ السادسة عشرة من عمره تزوج بابنة عمه الأميرة ياسوهارا، وأنجب ولدًا يُدعى لو خوا لو. وقد عاش ساكيامونى حياة طفولية أرستقراطية، تمتع فيها بالثروة والمكانة. وقد توقع الملك جين فان لابنه مستقبلاً رائعًا، لذا أولاه الرعاية الكاملة ليتولى الحكم من بعده، ومن ثم يصبح الملك المهيمن على العالم. ولكن ساكيامونى تنبأ بأن مملكته ستتعرض لخطر جسيم من قبل البلدان المجاورة وأصبحت على وشك الانهيار، كما أدرك الأوضاع الاجتماعية والتغيرات التي تصيب الإنسان من ولادة وموت وكبر وسقم، مما جعله يرفض الواقع بل ويكرهه، ومن ثم يسعى إلى التحرر الروحي. وفي التاسعة والعشرين من عمره تنازل عن العرش، وحلق شعره، وعاش حياة الرهبانية. وبعد ذلك وصل إلى جبال جيا جوي وظل بها زاهدًا متأملاً ضفاف نهر ني ليان، وانقضت ستة أعوام ولم يصل إلى النتيجة المأمولة. ومن ثم قرر الامتناع عن الطعام، وآثر حياة العزلة والتقشف، ووصل إلى شجرة البودى في بود جايا، وجلس متضرعًا ناحية الشرق، وأقسم أنه لن يستريح حتى تبلغه السماء الحقيقة، إلا أنه وصل إلى الاستنارة مع صباح اليوم التالي. لذا أطلق عليه النساك لقب "الشخص المستنير" أو "بوذا". وبعد استنارة فكره، نشر ساكيامونى فكره المستنير الى الناس، وبدأ رحلته الدعوية التي بلغت خمسة وأربعين عامًا. ومن أهم معتقداته في بداية الدعوة: الحقائق النبيلة الأربع، والأسباب والنتائج الاثنا عشر، والمناهج والأساليب السبعة والثلاثون، والمجاميع الخمسة، وسيشان وغيرها من التعاليم. هذا وقد استمع له في بداية دعوته خمسة من التلاميذ من بينهم أروجياو كوندينيا، ومن ثم أصبح هؤلاء الخمسة أول تلاميذه الذين



مزار معبد بوذا في جبل هونغقوانغ باورومتشي



تمثال بوذا الكبير في معبد فامينغ بمحافظة اورومتشي

أنشأوا فيما بعد فرقة البوذيين. وقد عُرفت الموعظة الأولى في تاريخ البوذية بـ "الجولة الدعوية البوذية المبكرة". ومن هذا المنطلق اشتملت البوذية على ثلاثة عناصر أساسية، هي:

1-بوذا: ويقصد به هنا الشخصية التاريخية المعروفة باسم ساكياموني.

2-التعاليم أو التشريعات: وتعني العقائد الأساسية للبوذية (أي التعاليم التي وضعها بوذا).

3-الرهبان البوذيون: وهم الأشخاص الذين اعتنقوا ديانة البوذية.

وتدل هذه العناصر الثلاثة سالفة الذكر على تكوين البوذية بشكل رسمي. وبعد عدة قرون من وفاة ساكيامونى، بدأت البوذية تنتشر خارج الهند. وحينما بلغ ساكيامونى الثمانين من عمره، خرج الى سولولين على ضفاف إحدى الأنهار، واضطجع بين شجرتين، وفي منتصف الليل رحل عن عالمنا. وبعد حرق جثمانه، قُسِّم رفاته بين قومية ساكيامونى وغيرها من العشائر الهامة، كما شيد ضريح له.

عقائد البوذية

لم تتأثر مذاهب البوذية وعاداتها وتقاليدها تأثرًا كبيراً منذ أول دعوة بوذا لتلاميذه الخمسة. وحتى بعد أكثر من مائة عام من رحيله، كانت البوذية لا تزال تُعرف في هذه الحقبة الزمنية بالبوذية البدائية، أو البوذية الأصولية، وكان المذهب الأساسي الذي كُوِّن هو المذهب الأصلي، وكانت أهم عناصره: الحقائق

النبيلة الأربع، والطرق الثمانية الصحيحة (أو الدروب الثمانية النبيلة)، إلى جانب الأسباب والنتائج الاثنا عشر، والجواهر الثلاث وغيرها.

ويقصد بالحقائق النبيلة الأربع: المُعاناة، وأصل المعاناة الإنسانية، وإيقاف المعاناة، والطريق الذي يؤدي إلى إيقاف المعاناة.

أما الحقيقة الأولى وهي "المعاناة": فترى البوذية أن الحياة لا تخلو من المعاناة التي يسببها الشقاء ويطلقون عليها (بحر المرارة الذي لا حدود له)، ومصادر الشقاء عندهم تنقسم إلى قسمين: أولاً: ثلاثة مصادر للشقاء، وثانيًا: ثمانية مصادر للشقاء.

أما الثلاثة مصادر للشقاء، فهي:

1-الحزن يصيب الإنسان من شقاء.

2-الأسى الذي يصيب الإنسان بعد استمتاعه بالسعادة.

3-عدم دوام السعادة أو الشقاء بسبب قوانين الطبيعة المتغيرة.

أما بالنسبة إلى الثمانية مصادر للشقاء، فهي: الولادة، والشيخوخة، والمرض، والموت، ومصاحبة العدو، والحرمان، ومفارقة الصديق، وآلام الحياة.

أما الحقيقة الثانية وهي أصل المعاناة فيُقصد بها شرح أسباب الشقاء؛ ويمكن تلخيصها إلى خمس شهوات، وهي كالتالي: شهوة العين، وشهوة الأذن، وشهوة اللسان، وشهوة الفم، وشهوة اليد. وترى البوذية أن مصدر الشقاء هو الشهوات الخمس التي نبعت من القدرة الإنسانية.

أما الحقيقة الثالثة فيقصد بها إيقاف المعاناة؛ وتعني التخلص من المعاناة، ولا يتم ذلك إلا من خلال الكف عن التعلق بالحياة والتخلص من الأنانية وحب الشهوات في نفوسنا والوصول إلى عالم مثالي يعيش فيه الإنسان في سعادة دائمة بلا شقاء. ولهذا ترى البوذية أن مصدر الشقاء يمكن أن يُزال، فكل إنسان يمكنه أن يصبح بوذيًا إذا ما تخلص من الأنانية وحب الشهوات.

أما الحقيقة الرابعة والأخيرة فيقصد بها الطريق الذي يؤدي إلى إيقاف المعاناة؛ وهي تعني أن طريق التخلص من الأنانية والشهوات ومتاع الدنيا يوجب على الإنسان اتباع الطريق النبيل ذي الفروع الثمانية وهي:

1-الإدراك السليم: ويعني الإدراك السليم للحقائق النبيلة الأربع لبوذا.

2-التفكير السليم: ويعني أن يستنير فكره وفق الحقائق النبيلة الأربع.

3-الكلام السليم: أي قول الصدق دون زور أو بهتان أو كلام سيّء، وألا يكون ثرثارًا، وغيرها من الأقوال التي تخالف تعاليم البوذية.

4-الفعل السليم: ويقصد به كل عمل يتوافق مع تعاليم البوذية، فلا يقتل ولا يسرق ولا يزني وغيرها من الأفعال القبيحة.

5-المعيشة السليمة: وتعني أن يعيش الإنسان حياة تتوافق مع ما أقرته تعاليم البوذية.

6-الجهد السليم: ويعني عدم التكاسل عن ممارسة تعاليم البوذية.

7-الانتباه السليم: ويُقصد به أن يكون الإنسان متذكرًا دائمًا لتعاليم البوذية.

8-التركيز السليم: وهو أن ينخرط تأمله في تعاليم البوذية، وأن يؤمن قلبه بالحقائق النبيلة الأربع. ويعتبر الإدراك السليم هو الأصل من بين الفضائل الثمانية، حيث ترى البوذية أن الإنسان من خلال تلك التأملات، والأفكار، والحديث، والسلوك، والحياة، والدراسة، يمكنه أن يترفع عن جميع العادات والتقاليد، ومن خلال إدراكه لكل هذه الأشياء يتغلب على مصاعب الشقاء، ويبلغ السعادة المنشودة.

الأسباب والنتائج الاثنا عشر: تعتبر أساس نظرية علم الكونيّات والممارسة الدينية للبوذية، وتعتقد البوذية أن كل الكائنات والظواهر في هذه الحياة بينهما علاقة سببية. ويكون "السبب" هو الشرط الأساسي للوجود والعدم. أما "النتيجة" فهي عامل مساعد في الوجود والعدم للأشياء، فإن اجتمعت الأسباب والنتائج كان الإيجاد، وإن تشتت الأسباب والنتائج كان العدم، فكلاهما ذاتٌ حقيقية غير مستقلة. وقال ساكيامونى حينما تناول هذه العلاقة بالشرح: "إذا وجد السبب وجد الشيء، وإذا أحدث السبب أحدث الشيء"، وقال: "إذا لم يوجد السبب لم يوجد الشيء، وإذا محي السبب محي الشيء". علاوة على ذلك، فإن الأسباب والنتائج الاثنا عشر تشتمل على ما يلي:

(1) الجهل: ويعني عدم فهم القواعد البوذية.

(2) السلوك: وهو ذاك السلوك الذي ينشأ عن الجهل بالقواعد البوذية.

(3) الوعي: ويعني النمو الذي يحدث للقلب والجسد في رحم الأم.

(4) شكل الاسم: وهي الحالة العقلية والجسدية للجنين.

(5) الإدراكات الستة وهي: النظر، والسمع، والشم، والتذوق، واللمس، والفكر.

(6) الاتصال، ويعني بدء الاتصال بالأشياء بعد الولادة.

(7) المعاناة، وهي الشعور بالشقاء أو السعادة، أو فقدانهما.

(8) الرغبة، وهي الحب والشراهة وغيرها من الشهوات.

(9) الجشع، وهو الحنين لتلبية كل الأشياء التي تعجب الإنسان بسبب الرغبة والشهوة.

(10) التواجد، وهي الظروف البيئية المحيطة بالإنسان.

(11) الحياة (الولادة).

(12) الشيخوخة والموت، فالحياة سبب للموت، وبسبب الحياة، وجد الموت. وهذه الأسباب والنتائج الاثنا عشر متصلة، ومشروطة فيما بينها، فالجهل سبب في السلوك، والسلوك سبب في الوعي، والوعي سبب في المنظر، والمنظر سبب في الإدراكات الستة، والإدراكات الستة سبب في الاتصال، والاتصال سبب في المعاناة، والمعاناة سبب في الرغبة، والرغبة سبب في الجشع، والجشع سبب في التواجد، والتواجد سبب في الحياة، كما أن الحياة سبب في الموت. وعلى هذا الغرار يتم تشكيل سلسلة حلقات من الأسباب والنتائج العامة، من بينها: الجهل؛ فالجهل يصنع السعي للرغبات الروحية والمادية (الشهوة)، كما أنه المصدر العام للشقاء والموت. ولتوضيح ذلك قال بوذا: "إذا وجدت الشهوة والهوى، وجد التحديد والتخصيص، وإذا وجد التحديد والتخصيص، وجد الجهل، وإذا وجد الجهل، وجد الخطأ، وإذا وجد الخطأ، وجد الشقاء، فالشقاء نتيجة للهوى والشهوات". ولذا لا بد لمعتنقي البوذية أن يتخلصوا من الجهل، وحينها يحصل التحرير والتنوير. وزبدة القول إن الأسباب والنتائج الاثنا عشر تندمج اندماجًا كليًا مع كلا من عاقبة الأسباب والنتائج، وتناسخ الحياة والموت، والعصور الثلاثة، الماضي، والحاضر، والمستقبل، التي اقترحتها البوذية، ثم ينتج بعد ذلك مفهوم "السببية الثنائية في العالم الثلاثي". إن الهدف الذي تنشده البوذية هو التخلص الكامل من قيود السببية الاثنا عشر، والسعي سريعًا إلى التناسخ في الأزمنة الثلاثة، ليصل إلى حالة النيرفانا "هي حالة الانطفاء الكامل التي يصل إليها الإنسان بعد فترة طويلة من التأمل العميق، فلا يشعر بالمؤثرات الخارجية المحيطة به على الإطلاق، أي أنه يصبح منفصلاً تمامًا بذهنه وجسده عن العالم الخارجي". أما الجواهر الثلاث فتشير إلى معايير ومواصفات جوهر الديانة البوذية الحقيقية، وهي:

(1) التغير: وتعني التغير الدائم لكل ما في الحياة.

(2) إنكار الذات: وتعني أن كل شيء له سبب لمصيره المحتوم، وليس هناك سيد أو كيان يسيطر بذاته.

(3) النيرفانا، وتعني تجاوز مرحلة الحياة، والموت، والانتقال إلى حالة النيرفانا، حيث يجب اتباع سلوكيات أخلاقية تمزج بين حياة العزلة والانطواء على الذات، وتتطلب هذه الأخيرة ممارسة أربع فضائل، بالإضافة إلى الالتزام بالقواعد الخمس التي تشكل أساس الممارسات الأخلاقية للبوذية. وتعتقد البوذية أن الناس بسبب جهلهم صاروا منهمكين في أنفسهم، ومترقبين للحياة، والموت، والشيخوخة، والمرض، والموت. ولذا لا يمكن الدخول إلى مرحلة النيرفانا (حالة الخلو من المعاناة) إلا بعد التخلص الروحي من المصاعب؛ إذ إن إدراك الطبيعة غير ثابت، كما أن الذات لا تدرك بالذات. ومن هنا يمكن التخلص من الشقاء الذي يجلبه الارتباك والحيرة في الحياة، والموت، ومن ثم الوصول إلى العالم السعيد بلا متاعب. وتعتبر الجواهر الثلاث للبوذية هي المعايير الأساسية التي يتم التمييز من خلالها بين الحق

والباطل داخل الديانة البوذية.

وتنقسم المؤلفات البوذية إلى ثلاثة أقسام، هي: النصوص، والقوانين، والمناقشات. فأما النصوص، فهي التعاليم التي تحدّث بها ساكياموني. وأما القوانين، فهي اللوائح التي أوجب ساكياموني على أتباعه الالتزام بها. وأما المناقشات، فهي الدراسات والتفاسير لكل النظريات التي تمس العقيدة البوذية. وتتميز الكتب البوذية المقدسة بغزارتها وثراء محتواها. وقد قام الكثير من العلماء والرهبان في العصور الفائتة بالتعليق والتوضيح لهذه الكتب البوذية المقدسة، حيث سميت هذه الكتب بـ"الكتب الأجنبية المقدسة".

انتشار البوذية في المناطق الغربية

يرجع تاريخ دخول البوذية إلى شينجيانغ إلى سبعينات وثمانينات القرن الأول قبل الميلاد تقريبًا، وذلك وفقًا للوثائق والمصادر الصينية والتبتية، وهذا يدل على أن انتشارها في شينجيانغ يسبق دخولها إلى السهول الوسطى بقرن تقريبًا. وقد دخلت البوذية من خلال طريقين، الطريق الأول: يبدأ من الكاسيمرا مرورًا بجنوب طريق الحرير إلى يوتيان (خهتيان بشينجيانغ حاليًا)، أما الطريق الثاني: فيبدأ من يوتشي وكانغزيو مرورًا بالشمال إلى شولا (كاشي بشينجيانغ حاليًا) وتشيوتسي (كوتشه بشينجيانغ حاليًا)، وكان ذلك في وقت متأخر بيوتيان.

وفي فترة دخول البوذية إلى شينجيانغ، كانت هذه المنطقة تعيش في مرحلة تطور نظام العبودية. وقد شيدت في تلك الفترة مجموعة من البلدان الحصينة بمنطقة تيان شان، حيث تمتعت تلك البلدان باختلاف مساحتها واستقلال كل بلدة عن الأخرى في الحكم. وبعد دخول البوذية إلى جميع المناطق، حظيت بالترحيب من قبل الأرستقراطيين وعامة الشعب، ثم انتشرت بسرعة هائلة حتى ذاع صيتها في جميع أنحاء شينجيانغ، وحلّت محل الديانة الشامانية والزرادشتية، ومن ثم أصبحت الديانة الرسمية في البلاد. ومنذ ذلك الحين أصبحت شينجيانغ منطقة متعددة الأديان، إلا أن الديانة الأهم والأشهر في هذه المنطقة آنذاك كانت هي الديانة البوذية.

واستمر انتشار البوذية لعدة قرون في هذه المناطق، حتى بلغت ذروتها في عهد السلالات الست. والجدير بالذكر أنه لم يتم الاكتفاء بتسجيل مراحل تطور البوذية في هذه المناطق في الكثير من الكتب، مثل: ((كتب أسرة جين)) و((كتب أسرة وى))، بل كان هناك الكثير من التسجيلات الأكثر تفصيلاً التي سجّلها هؤلاء الرّهبان الذين سافروا إلى الهند عبر شينجيانغ للتنوير، ومن بينهم: فاشيان، وسونغيون، وهويشنغ... إلخ. ومن خلال تلك السجلات التاريخية، يمكننا ملاحظة الاهتمام الشديد بتشييد المعابد في منطقة شينجيانغ إبان هذه الفترة، حيث تم بناء المعابد في جميع مناطق الواحة بهذه المنطقة، بالإضافة



معبد اللوتس بميتشوان

إلى وجود الكثير من الرهبان في هذه المناطق، ومن ثم كانت تُمارس الأنشطة الدينية على نطاق واسع.

ازدهار الثقافة البوذية في المناطق الغربية

قامت البوذية في فترة ازدهارها بتأسيس مجموعة من مراكز البوذية في يوتيان، وكوتشا، وشولا، وقاوتشانغ، وغيرها من الأماكن، ومن ثم ازْدهرت بشكل كبير دراسة التعاليم البوذية وترجمة الكتب البوذية إلى أن وصلت إلى ذروتها إبان هذه الفترة. وظهر في هذه الفترة كومارا جيفا وغيره من علماء البوذية، بالإضافة إلى المترجمين البارزين الذي برعوا في ترجمة الكتب البوذية. وقد حققت البوذية ازدهارًا كبيرًا في شتى المجالات، من بينها: المعمار، والنحت، والرسم، والموسيقى، والرقص، والتمثيل، والأدب، وترجمة تعاليم البوذية، وغيرها من المجالات.

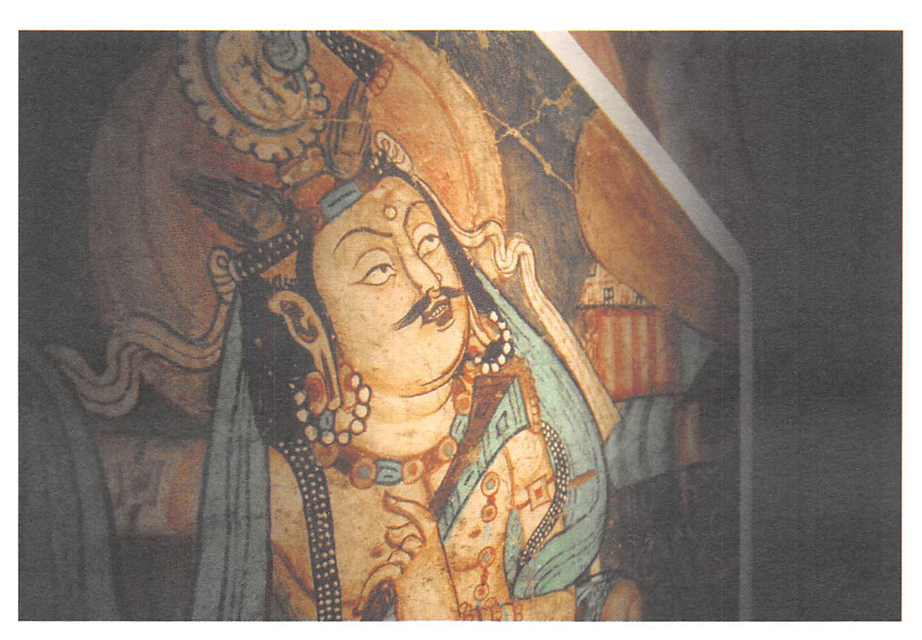
وبصفة عامة فقد تطور فن الموسيقى والرقص بشكل كبير في المناطق الغربية في عهد أسرتي سوى وتانغ، إلا أن فن الموسيقى والرقص البوذي كان الأكثر شيوعًا في هذه المناطق، كما أنه جمع بين الغناء والموسيقى والرقص الشعبي، ليبدع بذلك ألوانًا مختلفة من فنون الرقص والغناء والموسيقى.

ويحتل غناء ورقص كوتشا مكانة خاصة في المناطق الغربية في عهد أسرة تانغ، حيث يحتل "صدارة موسيقى هوى"، وكما قال تشيونتسانغ: "تجيد تلك البلدان الموسيقى والغناء الجماعي". وقد تأثرت


صور من مسرحية كوتشا الراقصة

موسيقى ييتشو وموسيقى قاوتشانغ بهذه الموسيقى، وبعد ذلك أصبح لكل منهما سماته الخاصة. وبخلاف ذلك فقد تم اكتشاف تابوت بوذي في أطلال سوباش ببلدية كوتشا (آثار معبد تشاوقولي المشهور) من قِبَل فرقة استكشاف يابانية في عام 1903م، وهي الآن محفوظة في اليابان. وقد غطي سطح هذا التابوت باللون الأحمر واللون الأبيض الرمادي واللون الأزرق القاتم، لكنه لم يكن يوجد فيه سوى الرفات، ومن ثم لم يحظ باهتمام الناس. وبعد نصف قرن، تم اكتشاف آثار مرسومة على الطبقة الداخلية للألوان، وبعد إزالة الألوان السطحية ظهرت صور جميلة مرسومة على التابوت. وهذا التابوت على شكل هيكل مربع، به عمود أسطواني، وله غطاء مدبب، وتحيط به صور الرقص والغناء، وهذه الصور تبدو واضحة للغاية وواقعية، وهي تعْتبر تحف نفيسة، كما أنها تعكس في الوقت نفسه أنشطة الغناء والرّقص لكوتشا. وطبقًا لما ذكرته الدراسات اليابانية، فإن هذا التابوت هو بقايا أثريّة تم اكتشافها منذ سبعة قرون. ومثل هذا التابوت الرائع المنمق كان يصنع للرهبان الذين بلغوا الأخلاق السامية والسيرة الحسنة إبان هذه الفترة. وفيما بعد، تم اكتشاف ستة توابيت بوذية في سوباش من قبَل العالم الفرنسي بو سي خه. وقد احتوى التابوت الذي اكتشف في أطلال سوباش بكوتشا على مجموعة من الصور تعرض صور الرقص والموسيقى، كما تظهر عليه إحدى وعشرون راقصة ومغنية. وكانت كل فرقة من هذه الفرق الموسيقيّة تتكوّن من ثمانية أفراد، يوجد في الصف الأمامي منها طفلان يحملان طبلاً كبيرًا يدقه شخص آخر بمطرقة في يده، ومن خلف هذا الصف يوجد عازفون لمختلف الآلات الموسيقية، مثل العود، وجوزة المزامير، وطبل الدّيَكة والمتجوّلين، والمزامير النحاسية. وكان لباس

الموسيقيين يشبه اللباس التقليدي للرجال، حيث يرتدون الجلباب الطويل، ورباط الخصر المنقوش، والسروال الطويل، والحذاء الجلدي، ويربطون سيفًا على الخصر برباط قصير، وكان عدد الموسيقيين ستة، من بينهم ثلاثة رجال وثلاث نسوة، وكان الجميع تحت قيادة موسيقار وموسيقارة. وكانوا يقومون برقصات مختلفة بتشابك الأيدي، ثم يقوم راقص يرقص بالعصا منفردًا، ثم فرقة موسيقية، ثم يرقص راقص بمفرده يحمل عصا ويحيط به ثلاثة من الأطفال. ويرتدي الراقصون الست والراقصان المنفردان أقنعة وملابس ملونة بأنواع الدروع. وفي صور الأقنعة محارب وسيم، وقائد كريم، ونسر بأذن عمودية وأنف ممحوة، وشيخ يرتدي قبعة مدببة خارجة عن غطاء الرأس. أما الراقصان المنفردان فكان أحدهما يرتدي قناعًا يشبه القرد، وأما الآخر فكان أكثر غموضًا، إلا أن شكله يبدو على هيئة وجه قرد لكن بأذن عمودية، وكلاهما له ذيْل طويل. وهذه صورة حية تُظهر الرقص بالأقنعة، حيث إن الرقص بالأقنعة كان الرقص الشائع في المناطق الغربية، وهذا يدل على ازدهار فن الرقص والغناء في المناطق الغربية في عهد أسرة تانغ. ويعكس رقص وغناء البوذية المناظر الجميلة في الجنة البوذيّة، حيث تدعو البوذية إلى استغلال الموسيقى للصفاء الروحي، وذلك من أجل أن يتعلم الناس بشكل أفضل التعاليم البوذية. وفي المناطق الغربية، يمكن دمج فن الموسيقى البوذي مع الفن الشعبي للمناطق الغربية من رقص وغناء، وفي النهاية يتم



الرسوم الجدارية الجميلة المكتشفة في أكسو بشينجيانغ

تكوين فني الموسيقى والرقص الخاصين بالمناطق الغربية. وهذا بالطبع يعكس الأنشطة الفنية والثقافية لسكان المناطق الغربية.

تبادلات الثقافة البوذية بين السهول الوسطى والمناطق الغربية

بلغ تبادل الثقافة البوذية بين السهول الوسطى والمناطق الغربية في عهد أسرتي سوي وتانغ ذروته، خصوصًا عن طريق تدريس العلوم البوذية وترجمتها، كما ازدهرت في تلك الفترة البعثات الرهبانية. وقد تجول تشيونتسانغ الذي سافر إلى الغرب لطلب علم النصوص والقوانين البوذية في البلدان بالمناطق الغربية، والتقى بالرهبان، ونشر علومًا كثيرة للبوذية، وبعد رجوعه قام بترجمة عدد كبير من المؤلفات البوذية، ثم قام بإعداد مؤلفه الشهير "سجلات تانغ العظمى عن المناطق الغربية". ويتناول هذا الكتاب بالشرح والتفصيل التفاصيل الدقيقة عن البوذية، والقوميات، والعادات والتقاليد المحلية وغيرها في منطقة شينجيانغ. علاوة على ذلك، فقد كان هناك راهب يدعى هوي شين في معبد شي مينغ بتشانغآن في أسرة تانغ، وكان يتقن اللغة السنسكريتية والصينية، ومن ثم قام بتأليف كتاب أطلق عليه اسم "الأشكال المختلفة للكلمات الصينية". ويقع هذا الكتاب في مائة مجلد، حيث يتناول بالشرح والتفصيل الكلمات والجمل ذات المغزى العميق في البوذية، وهي عبارة عن وثائق نفيسة ومراجع قيمة لدراسة علوم البوذية القديمة، والتاريخ، والأصوات، وشرح النصوص القديمة، والجغرافيا، وغيرها من العلوم. ومما يدل على البعثات الرهبانية هو أن الراهب الشهير شيتشانانتوا كان مدعوًّا من قِبَل الإمبراطورة وو تسي تيان والإمبراطور تانغ جونغ زونغ لزيارة تشانغآن، وذلك لترجمة القواعد البوذية وكتب الإمبراطور وو تسي تيان، ومنها مقدمة كتاب "السقوط إلى الحافة". وعندما وصل هذا الراهب إلى عاصمة أسرة تانغ للمرة الثانية قابله الإمبراطور تانغ جونغ تسونغ بالترحيب الحار، واستقبله بنفسه على مدخل المدينة وأحضر معه جميع رهبان بكين لمقابلته، وأُدْخِل المدينة راكبًا فيلاً أسودًا. والجدير بالذكر أن مجمل ما ترجمه شيتشانانتوا عن الديانة البوذية يبلغ تسعة عشر جزءًا ومائة وسبعة مجلدًا. وبعد وفاته، نقل رفات جثمانه إلى يوتيان وتم تقديم القرابين له. واعترافًا بالجميل لهذا المترجم العظيم، أقام رهبان تشانغآن برجًا بوذيًا مكونًا من سبع طبقات، وأطلقوا عليه اسم "برج سانزو العظيم"، وذلك تذكارًا لهذا المترجم والمعلم الكبير. أما "فا يوه"، فهو من تيانتشو الشرقية، عاش مدة طويلة في كوتشا، ورشح من قبل حكومة آنشي للانضمام إلى أسرة تانغ في عام 730، وكان له إسهامات عظيمة في شتى المجالات في عهد أسرة تانغ، منها: علم الكيمياء، والطب، والأعشاب، والكتب المقدسة... الخ. وفي عام 741 عاد إلى بلاده بسبب الفوضى والاضطرابات، ومن ثم مكث في يوتيان حتى وافته المنية. أما "جين يوى"، فهو بوذي من كوتشا،

رافق أستاذه فا يوه للسفر إلى تشانغآن، وترجما سويًا كتاب "الحكم التبتية المألوفة كالقلوب الطيبة العارضة" وغيره من الكتب. وسافر الراهب تيان تشي من يوتيان إلى تشانغآن في عام 691، وترجم ستة كتب مقدسة، من أهمها كتاب "البر والإحسان"، وكتاب "نظرية الاتفاق بين الماهيانا والأوساط المذهبية". أما "تشي يان" فقد عاش منذ طفولته في أسرة تانغ، وكان ابن ملك يوتيان، وفيما بعد منح زعامة الجيش من قِبَل أسرة تانغ، كما منح أيضًا الذهب والمجوهرات تقديرًا له، بالإضافة إلى الحب والتقدير الذي كان ينعم به من قبل الملك. وفي السنة الثانية من عهد شن لونغ (عام 706)، قدم طلبًا رسميًا لتحويل مسكنه إلى معبد، ووافق الامبراطور بالفعل. وقد أطلق على هذا المعبد اسم "معبد فينغ آن"، وفيه ترجم أربعة كتب للماهيانا، وسبعة كتب للتعويذ. أما "جيا فا" فقد تولى القضاء بالمعبد الملكي في المحكمة الشمالية لأسرة تانغ، وسبق أن ترجم من اللغة السنسكريتية كتاب "الأماكن العشرة" وغيرها من الكتب، ثم سافر إلى تشانغآن لممارسة الترجمة، ورجع في عمر متأخر إلى يوتيان. وخلاصة القول، نجد أن تبادل الرهبان بين المناطق الغربية والسهول الوسطى كان له أثر كبير في تنمية الفنون والثقافة البوذية لأسرة تانغ، بالإضافة إلى إثراء الفنون والثقافة البوذية الصينية، كما كان له تأثير عظيم على رفع مستوى الثقافة البوذية بالمناطق الغربية.

الاعتماد على البوذية في تأسيس يوتيان

تعتبر يوتيان مركزًا بوذيًا، حيث إنها تعد من أوائل الأماكن التي انتشرت فيها البوذية بشينجيانغ، كما أن أبراج المعابد البوذية فيها ليست كثيرة العدد فحسب، بل تعتبر من المعابد العملاقة. وطبقًا للإحصائيات، فإن المعابد الكبيرة فيها تربو على أربعة آلاف معبد بشينجيانغ، وعدد الأبراج الصغيرة بلان روه يزيد عن خمسة آلاف برج. ويوجد بيوتيان أربعة عشر معبدًا مشهورًا، من بيْنهم معبد الفاشيان الذي يأوي فيه ثلاثة آلاف راهب بوذي، ويمْكن رؤيته على نطاق واسع. أما المعبد الآخر فهو معبد وانغ شين الذي يقع غرب المدينة بسبعة أو ثمانية لي "لي تساوي نصف كم". والجدير بالذكر أن معبد وانغ شين تأسس في غضون ثمانين عامًا، حيث تعاقب على بنائه ثلاثة ملوك، ويبلغ ارتفاعه حوالي 25 تشانغ "تشانغ يساوي 3.33 مترًا". ويتميز هذا المعبد بالمنقوشات الجميلة، والزينات الفاخرة، والروعة والفخامة وغيرها من الأشياء التي يعجز اللسان عن وصفها. أما عن المراكز البوذية الأخرى بكوتشا، فيوجد داخل المدينة فقط آلاف المعابد والأبراج البوذية. وبما أن المعابد كثيرة، فالرهبان أيضًا كثر، حيث وصل عدد الرهبان في منطقة خهتيان إلى ما يقرب من عشرة آلاف راهب، أي ما يقرب من ثلث عدد السكان الإجمالي. ومن بين هذه المعابد معبد تشومودي الذي يقيم بداخله فاشيان، ويقع هذا



رسوم للملك كهوتن في كهوف دونهوانغ

المعبد في يوتيان، ويقطن فيه ثلاثة آلاف راهب. والجدير بالذكر أن عدد الرهبان في المناطق الأخرى يبلغ آلاف الرهبان، أقلهم في زيتاي (ياتشنغ حاليًا)، حيث يقطن فيه ألف راهب فقط. وتعكس الفعاليات البوذية الكثيرة ازدهار البوذية إبان هذه الفترة في منطقة يوتيان. وقد أقامت يوتيان ما يسمى بـ "سياحة التماثيل"، أي "السياحة في التماثيل البوذية". وتبدأ هذه الفعالية أول إبريل، وقبلها يتم تنظيف المدينة بالكامل، حيث يبدو هذا الموقف مهيبًا، كما تنصب خيمة كبيرة على بوابة المدينة يقيم فيها الملك وزوجته والخدم. وقبل عملية السياحة، فإنهم يحتاجون إلى عربة رباعية مجهزة، يبلغ ارتفاعها ثلاثين ذراعًا، وذلك لنقل التمثال البوذي على مسافة نصف كيلومتر، وعندما تكون عربة التمثال على بعد مائة خطوة من بوابة المدينة، يخلع الملك تاجه، ويرتدي ملابس جديدة، ويحمل البخور لمقابلة التمثال. وحين دخوله البوابة يجب على زوجة الملك والخادمات إلقاء الزهور عليه. وتستمر هذه الأنشطة الكبرى أربعة عشر يومًا، حيث تقام دوريًا في أربعة عشر معبدًا كبيرًا بيوتيان. والجدير بالذكر أن الملك يشارك في هذه الأنشطة من بدايتها حتى نهايتها، ثم يرجع إلى القصر الملكي بعد انتهاء الفعاليات هو وزوجته والخادمات. علاوة على ذلك، فإن تشيونتسانغ كان يطلق على يوتيان في كتابه "سجلات تانغ العظمى عن المناطق الغربية" اسم "بلاد كوساندانا"، حيث يقال بأن ملك هذه البلاد كان يزعم أنه "الابن السماوي لفايسرافانا". ويقال إن ولي العهد أشوكا الهندي قد نصب له فخ فخلعت عيناه، فغضب غضبًا شديدًا، ومن ثم طرد أُسَر وزرائه إلى شمال الجبل الثلجي. ولذلك أقام هؤلاء الأشخاص مملكة في غرب يوتيان، واختاروا لهم زعيمًا يتولى تشريعاتهم. وفي ذلك الوقت، قام أحد الرهبان بترحيل النازحين، ونصحهم بالنزول إلى الشرق، ونصّب



الرسوم الجدارية في كهوف توربان

نفسه زعيمًا عليهم، وبعد ذلك نشبت حرب بين الشرق والغرب، وفي النهاية كان النصر حليفًا للشرق. وبعد فترة جمع ملك الشرق أهل الغرب وأقام لهم دولة بيوتيان. ولم يكن لولي العهد ولد، لذا تضرع إلى تمثال فايسرافانا ليهبه ولدًا، وبالفعل خرج من جبين التمثال غلام، وتدفق الحليب من أمام التمثال "الحليب الأرضي"، ثم رضع هذا المولود من هذا الحليب، ولذا كان يُطلق على ملك يوتيان اسم ابن فايسرافانا، وقد جعلوا كوستانا رمزًا لبلادهم، حيث تعني عندهم "الحليب الأرضي". وعلى غرار هذه الأسطورة توجد أساطير أخرى مسجلة في الوثائق التبتية.

أول راهب بوذي بالسهول الوسطى يسافر إلى المناطق الغربية لدراسة البوذية

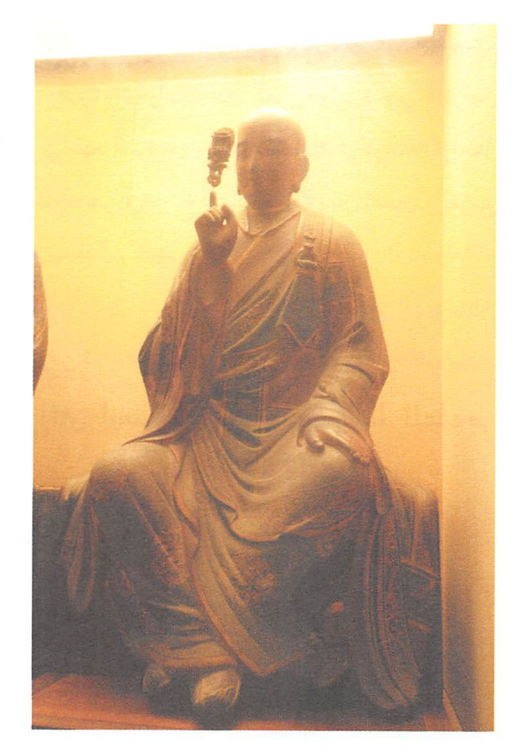
كان الراهب تشو شي شينغ الذي ينتمي إلى يينغ تشوان (شوتشانغ بمقاطعة خنان حاليًا)، وذلك في عهد الممالك الثلاث، أول صيني تطأ قدماه المناطق الغربية للبحث عن المذهب البوذي. وحسب الوثائق التاريخية، فإن تشو شي شينغ قد دخل الرهبانية عام 260، وبعد دخوله المعبد البوذي انهمك في الدراسة والبحث في الكتب البوذية المقدسة، ثم شيد هيكلاً أو محرابًا في معبد باى ما، حيث يعتبر أول محراب على الطراز البوذي. وفي ذلك الحين أسّس تشو شي شينغ علم البوذية، واعتلى المحراب للترهبن؛ ليصبح بذلك أول راهب شامانى بالصين، كما يعتبر أيضًا أول راهب يسافر إلى الغرب لطلب العلم في عهد الممالك الثلاث. وبعدما صار راهبًا شرح لأتباعه كتاب "الحكم الصغير، كما ترجم لهم مقتطفات من كتب "البراجنا المقدسة"، وهذه المقتطفات تعد من أهم فصول كتاب "البراجنا" في كلاسيكيات الماهيانا. وقد اكتشف تشو شي شينغ في مرحلة الشرح والتعليم أن المغزى المهم من تلك الكتب والوثائق لم يترجم من قبل، وأن كتب ماهيانا كاملة وموجودة في الغرب، لذا قرر السفر إلى الغرب حتى يحصل على أصل هذه الكتب البوذية المقدسة مهما كانت الصعوبات. وفي عام 206 قاد تشو شي شينغ حشدًا كبيرًا من أتباعه من يونغتشو (شمال غربي بلدية تشانغآن بمقاطعة شانشي) مرورًا بممر خشي غرب نهر أجْدب، ثم واصل السير إلى الجنوب الغربي عن طريق دونهوانغ،

ومن ثم وصل من خلال جنوب الطريق الحريري عبر الرمال المتحركة إلى يوتيان (منطقة خهتيان نجيانغ حاليًا). وفي الجانب الغربي من يوتيان تجد المدينة البوذية كاسميرا، وقد دخلت البوذية تلك المدينة في القرن الأول قبل الميلاد. وحينما حصل تشو شي شينغ على الكتب، ازدهرت البوذية في يوتيان بشكل كبير، وأصبحت جسرًا لنقل البوذية إلى الشرق. وبعد وصول تشو شي شينغ إلى يوتيان من أجل الحصول على القواعد البوذية، قام بدراسة اللغتين الرائجتين بيوتيان وهما اللغة الخاروستية ولغة يوتيان، ثم بعد ذلك جد واجتهد في دراسة الكتب المقدسة البوذية، فدرس أخلاق البوذيين البارزين، ثم سعى إلى جمع النظريات البوذية، وإلى جانب ذلك قام بجمع أهم الكتب البوذية الكلاسيكية التي كان من الصعب الحصول عليها. وفي عام 282، بعث تشو شي شينغ تلميذه فو رو تان (من أهل يوتيان) حاملاً الكتب البوذية إلى لويانغ، إلا أن هذا الأمر كما يقال قد أحدث اضطرابًا كبيرًا وتأثيرًا سلبيًا. وكان أهل يوتيان يعتنقون هينايانا (أحد المذهب البوذية)، ولذلك عندما بعث تشو شي شينغ تلميذه لأخذ كتب هينايانا إلى لويانغ، منع أتباع مذهب هينايانا وصول تلك الكتب إلى السهول الوسطى، ولذلك قاموا بالوشاية إلى ملك يوتيان من أجل أن يمنع انتشار الهينايانا. ومن ثم فقد دخل تشو شي شينغ في خصومة ونزاع مع أتباع الهينايانا ولكن بدون جدوى. وأخيراً قال الملك إنه لا يمكن لنا حكم هذا الأمر فدع الحكم في هذا الشأن لإله السماء. والآن أطرح هذه الكتب البوذية في النار، فإذا أحرقت دل ذلك على أن إله السماء لا يريد إخراج هذه الكتب، وإذا لم تحرق دل على أنها كتب بوذية حقيقية، ومن ثم يمكنكم أخذها والرجوع بها إلى السهول الوسطى. وطرح تشو شي شينغ هذه الكتب البوذية في النار، إلا أن النار كانت بردًا وسلامًا على هذه الكتب، وبعد أن خمدت النار كانت الكتب كاملة بلا تغيير أو تأثير، وقد انتاب أتباع الهينايانا الهلع والفزع بعد رؤيتهم لهذا المشهد، واضطر ملك يوتيان إلى نقل الكتب البوذية إلى لويانغ بواسطة تلاميذ تشو شي شينغ. وأوصى تشو شي شينغ تلاميذه بترجمة الكتب البوذية إلى اللغة الصينية بعد عودتهم، ومن ثم انتشرت هذه الكتب في لويانغ انتشارًا كبيرًا وحظيت بالترحيب الكبير من أتباع البوذية. وقد ساهمت هذه الكتب بشكل كبير في ازدهار الدراسات البوذية في السهول الوسطى، مما أدى أيضًا إلى انتشار الثقافة البوذية الهندية في الصين. علاوة على ذلك، فإن تشو شي شينغ استغل لغة يوتيان في تأليفه للعلوم البوذية، والتي بلغت تسعين بابًا، وحملت أكثر من ستمائة ألف كلمة. وهذا بالطبع لا يدل على المستوى العالي الذي بلغه هذا الرجل في العلوم البوذية فحسب، بل يعكس أيضًا القدرة اللغوية الكبيرة التي اكتسبها في لغة يوتيان. والجدير بالذكر أن تشو شي شينغ سعى في طلب العلوم البوذية طوال حياته، وقام بالدراسات والأبحاث لأكثر من عشرين عامًا في يوتيان، إلا أنه رحل عن الحياة وقد بلغ ثمانين عامًا. ويتمتع سفر تشو شي شينغ إلى الغرب بمغزى هام في تاريخ

البوذية الصينية وتاريخ التبادل الثقافي بين الصين والغرب. وقد قال السيد تانغ يونغ تونغ المؤرخ البوذي الصيني المشهور في مؤلفه "تاريخ البوذية لأسر هان وأسرة واي وأسرة جين الغربية وأسرة جين الشرقية والسلالات الشمالية والجنوبية" إن تشو شي شينغ في عهد أسرة جين الغربية انهمك في دراسة البراجنا "الحكمة" وتوفي غريبًا عن بلاده. وقد علق الخبير المتخصص في تاريخ التبادل الثقافي بين الصين والغرب السيد تشانغ شينغ على سفر تشو شي شينغ إلى الغرب فقال: كانت بداية السفر من الصين إلى سرامانا، وقد سبقت تلك الرحلة سفر فاشيان إلى الهند بمائة وأربعين سنة. وعلى الرغم من أنه سافر إلى يوتيان، ولم يصل إلى الهند، إلا أن علومه تدرس في الهند، ومن ثم يمكن القول بأنه رائد المسافرين الصينيين.

رهبان أسرة تانغ يشدون الرحال إلى المناطق الغربية طلبًا للعلوم البوذية

يطلق على تشيونتسانغ لقب بتشن، ويدعى واي. وقد ولد في لوتشو (بلدية يانشي بمقاطعة خنان حاليًا) في عام 600م، وسبق لأبيه تشن هوي أن تولى رئاسة بلدية جيانغ لينغ (داخل مقاطعة هوبي حاليًا). ولتشيونتسانغ خمسة إخوة، يعتبر هو أصغرهم، إلا أنه كان ذكيًا منذ صغره. وقد حدثت فوضى اجتماعية كبيرة أثناء فترة شبابه، وفي ذلك الوقت كانت البوذية قد تطورت تطورًا كبيرًا في منطقة السهول الوسطى، وبسبب أن الرهبنة قد أصبحت حيلة للهروب من متاعب الضرائب، لذا أصبح اعتناق البوذية مذهبًا سائدًا في ذلك العصر. أما أخوه الثاني فقد ترهبن مبكرًا في معبد جين تو ببلدة لوه يانغ، وأصبح بوذيًا، وتوفي أبوه عندما كان تشيونتسانغ في العاشرة من عمره، ومن ثم أصبحت الظروف الأسرية قاسية. ومن أجل تلبية متطلبات المعيشة الأسرية من مأكل ومشرب، فقد اصطحبه أخوه الثاني إلى معبد جين تو وحلقا شعرهما واعتنقا البوذية، وأصبحا قديسين صغيرين. وتأثر تشيونتسانغ منذ صغره بالثقافة البوذية، الأمر الذي ترك فيه أثرًا عظيمًا في نفوس أتباع البوذية. والجدير بالذكر أن تشيونتسانغ كان شخصًا ذكيًا ومجتهدًا، كما كان شغوفًا بالدراسة. وقبل سفره إلى الغرب، تتلمذ على يده ثلاثة عشر راهبًا من المشهورين ببلاده، ومن بينهم المعلم جين والمعلم يان. وقد سافر إلى تشانغآن، وسيتشوان، وهوبي، وخنان، وخبي، وقرأ الكثير من الكتب البوذية. وقد منحته دراسته للمثالية البوذية رغبة كبيرة في التعمق في دراستها. وتعتبر المثالية من مذاهب يوجاكارا ماهايانا الهندية، حيث تعتقد أن الإنسان يستطيع أن يكون بوذيًا، الأمر الذي جعل لها تأثيرًا كبيرًا في اعتناق الكثيرين للديانة البوذية. ومن أهم الكتب المقدسة لها "نظريات الأرض لعلماء يوجاكارا". وللعلم فإنه لم يكن هناك مثل هذه الكتب في تلك البلاد، لذلك كان هدفه الأسمى من سفره للغرب هو البحث عن المغزى الحقيقي لهذه الكتب. وقبل سفر تشيونتسانغ، كان سفر



تمثال للراهب تشيوانتسانغ

البوذيين الصينيين إلى الهند والسهول الوسطى أمرًا شائعًا، مما زاد من ثقافة الصينيين حول أحوال الهند. وفي عام 628 قابل تلميذ معبد نالاندا الهندي في تشانغآن، وعرف منه أن شيلا بادرا موسوعة من المعرفة، وأنه قد درس كتب ماهيانا البوذية، مما زاد ذلك من إيمان تشيونتسانغ بالسفر إلى الغرب لطلب العلم. وبعد فترة قصيرة، قدم تشيونتسانغ طلبًا مع شركائه للبلاط الملكي للسماح لهم بالسفر إلى الغرب لطلب العلوم البوذية، إلا أن طلبهم قوبل بالرفض، ولهذا ترك أصحابه الانشغال بهذا الأمر، ولم يبق سواه مشغولاً به. وبعد مصاعب ومتاعب أليمة، وصل تشيونتسانغ أخيرًا إلى مدينة ييوو (هامي حاليًا)، وكانت ييوو تنتمي إلى بلاد قاوتشانغ (توربان حاليًا)، كما أن أجداد ملك قاوتشانغ كانوا هم أهل يوتشونغ (شرق مدينة لانتشو حاليًا)، وخلال فترة إقامة تشيونسانغ في ييوو قابل سفير الملك صدفةً، فأبلغ خبره إلى الملك، وبعد مقابلة الملك أصر الملك على دعوة تشيونتسانغ لنشر العلوم البوذية في بلاده، وقام بتذليل الصعاب له، ولذلك سافر تشيونتسانغ مع السفير إلى قاوتشانغ. والجدير بالذكر أن ملك قاوتشانغ قد أحسن ضيافته، وكان تشيونتسانغ واسع المعرفة عذب الكلام، ومن ثم تأثر الملك بخشوعه الديني، فأصر الملك على بقائه في البلاد لمساعدته في الحكم، إلا أن تشيونتسانغ شكر الملك على هذه الثقة، واعتذر له عن عدم قبول طلبه، وأصر على السفر إلى الغرب للدراسة؛ ذلك لأن السفر بالنسبة له بمثابة تغذية بدنه، فإن لم يسافر فسوف يموت جوعًا في قاوتشانغ. ومع ذلك تأثر الملك بإيمانه وثقته التي لم تتزحزح وسمح له بالسفر. وكانت هذه بداية الصداقة بينهما والتي جعلت الملك يمده بالمال وبكل احتياجات السفر إلى الغرب. ومن أجل ضمان سلامة تشيونتسانغ في الرحلة، أرسل الملك عشرين خطابًا مع الكثير من الهدايا للبلدان التي يمر بها تشيونتسانغ، وذلك لتقديم التسهيلات إليه في رحلته. وقبل الرحلة قدم الملك إلى تشيونتسانغ ثلاثين حصانًا بمصاحبة خمسة وعشرين رجلاً، كما أرسل معه

أربعة من الرهبان لمصاحبته. وبعد الوداع الحار بين تشيونتسانغ وتشو وين تاى، وصل تشيونتسانغ إلى بلاد آجني (يانكي حاليً) مرورًا بنهر كيدو وبلاد كوتشي (كوتشا حاليًا) وبلاد بالوكا (أكسو حاليًا) وغيرها من البلدان برعاية دقيقة من مبعوث مملكة قاوتشانغ، ثم عبر مجموعة من الجبال بطول مئات الكيلومترات إلى مدينة سوي آب (جنوب غرب توكماك حاليًا). وتعتبر مدينة سوي آب مدينة مشهورة بآسيا الوسطى، وتقع وسط طريق الحرير. وعندما فتحت أسرة تانغ تركيا الغربية، وضعت حراسة قوية على بلدة سوي آب، ويقال إنها مسقط رأس الشاعر المشهور لي باي لأسرة تانغ، وعندما أتى تشيونتسانغ إلى تلك البلدة قابل ملك تركيا الغربية يي خو كى خان، حيث خرج للتنزه بالصيد، وكانت العلاقة بين بلاد قاوتشانغ وبلاد تركيا الغربية علاقة حميمة، ولذا رحب الملك يي خو كى خان بقدوم تشيونتسانغ ترحيبًا شديدًا. وبعد ذلك واصل تشيونتسانغ رحلته إلى الغرب، وقدم الملك يي خو كى خان إليه "دليلاً للسفر"، وذلك لتسهيل سفره حتى وصل تشيونتسانغ إلى البلدة البوذية (الهند) التي طالما اشتاق إليها. وبعد وصول تشيونتسانغ إلى بلاد تيانتشو طلب العلم في كل حدب وصوب، وتعلم النظريات، والأسرار الروحية للبوذية، وحظي بالدراسة في المعابد والمعاهد البوذية الهندية الكبيرة المشهورة، كما استضافه

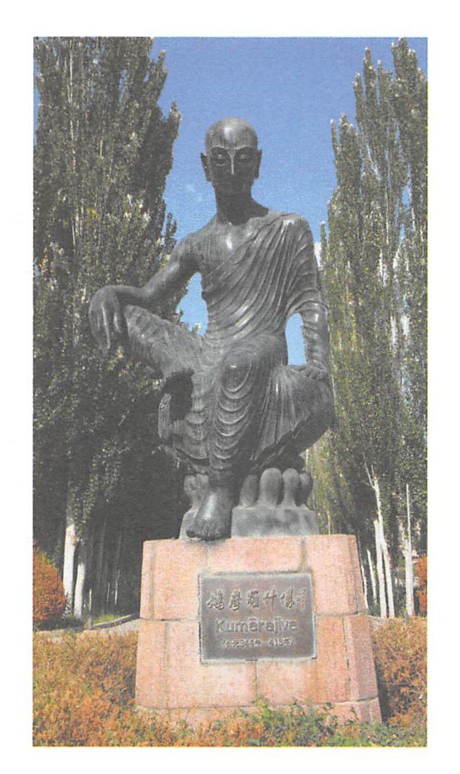


أكبر لوح نحاسي مزخرف يحكي "السيرة الذاتية للراهب تشيوانتسانغ في أسرة تانغ العظيمة"، هي من إحدى الزخارف المزينة كنصب تذكاري للراهب تشيوانتسانغ في معبد نالاندا في الهند.

المعلم البوذي شيلا بادرا المشهور بمعبد نالاندا الذي يعتبر أكبر معبد بوذي في الهند. وكان عمر شيلا بادرا وقتذاك قد أشرف على المائة سنة، وكان مشهورًا بنبوغه في دراسة البوذية ببلاد تيانتشو. وقد تأثر كثيرًا بإخلاص تشيونتسانغ وتجربته أثناء رحلته إلى الغرب، ومن ثم علمه "نظرية اليوجا" في خلال خمسة عشر شهرًا. كما درس تشيونتسانغ في معبد نالاندا سلسلة من المؤلفات البوذية خلال خمسة أعوام، ومع ذلك لم يكن تشيونتسانغ راضيًا عما وصل إليه، بل واصل التنقل في الأماكن البوذية الأخرى من أجل أن يتعلم على يد المعلمين الكبار ويثرى معارفه عن البوذية. وبعد تنقله لعدة السنوات، عاد تشيونتسانغ إلى معبد نالاندا، وكان شيلا بادرا في هذه الوقت قد ضعف بصره، فدعا تشيونتسانغ ليتولى رئاسة هذا المعبد، وذلك لأن معرفة تشيونتسانغ للعلوم البوذية قد بلغت مستوى عظيمًا، ومن ثم أصبح أحد الرهبان العشرة المشهورين بقراءة خمسين كتابًا مقدسًا للبوذية في معبد نالاندا. ويعتبر ما حدث لتشيونتسانغ من كونه راهبًا أجنبيًا يتولى رئاسة أكبر معبد بوذي في الهند أمرًا عجيبًا من النادر أن يصل إليه أحد. وبعد سنوات من دراسته للعلوم البوذية شعر تشيونتسانغ بأنه قد أتقن الجواهر الغامضة لمذاهب يوجاكارا، ولذلك قرر العودة إلى بلاده، وبعد انتشار الخبر أصر كثير من الملوك بالنزول عندهم، وطلب منه ملك كومارا البقاء لديه، ووعده ببناء مائة معبد بوذي تعبيرًا عن شكره لتشيونتسانغ، لكن تشيونتسانغ رفض ذلك وشكر الملك. وعند عودته إلى بلاده أخذ تشيونتسانغ خمسمائة وعشرين حافظةً وستمائة وسبعة وخمسين كتابًا، حيث تعد تلك الكتب كتبًا فريدة من نوعها في الصين. وبعد ذلك حفظ تشيونتسانغ هذه الكتب البوذية في معبد تسيآن بمدينة تشانغآن. وفي الوقت الحاضر ما زال برج دايان موجودًا في معبد تسيآن بمدينة شيآن، بل وأصبح من الآثار السياحية للزوار الأجانب والصينيين. وبعد رجوع تشيونتسانغ إلى تشانغآن، وبعد هذا الجهد الذي بذله في تلك الفترة، قام بتنظيم مؤلفه المشهور "سجلات تانغ العظمى عن المناطق الغربية" الذي قدم إسهامات كبيرة في دراسة التاريخ والجغرافيا، والقوميات، والعبادات، واللغات، والظروف الاقتصادية والاجتماعية في شينجيانغ بالصين قديمًا. وفي الوقت نفسه يعتبر هذا الكتاب عملاً عظيمًا، حيث سجل فيه المؤلف التفاصيل السياسية، والاقتصادية، واللغوية، والثقافية، والتقليدية لأكثر من مائة بلدة داخل الهند، مما جعله من الأعمال النادرة في العالم لمعرفة تاريخ الهند القديمة. علاوة على ذلك، فقد أظهر العالم لا دى لى في كتابه "الهند والصين" تقديره العالي لتشيونتسانغ، حيث قال: إن الذين جاءوا من بلاد الصين إلى الهند كثيرون، إلا أن تشيونتسانغ يعتبر أعظم من قدموا من الصين، فهو رمز التعاون الثقافي بين الصين والهند. وقد استغرقت رحلة تشيونتسانغ إلى الغرب تسعة عشر سنة وقطع خمسين ألف ميلاً، وزار أكثر من مائة وثلاثين بلدة، ولذا لقب بأعظم المستكشفين والرحالة على طريق الحرير القديم.

المعلم كومارا جيفا

ولد كومارا جيفا في كوتشا (كوتشه بشينجيانغ حاليًا)، وذلك في السنة الثانية من حكم جيان يوان في أسرة جين الشرقية. وقد اعتنق كومارا جيفا البوذية منذ السنة السابعة من عمره، ذلك لأن أمه كانت من أتباع البوذية. وقد كانت هذه المرأة ذكية للغاية، ومجتهدة في الدراسة، فضلاً عن إتقانها للعديد من اللغات. وحتى يكون عالمًا كبيرًا في البوذية، فقد درس الكتب البوذية على يد أشهر رهبان كوتشا، ومن ثم أصبح العالم البوذي المثقف صاحب العلم الغزير في الشرق، كما أصبح مترجمًا مشهورًا للبوذية، لا سيما ما قدمه من إسهامات في تقديم الأفكار والآداب البوذية. ويعتبر هذا الرجل من أعظم ثلاثة مترجمين للبوذية الصينية، بالإضافة إلى تشندي وتشيونتسانغ. والجدير بالذكر أن والد كومارا جيفا كان من أسرة كبيرة في تيانتشو (بالهند)، حيث كان وزيرًا للملك لعدة أجيال. وقد حصل والده على العديد من المناصب، وذلك لأنه كان ذكيًا للغاية، ذا كفاءة عالية، ويتمتع بمواهب كبيرة. وكان يرغب هذا الوالد في أن يخلفه ابنه كومارا جيفا في المناصب، إلا أنه رفض واعتنق البوذية. وبعد ذلك سافر من تسونغ لينغ إلى كوتشا شرقًا وأعجب توتشا بأخلاقه واستقبله شخصيًا على أطراف المدينة بل وجعله مساعدًا له. كما أن أم كومارا جيفا كانت هي الأخت الصغرى لملك كوتشا، وكانت تتميز بالذكاء الشديد، والذاكرة القوية، وحسن الفهم، وكان على جسدها خلد أحمر يرمز إلى إنجاب الولد الكريم. وحينما بلغت العشرين من عمرها، تقدم كثير من نبلاء الدول إليها لطلب الزواج منها، لكنها رفضت، وبعد رؤية والد كومارا جيفا، أعجبت به كثيرًا ومن ثم وافقت على الزواج منه. وعندما كانت حاملاً تضاعفت قوة الذاكرة والفهم لديها، حتى إنها أتقنت اللغة الهندية بدون معلم، الأمر الذي أدهش الجميع. ولذا قال أحد الرهبان المشهورين: إن هذه الظاهرة ترمز إلى حملها بطفل ذكي. ومن العجيب أنها حين ولادته نسيت اللغة الهندية فجأة. وقد اعتنق كومارا جيفا الديانة البوذية مع أمه في السنة السابعة من عمره. وبدأ كومارا جيفا يدرس الكتب البوذية على يد المعلمين، ومن قوة ذاكرته كان يحفظ كل يوم ألف سطر، كل سطر به اثنان وثلاثون كلمة، كما كان لديه القدرة على فهم الأمور الغامضة بدون إرشاد معلميه. وفي السنة الثانية عشرة من عمره ذاع صيته، واشتهر في جميع البلدان، حتى إن كثيرًا من البلدان تنافسوا على دعوته، إلا أنه رفض دعوتهم. وفي ذلك الحين أخذته أمه إلى جبل يوشيباي، وقابلت أحد الرهبان هناك، حيث قال لها بشكل مفاجئ: عليك أن تحمي كومارا جيفا، لأنه إذا بلغ عمره خمسة وثلاثين عامًا، ولم يخالف طقوس تعاليم البوذية، فسيصبح بوذيًا كبيرًا ينشر البوذية لجميع الناس. وانتشرت عجائب كومارا جيفا في جميع أنحاء المناطق الغربية، وكانت تقام كل عام فعاليات تدريس الحجج البوذية، حيث يجتمع ملوك المناطق الغربية فيها، ويركعون بجانب عرش كومارا جيفا، ويطلبون منه اعتلاء العرش.



تمثال كومارا جيفا

ولم تنتشر شهرة كومارا جيفا في المناطق الغربية فحسب، بل انتشرت شرقًا حتى تشين تشى. وكان الملك فو جيان يقدر كومارا جيفا تقديرًا بالغًا لما له من أفكار عميقة. وفي السنة الثالثة عشرة من فترة حكم جيان، أخبر سفير تشيانتشن الملك فو جيان أن نجمًا لامعًا قد ظهر في حدود البلدان الخارجية، وهذا بالتأكيد يرمز إلى قدوم عالم كبير إلى بلادنا. وأجاب فو جيان أنني سمعت عن العالم الكبير كومارا جيفا في المناطق الغربية، حيث بلغ مبلغًا عظيمًا في التفسير والأخلاق، وبلا شك فإن هذا العالم الأجنبي الحكيم الذي يقصدونه هو كومارا جيفا. وقد ذهب ملك مملكة شنشن وأخو ملك كوتشا سويا إلى فو جيان وقالا له: إن المناطق الغربية غنية بالمجوهرات النفيسة، ودعاه لفتح المناطق الغربية. وبعد ذلك قرر إرسال القائد ليو قوانغ لفتح هذه البلاد. وقبل سير الجيش أوصى الملك فو جيان القائد ليو قوانغ أنه يجب عليه أن يعامل الشعب معاملة الأب الرحيم عند فتحه لهذه البلاد، حتى يعلموا سبب هذا الفتح، كما أنه مشتاق إلى رؤية عالم الحكمة والأخلاق الكبير كومارا جيفا، وذلك لأنه سمع بأنه يقيم في المناطق الغربية، ولديه علم عميق بالعلوم البوذية، ومخضرمًا في منطقة يين يانغ. إنه المعلم الكبير، ما أكثر اشتياقي إليه! فهذا العالم الكبير يعد حقًا كنزًا للبلاد، فإذا فتحت بلاد كوتشا فأتني بهذا العالم سالمًا. وفور انطلاق جيش ليو قوانغ، أبلغ كومارا جيفا ملك كوتشا أن بلاد كوتشا ضعيفة، ولا يمكن لها القتال، وأن هناك عدوًا قويًا قادم من الشرق، عليكم مقابلته بالترحيب فلا طاقة لكم بمواجهته. لكن ملك كوتشا لم يستمع إلى نصائحه، وأصر على خوض هذه المعركة، وكانت النتيجة أن هُزم جيشه هزيمة نكراء، وقتل ملك كوتشا. وبعد فتح ليو قوانغ لبلاد كوتشا ألقى القبض على كومارا جيفا ولم يدر أنه الرجل الحكيم لحداثة سنه، فأخذ يمزح معه ويداعبه كمداعبته لزوجه وولده. وأراد ليو قوانغ إجباره على الزواج من أميرة كوتشا، إلا أنه رفض ذلك بشدة. ثم أمر ليو قوانغ كومارا جيفا بركوب الثور والحصان الوحشي، وذلك ليسخر منه عندما يسقط من فوق الثور والحصان. ورغم كل هذه

التصرفات المهينة، إلا أن كومارا جيفا تحمل الإهانة، وأخيرًا أحس ليو قوانغ بالخجل، وتوقف عن تصرفه المشين. وبعد ذلك قاد ليو قوانغ جيشه للعودة إلى البلاد، وبينما كانوا يسيرون في الطريق نزل الجيش ونصبت الخيام تحت الجبل للاستراحة، فقال كومارا جيفا لليو قوانغ: "لا يمكن البقاء في هذا المكان وإلا فسوف يهلك الجيش، عليك أن تنتقل بالجيش إلى الهضبة". ولم يدرك ليو قوانغ رأي كومارا جيفا، وفي تلك الليلة، هطلت الأمطار والسيول، وتفجرت المياه المتكدسة العميقة، وتوفي ألف جندي. حينها أدرك ليو قوانغ كرامات كومارا جيفا. ثم قال كومارا جيفا لليو قوانغ: "لا يمكن البقاء في هذا المكان الممتلئ بالمخاطر طويلاً، حتى تحافظ على بقية الجند، ولا يزيد عدد القتلى، وعليك أن ترجع إلى البلاد، وفي منتصف الطريق ستجد مكانًا يلائم الإقامة". وفي النهاية، قبل ليو قوانغ رأي كومارا جيفا، وغادر الجيش على الفور. وعندما وصل الجيش إلى ليانغتشو (ووواي بمقاطعة قانسو حاليًا)، سمع أن فو جيان قتل على يد ياو تشانغ، وعلى الفور أمر ليو قوانغ جيوشه الثلاثة بارتداء ملابس الحداد. وبعد ذلك تولى ليو زوان ابن ليو قوانغ قيادة الجيش في عهد شياننينغ. وفي السنة الثانية من فترة شياننينغ حدثت أمور عجيبة كثيرة، فقد ولد خنزير صغير بثلاثة رؤوس، كما ظهر تنين طائر من بئر شيانغ الشرقي، واستلقى أمام القصر الامبراطوري، ثم اختفي عند الصباح. واعتقد ليو زوان أن هذا التنين هو رمز للسعادة، ومن ثم أطلق على هذا القصر قصر التنين الطائر. وبعد ذلك انتشر خبر طائر التنين الأسود الذي يحلق على بوابة القصر التاسع، لذلك غيّر ليو زوان اسمها من بوابة القصر التاسع إلى بوابة التنين السعيد. وقال كومارا جيفا لليو زوان إن ظهور الخنزير الغريب يرمز إلى وقوع العجائب، وكذلك فإن ظهور طائر التنين لا يرمز إلى السعادة، حيث إن التنين ينتمي الى فصيلة السالب، ويظهر بصورة دورية، لكنه ظهر مؤخرًا مرارًا وتكرارًا، وهذا يرمز الى وقوع مصائب، فعليك بإصلاح الأخلاق حتى يعم الخير، لكن ليو زوان لم يأخذ بهذه النصائح. وقد قاد تشانغ بلاد هوتشن بعد مقتل فو جيان، ودعا بنفس طيبة كومارا جيفا، لكن أسرة ليو خشيت من استغلال كومارا جيفا من قبَل ياو تشانغ، الأمر الذي لا يجلب الخير على بلاد ليانغ، لذلك لم يوافقوا على سفر كومارا جيفا إلى الشرق. وبعد موت ياو تشانغ، تولى العرش ياو شينغ بعد فتحه بلاد ليانغ، وحينها سافر كومارا جيفا إلى قوانتشونغ، وكان حينئذ يبلغ من العمر ثمانية وخمسين عامًا، وفرح ياو شينغ بقدوم كومارا جيفا فرحًا شديدًا، وأحسن معاملته وضيافته. وفي العام التالي دعاه لترجمة الكتب البوذية، كما دعا الرهبان في جميع أنحاء البلاد لتكوين كوكبة من المترجمين مكونة من أكثر من ثمانمائة مترجم تحت إشراف كومارا جيفا. وبالفعل تم ترجمة ما يقرب من خمسة وثلاثين كتابًا بوذيًا مقدسًا، أي ما يزيد عن ثلاثمائة مجلد، وكان لهذه الكتب البوذية أثر كبير في انتشار البوذية آنذاك. وخلال عملية الترجمة والتي امتدت لسنوات طويلة، درب كومارا جيفا كثيرًا من الرهبان

الممتازين على العلوم والنظريات البوذية بقومية هان وأصبحوا مشهورين برهبان مذهب كومارا جيفا. وبعد ذلك عُرف كل من داو شنغ، وسنغ تشاو، وداو روي، وداو رونغ، وداو هنغ، وسنغ يينغ، وهوي قوان، وهوي يان بالعلماء الثمانية في مذهب كومارا جيفا. فقد كان لياو شينغ يستسلم عادة للأوهام، حيث قال ذات مرة لكومارا جيفا: "أيها المعلم الكبير! أنت ذكي جدًا، ولديك معارف وفيرة، وأول عالم في العالم، فإذا مت انقطعت معارفك البوذية، ولا يوجد من يخلفك في هذه المهمة". ولذلك أجبر كومارا جيفا على قبول عشر نسوة، الأمر الذي أغضب كومارا جيفا غضبًا شديدًا، إلا أنه كظم غيظه من أجل مواصلة أعمال الترجمة العظيمة. وبعد ذلك ترك كومارا جيفا المعبد وانتقل إلى مكان آخر بعيد. وكلما بدأ في شرح العلوم البوذية، قال متأثرًا: "ذلك مثل اللوتس زكي الرائحة يخرج من الطين النتن الرائحة، فنأخذ اللوتس زكي الرائحة فقط، ولا نأخذ الطين النتن الرائحة". ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض الناس استحقروا كومارا جيفا وأرادوا تقليده. لذلك اجتمع كومارا جيفا بالجميع أمام قصعة فيها إبر حديدية كثيرة وقال لهم: "إذا أمكن لكم بلع إبرة واحدة من هذه فيمكنكم تعلم سلوكي، وإلا فلتريحوا أنفسكم، وحسنوا أخلاقكم، وتوقفوا عن جنون العظمة". وبعد كلامه، بلع الإبر الحديدية بسهولة مثل بلع الأرز. وعندما رأى الجميع هذه الحالة، وجلت قلوبهم، وزاغت أبصارهم، وأحسوا بالخسران.

وقد أحس كومارا جيفا بدنو أجله، إلا أن أمله في مواصلة ترجمة الكتب البوذية لم يتوقف، وقبل أن يموت أعلن لجموع الرهبان قائلاً: "اجتمعنا على مائدة تعاليم البوذية، ولكن لم أكن لأكمل بغيتي، فأنا مرتحل عن هذه الدنيا قريبًا، ولا يمكن وصف حزني بكلمات. فأنا أرى نفسي جاهلاً، ونلت شرف ترجمة حوالي ثلاثمائة مجلد، وإذا حفظنا فقط "القوانين العشرة"، فإننا نضمن لأنفسنا التنزه عن الأخطاء. وأتمنى أن تنتشر جميع الكتب المترجمة في الأجيال اللاحقة. واليوم أقسم أمام الجميع بصدق وأمانة، أنه إذا خلت جميع الكتب التي ترجمتها من الأخطاء، فلن يُحْرق لساني بعد حرق جسدي". وبعد ذلك توفي كومارا جيفا في تشانغآن، وبعد حرق جسده، ظل لسانه دون أن يتعرض لتأثير النار، وهذا يبرهن على صدق قسمه الذي أقسمه من قبل.

الطاوية — الدين الوحيد الذي قدم إلى شينجيانغ من السهول الوسطى

تعتبر الطاوية واحدة من أهم الأديان التي تعتنقها قومية هان الصينية (إحدى القوميات الصينية وتمثل حوالي 92٪ من الشعب الصيني)، حيث نشأت وترعرعت هذه الديانة في التربة الصينية. وقد

أثرت تأثيرًا هائلاً في تطور الثقافة الصينية القديمة، بالإضافة إلى الكونفوشيوسية والبوذية اللتين أحدثتا تأثيرًا كبيرًا أيضًا في الثقافة الصينية.

نشأة الطاوية

نشأت الديانة الطاوية في أواسط عهد أسرة هان الشرقية تقريبًا. ومن المعتقد أن مؤسس الطاوية هو تشانغ لينغ الذي كان معاصرًا للإمبراطور شون (عام 125-144). وكان تشانغ لينغ في الأصل محافظًا لمدينة تشونغ تشينغ بمقاطعة سيتشوان حاليًا في فترة أسرتي هان ومينغ. وقد أُطلق على هذه الديانة اسم "طاوية الخمسة مكاييل من الأرز"، حيث إن كل معتنقي الطاوية يجب أن يقدموا خمسة مكاييل من الأرز حتى يكونوا طاويين حقًا. وقد ألف تشانغ لينغ كتاب "الطاوية" في أربعة وعشرين جزءًا، كما منح لاوتسي لقب مؤسس الديانة الطاوية. وبعد ذلك، أُطلق على تشانغ لينغ لقب "المعلم السماوي". ومنذ ذلك الحين تم الإعلان عن أن الطاوية هي الديانة التي ستحكم البلاد، وذلك لضمان سلامة واستقرار البلاد. ولذا كانت الطاوية وقوانينها هي الأساس الذي يعتمد عليه في معاملة وقيادة الشعب. وفي بداية ظهور الطاوية اعتنقها ما يقرب من ثلاثمائة شخص، وكانوا يطلقون على تشانغ لينغ لقب "المعلم السماوي". وفي عهد الإمبراطور لينغ بأسرة هان الشرقية (عام 168-189)، أطلق تشانغ جياو (من مواطني مقاطعة خبي) على كتاب "تاي بينغ" لقب الكتاب المقدس للطاوية، ومن ثم أسس "طاوية تاي بينغ"؛ وهو مذهب آخر من مذاهب الطاوية. وكان تشانغ جياو يلقب بـ "المعلم العظيم"، حيث عالج الأمراض باستخدام تعويذة الماء، وبعد ذلك جمع حشدًا كبيرًا من المريدين إلى أن وصل عددهم إلى مائة ألف شخص. وفي عام 184 شن هؤلاء انتفاضة الفلاحين، وأطلق عليها اسم "انتفاضة العمائم الصفراء"، وفي هذه الانتفاضة تبادل أتباع طاوية تاي بينغ وأتباع طاوية الخمسة مكاييل من الأرز التأييد واتحد كل منهما مع الآخر، ومن ثم تولوا راية انتفاضة الفلاحين. وبعد وفاة تشانغ لينغ أصبح تشانغ لو حفيد تشانغ لينغ مسؤولاً عن طاوية الأرز، ومن ثم اعتمد على جماهير الطاوية الحاشدة وشن هجومًا على هان تشونغ واحتلها، وبعد استسلام تشانغ لو إلى تساو تساو، ازداد تأثير طاوية الأرز يومًا بعد يوم.

أفكار ومعتقدات الطاوية

يكمن مصدر الطاوية في المجالات الآتية:

1-عبادة القدماء الصينيين للآلهة (قوى الطبيعة): وتشتمل على عبادة الشمس والقمر والنجوم والجبال والأنهار والأجداد... إلخ. وبعد ذلك انبثقت آلهة الطاوية من هذه الآلهة سالفة الذكر والتي تعتبر آلهة مألوفة لدى جماهير الشعب في الصين، ومن ثم تشكل نظام إلهي خاص بها.



معبد هونغمياو بأورومتشي

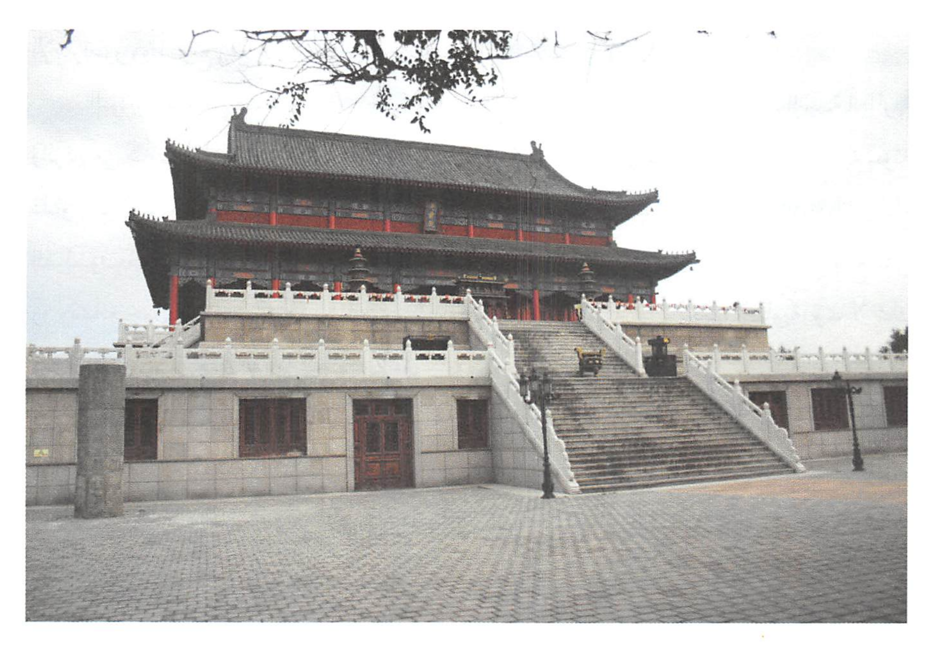
2-السحر في العصور القديمة وإكسير الحياة: يعتقد القدماء أن الكهانة يمكنها أن تزيل ما بهم من شكوك وتجعلهم يشعرون بالراحة، وفي نفس الوقت تحدد السعادة والتعاسة بالنسبة لهم. كما يعتقدون بأن الساحر يستطيع أن يؤسس العلاقة بين الإنسان والآلهة. وبعد ذلك ورثت الطاوية هذا السحر واستوعبته. وبعد عصر الممالك المتحاربة، انتشر "إكسير الحياة" الذي يبشر بالعمر المديد دون كهولة انتشارًا واسعًا، وقد تمثلت الطاوية في كل هذه الأفكار، وتحول صانع إكسير الحياة إلى معلم في الديانة الطاوية.

3-مذهب النبوءات الذي انتشر في حقبة شيان تسين، والذي يعني السالب (السلبية في الطبيعة) واليانغ (الموجب) والعناصر الخمسة (المعدن، والماء، والنار، والتراب، والخشب)، وقد تأثرت الطاوية بهذا المذهب.

4-أفكار هوانغ ولاوتسي: يرى الطاويون أن مؤسسي الديانة الطاوية هما الإمبراطور هوانغ والفيلسوف الصيني لاوتسي، وتحتوي أفكار هوانغ ولاوتسي على الكثير من الفكر الصوفي، وقد مثلت الطاوية كل هذه الأفكار، وحدث دمج بينها وبين فن إكسير الحياة، بالإضافة إلى أنها أضفت طابع الأحجية والألوهية على هوانغ ولاوتسي، ومن ثم تشكل جوهر عبادة الطاوية، وبخلاف ما ذكر، فإن

البوذية أيضًا قد أحدثت تأثيرًا كبيرًا في الديانة الطاوية.

يمثل "الطاو" أساس الإيمان بالطاوية، وهو مفهوم فلسفي مقتبس من الطاويين. وتعتقد الديانة الطاوية أن "العدمية" هي مصدر جميع المخلوقات. كما تعتقد الديانة أيضًا أن "الطاو" هو شيء خارق للطبيعة وفي نفس الوقت يتمتع بروح، وهو الشيء في ذاته، وخالق لكل شيء، وهو موجود في كل مكان، وهو نور السماوات والأرض. كما تعتقد الديانة أن الكون والين واليانغ، والعناصر الخمسة وجميع الموجودات انبثقت من الطاو. كما ترى الطاوية أن لاوتسي هو تجسيد لـ"الطاو". وبعبارة أخرى، يُعد لاوتسي الإله الأعظم عند معتنقي الطاوية. وتعتقد الطاوية أن "الطاو" قديم منذ الأزل، وهو خالق العالم التجريدي (النظام الإلهي) الذي لا يضاهي الموجود بداخله إله السماء والأرض، والإنس والجن، والذي يرأسه الإله الأعظم "يوانشي تيان تسونغ". وتعتقد الطاوية أن الآلهة لها مراتب مختلفة، وتمتلك جميعها قوة إلهية خارقة تمكنهم من فعل كل شيء. كما تعتقد الطاوية أيضًا أن الناس يستطيعون فهم "الطاو" إذا تحلوْا بالهدوء والطمأنينة، ومن ثم يحظى المرء بالعمر المديد حتى يصبح ملاكًا (خالدًا). والجدير بالذكر أن هناك اهتمامات مختلفة للممارسات المختلفة للطاوية، فبعضها يهتم بالابتهال طلبًا للسعادة ومكافحة الكوارث، وبعضها تهتم بالتدريبات الذاتية. وتحتوي الشعائر الطاوية على أداء الصلوات اليومية وقراءة



الطاوية بشينجيانغ—معبد لاوجيون

الكتاب المقدس وتقديم القرابين للآلهة في الأعياد، بالإضافة إلى الطقوس الخاصة للمؤمنين حيث يتم فيها الابتهال طلبًا للسعادة ومكافحة الكوارث.

وهناك العديد من الكتب المقدسة الطاوية، من أهم هذه الكتب: كتاب "داو تي تشينغ" أي "خمسة آلاف خطاب من لاوتسي" و"تاي بينغ جينغ" و"أفكار لاوتسي"... إلخ.

تطور الديانة الطاوية وتأثيرها على المجتمع الصيني

تُعد فترة التطور الأكثر أهمية للطاوية هي الفترة ما بين أسرتي سوي وتانغ وأسرة سونغ الشمالية، حيث اعتنق الكثير من الأباطرة الديانة الطاوية، ومنح حكام أسرة تانغ أنفسهم لقب أحفاد لاوتسي، وانتهج الحكام سياسة تقديس الأديان، واستفادوا من الطاوية في حكمهم كواحدة من أهم ثلاثة أديان آنذاك؛ الطاوية، والبوذية والكونفوشيوسية. ومنح الإمبراطور قاو تسونغ أحد أباطرة أسرة تانغ الفيلسوف الصيني لاوتسي لقب "الإمبراطور"، وأمر جميع الولايات ببناء الأديرة لتقديم القرابين لهذا الفيلسوف. كما أمر الإمبراطور شوان تسونغ في نفس الأسرة أن يتم معاملة الطاوي معاملة حسنة مثل نفس المعاملة التي تلقاها أسرته، كما أمر بتصنيف المؤلفات الطاوية الأربعة المتمثلة في كتاب "لاوتسي" و"تشوانغ تسي" و"ليا تسي" و"وون تسي". علاوة على ذلك، قام الإمبراطور شوان تسونغ بنفسه بإعداد المقدمة الخاصة بكتاب "تاو تي تشينغ"، كما أمر أن تقتني جميع الأسر والعشائر هذا الكتاب. وفي عهد الإمبراطور وو تسونغ رُفع من شأن الديانة الطاوية على حساب.

البوذية، مما جعل الطاوية تحقق تطورًا كبيرا. وقد توارث أباطرة أسرة سونغ عبادة الديانة الطاوية والرفع من شأنها كما كان الحال تمامًا في عهد أسرة تانغ، ومُنح الإمبراطور جين تسونغ في أسرة سونغ تشاو شيوان لانغ لقب جد الإمبراطور تشاو، وحظيت الطاوية في عهده بالاحترام والتبجيل، ومُنح الفيلسوف الصيني لاوتسي لقب "الإمبراطور السماوي الأعظم". كما أمر جين تسونغ كلاً من وانغ تشن رو وتشانغ جون فانغ بإعداد كتاب "الكنوز الطاوية"، كما أقام الكثير من الأديرة الطاوية. ومما لا شك فيه أن كل ما سبق جعل الديانة الطاوية تحقق تطورًا كبيرًا.

وقد تمكنت الطاوية خلال تاريخ طويل من الانتشار أن تؤثر بشكل كبير في الإبداع الفني الأدبي، والفنون الجميلة، والمعمار، والموسيقى، والطب وغيرها من المجالات. والجدير بالذكر أن الأدب الطاوي احتل مكانة عالية في تاريخ الأدب الصيني. ولذا فقد كان للطاوية تأثير عظيم في الأعمال الأدبية، حيث إن أفكار التحول إلى ملاك في الطاوية وتكوين عالم الملائكة قد أثر في الإبداع الأدبي، مثل: الأشعار والنثر والسيرة والرواية... إلخ، ولذا كان مضمون هذه الأعمال غنيًا ووافرًا. ويعتبر الشاعر العظيم لي

باي بأسرة تانغ النموذج الأكثر بروزًا في هذا الشأن، حيث إن أعماله الأدبية كانت مليئة بفكر الخلود والتحول إلى ملاك في الطاوية. كما أثرت الأفكار الطاوية أيضًا على الكثير من الأدباء والمثقفين الصينين في العصور القديمة. وفي الوقت نفسه، تمثلت تلك الأفكار في رواية "تغيرات الآلهة" التي انتشرت انتشارًا واسعًا في عهد أسرتي مينغ وتشينغ، كما جسدتها القصة الشعبية الشهيرة "قصة ثمانية ملائكة" المقتبسة بصورة مباشرة من أنشطة الآلهة والملائكة في الطاوية. علاوة على ذلك، فقد أثرت الطاوية تأثيرًا كبيرًا في علوم الطب الصيني، بل وتعتبر علوم الطب الطاوية جزءًا أساسيًا في علوم الطب الصيني، حيث إن هدف الإيمان في الطاوية هو العمر المديد حتى يصبح المرء ملاكًا، وهذا بالتأكيد يكون عن طريق نظرية البلدية على الصحة، ومن ثم لا تزال علوم الطب الطاوية تحتل مكانة هامة في علوم الطب الصيني.

انتشار الطاوية في المناطق الغربية

لم يذكر بالتحديد في كتب التاريخ الوقت المحدد لدخول الطاوية شينجيانغ، لكن يمكننا استنتاج الفترة التي دخلت فيها الديانة الطاوية شينجيانغ من خلال وثائق علم الآثار، حيث نجد أن الديانة الطاوية دخلت إلى شينجيانغ تقريبًا في عهد أسرة جين الشرقية وفترة الست عشرة مملكة، (أي في الفترة ما بين القرنين الرابع والخامس الميلادي)، حيث تم العثور على الكثير من الملابس الجنائزية



المشاهد الخارجية لمقابر أستانا

التي تحمل الخصائص الطاوية في مقابر أستانا بمنطقة توربان.

وتعتبر توربان ممرًا استراتيجيًا هامًا بين السهول الوسطى وشينجيانغ، وهي واحدة من أهم المناطق التي يمارس فيها أهل قومية هان أنشطتهم منذ عهد أسرة هان. ومنذ عهد أسرة وي الشمالية، كانت السلطة السياسية في منطقة قاوتشينغ في قومية هان يقدسون الديانة الطاوية، ولذا كان من الطبيعي أن تصبح شينجيانغ من أوائل المناطق التي انتشرت فيها الديانة الطاوية. وبسبب التنقل المستمر لأهل قومية هان الذين يعتنقون الطاوية إلى قاوتشانغ، فإن الديانة الطاوية قد انتشرت بسرعة في هذه المنطقة، وخير دليل على ذلك الملابس الجنائزية الكثيرة التي تم اكتشافها في منطقة توربان، حيث كان يُكتب على الملابس الجنائزية في هذه الفترة بعض التعويذات الطاوية، بالإضافة إلى وجود بعض التصاميم الزخرفية لآلهة الحماية، وهي: التنين الأخضر، والنمر الأبيض، والعصفور الدوري الأحمر، والسلحفاء الشمالية، بالإضافة إلى أسماء بعض الآلهة في الديانة الطاوية، مثل: "تشانغ جيان قو" و"لي دينغ دو" وغيرها من الأسماء، وهذا بالتأكيد يدل على ازدهار الطاوية بمنطقة قاوتشانغ في عهد أسرتي وي وجين. علاوة على ذلك، فقد اكتشف علماء آثار شينجيانغ أثناء تنقيبهم في الأطلال الخاصة بمنطقة جولولان جثتين جافتين لعصور مختلفة وأشخاص مختلفة، وإحدى هذه الجثث لطفل ينتمي إلى شعب الساكا تعود لما قبل 4000 سنة، ويبدو لون شعره أصفر قاتمًا، ويرتدي قبعة وملابس خشنة وحذاءً جلديًا وبقرب كتفه سلة عشبية؛ أما الجثة الأخرى فكانت لشيخ يرتدي ملابس قطنية، ويُغطى وجهه بقماش أصفر، كما أن ملامحه تشبه ملامح المنغوليين، وعلى أطراف التابوت الذي يوجد به الجسد تم اكتشاف صورة لعصفور الدوري الأحمر والسلحفاء الشمالية، ومن الواضح من شكل هذه الجثة أنها لشخص يعيش في الفترة ما بين القرنين الثالث والخامس الميلادي، ويبدو أن هذا الشخص أحد معتنقي الديانة القومية في قومية هان. ومما سبق يتضح أن الديانة الطاوية قد انتشرت انتشارًا واسعًا في منطقة قاو تشانغ وغيرها من المناطق الغربية الأخرى في عهد أسرتي وي وجين.

وفي فترة جنقوان من أسرة تانغ الملكية تم توحيد شينجيانغ، وبذلك انتهى الوضع الانفصالي الذي امتد لوقت طويل. وقد أطلقت الأسرة الإمبراطورية على نفسها لقب أحفاد لاوتسي، ومن ثم قاموا بدعم الديانة الطاوية دعمًا قويًا. وقد تطورت الديانة الطاوية خلال هذه الفترة تطورًا كبيرًا في الصين، كما أدى اعتناق الأسرة الإمبراطورية للديانة الطاوية إلى تطور الديانة الطاوية في المناطق الداخلية. وبالرغم من الانتشار الواسع للبوذية والزرادشتية في أسرة وي وجين وأسرتي سوي وتانغ، إلا أن الديانة الطاوية قد حققت، رغم كل هذه الظروف، تطورًا كبيرًا، فضلاً عن بقائها. وبالإضافة إلى دعم حكومة أسرة وي الشمالية وأسرة تانغ للديانة الطاوية، فإن التكيف النفسي والقبول التي لاقته هذه الديانة لدى

جماهير الشعب كان واحدًا من العوامل الهامة التي لا يمكن إغفالها عند سرد عوامل انتشار الطاوية. وخلال عملية انتشار الطاوية في شينجيانغ، فقد استوعبت وامتصت جوهر ومضمون الديانة البوذية، وتم صبغها بالصبغة البوذية، ومن ثم استطاعت أن تندمج اندماجًا كليًا مع الديانة البوذية، وبعد ذلك تشكلت الخصائص البارزة للطاوية في شينجيانغ. ولذلك استطاعت الديانة الطاوية أن تظل في شينجيانغ، بل وتطورت تطورًا سريعًا.

آثار الثقافة الطاوية في المناطق الغربية

يمكن القول بأن آثار الثقافة الطاوية في المناطق الغربية كانت محدودة للغاية، ومن بين الآثار المحدودة التي تم اكتشافها: "مرآة الآلهة الأربعة" التي تم اكتشافها في بلدية خه جينغ في عهد أسرة هان الشرقية، وكان قطرها يبلغ 10 سم، ويلاحظ أنه تم نقش صورة الآلهة الأربعة (التنين الأخضر، والنمر الأبيض، وعصفور الدوري الأحمر، والسلحفاء الشمالية) على جانبي المرآة، وعلى حافة المرآة تم اكتشاف نص منقوش على شكل دائرة، وبالتمعن في الكتابة اكتُشف أنها مكتوبة بالخط الصيني القديم، ومن الملاحظ أن هذه المرآة النحاسية تعد من الآثار التي تم استخدامها من قبل متديني الطاوية بقومية هان. علاوة على ذلك، فقد تم اكتشاف "رسم نووا وفوشي" الذي كان مرسومًا على الحرير في مقابر أستانا، ويوجد أسفل جسد فوشي ونووا شكلان ملتفان على هيئة ثعبان، ويحمل فوشي بيده أداة على شكل مسطرة وتظهر منحنية مثل العكاز، أما نووا فتظهر في الصورة حاملة فرجار بيدها، بالإضافة إلى ظهور الشمس والقمر والنجوم في الخلفية، وهذه الصورة ترمز إلى الأفكار الطاوية التي تتبنى نظرية الين واليانغ اللذين اتحدا واندمجا، ومن ثم اشتق منهما جميع المخلوقات. وبخلاف ذلك فقد تم العثور على بعض الآثار التي ترمز إلى الفكر الطاوي في مقبرة أسرة تانغ، حيث تم العثور على تصاميم زخرفية على التابوت، وتظهر هذا الرسوم تجاعيد السحب، وطائر الكركي، وصبيًا يركب فوق الكركي، وفوق القبة تم رسم السماء وبها ثمانية وعشرون نجمًا بالإضافة إلى قمر وأرنب يحمل يد الهاون بيده، وعلى الطرف الأيسر تم رسم ضفدع... إلخ. والجدير بالذكر أن التصميم السابق يعكس الأفكار الطاوية التي تبشر بالعمر المديد دون كهولة إلى أن يصبح المرء ملاكًا. أما بالنسبة إلى تأثير الفن الطاوي على البوذية، فنرى أنه قد حدث اندماج بين الديانتين فيما يتعلق بهذا الشأن، ويظهر ذلك من خلال الرسومات والموسيقى البوذية وغيرها من الفنون في قاوتشانغ.

التقاء تشيو تشو جي بجنكيز خان

ولد تشون جين في عام 1148م، واسم عائلته "تشيو"، أما اسمه فكان "تشوجي"، وكانت طاويته

تسمى "تشوان جين"، وقد لد في منطقة شيشيا بدنغتشو (مدينة بنغلاي بمقاطعة شاندونغ حاليًا). والجدير بالذكر أنه تتلمذ على يد وانغ تشونغ يانغ مؤسس طاوية تشوان جين، كما سبق له أن تتلمذ على يد مؤسس طاوية تشاوجن وانغ تشونغ يانغ (وتدعو هذه الطاوية إلى الدمج بين الأديان الثلاثة الكونفوشيوسية والطاوية والبوذية). ويعتبر تشيو تشو جي واحدًا من "الطاويين الحقيقيين السبعة" الذين التفوا حول وانغ تشونغ يانغ لتعلم الطاوية". وفي عام 1217م، أصبح تشيو المسؤول الخامس عن طاوية تشوان جين في جميع أنحاء البلاد، وبالرغم من أنه كان في العقد السابع من عمره حيث بياض الشعر واحمرار الوجه، إلا أنه كان يبدو في ريعان شبابه، لأنه كان يتقن فن "إكسير الحياة" (أي العمر المديد بلا كهولة). وبعد ذلك ترامى هذا الفن الغريب الذي يبشر بالعمر المديد بلا كهولة إلى مسامع جنكيز خان الذي كان يقود جيوشه لفتح بلاد خوارزم. وكان جنكيز خان في العقد السادس من عمره آنذاك، وكانت تبدو عليه علامات الشيخوخة، فضلاً عن شعوره بالوهن، وقد أبلغ من حوله: أن تشيو تشو جي قد بلغ من العمر أرذله، حيث يزيد عمره عن الثلاثمائة عام، وذلك لأنه يتقن بالتأكيد فن العمر المديد بلا كهولة. ولذا أرسل جنكيز خان ليوجونغ لو في طلبه حاملاً إليه رسالة بها أسمى تعبيرات التواضع.

وفي البداية، تردد تشيو شو جي في قبول دعوة جنكيز خان فور استلامه الدعوة، وذلك لأن طاوية تشاوجن تدعو إلى الرهبنة، ومن ثم لا يرغب في أن يكون له أي صلة بعالم السياسة الفوضوي، ولذا رفض قبول الدعوة في البداية، إلا أنه عاد وقام بدراسة الوضع جليًا، ومن ثم قبل الدعوة في النهاية، حتى يتسنى له نشر وتطوير طاوية تشوان جين.

وفي ربيع عام 1221م تقابل تشيو تشو جي مع ليو جونغ لو، مبعوث جنكيز خان، في مسقط رأسه، واصطحب تشيو تشو جي معه ثمانية عشر مريدًا، ومن بينهم: تشاو داو آن، وسونغ داو آن، ولي تشي تشانغ وغيرهم، ومن ثم توجهوا جميعًا إلى يانجينغ (بكين حاليًا)، إلا أن جنكيز خان قاد جيوشه متجهًا إلى المنطقة الغربية، وبالتالي ابتعد تمامًا عن يانجينغ التي يتواجد بها تشيو تشو جي. وعندما رأى تشيو عدم إمكانية مقابلة جنكيز خان في يانجينغ في الوقت الحالي، أرسل له رسالة موضحًا فيها: أنه لا يقدر على حكم البلاد، وذلك بسبب بلوغه من العمر أرذله، وأنه يتطلع إلى العودة مرة أخرى لمقابلة جنكيز خان بعد عودته. ونتيجة لذلك ظن ليو جونغ لو أن تشيو تشو جي يريد فرض بعض الشروط، لذا اقترح عليه أن يختار بعض النساء الجميلات ليرافقنه أثناء سيره، إلا أن تشيو غضب غضبا شديدًا بسبب عرض هذا الأمر عليه، وعلى الفور أرسل ليو جونغ لو مبعوثًا ليقص ما حدث على جنكيز خان. وعندما علم جنكيز خان بما حدث أرسل رسالة أخرى إلى تشيو يرجوه فيها بالمجيء إلى الغرب لمقابلته. وبالفعل استجاب

تشيو تشو جي لطلب جنكيز خان، وعلى الفور أعد عدته للسفر إلى جنكيز خان. وفي الثامن من فبراير عام 1221م، بدأ تشيو تشو جي سفره الطويل إلى هضبة سايباي، والتي تبعد عشرة آلاف ميلاً عن المكان الذي يتواجد به، وعلى الرغم من أن هذا السفر سيستغرق أكثر من عام، إلا أن تشيو أصر على الشروع في هذه الرحلة رغم ما يشعر به من ضعف، وبلوغه من الكبر عتيًا.

ولمواصلة هذه الرحلة اجتاز تشيو تشو جي جبال ألتاي (تقع في شينجيانغ حاليًا)، ومنها إلى مدينة المالي (والتي يطلق عليها بالتركية "مدينة التفاح"، وهي مدينة يينينغ حاليًا)، ثم اتجه نحو الغرب عن طريق المنحدر الشمالي لسلاسل جبال تيان شان. وقد حظي تشيو تشو جي بترحيب حار فور وصوله إلى مدينة تشانغبلا (مدينة تشانغجي حاليًا)، وأحسن الملك ووزراءه ضيافة تشيو تشو جي ورفاقه، وقدم إليهم نبيذ العنب، كما أهدى إليهم بطيخة كبيرة الحجم، الأمر الذي جعلهم يشعرون بالذهول، كما قدم لهم أيضًا الشمام الذي يصل طوله إلى ذراعين والذي يتمتع بمذاق لذيذ للغاية. وقد مكث تشيو تشو جي في هذه البلدة يومين، وكانت الوفود تأتي في تلك الفترة للترحيب به. وخلال فترة وجوده بهذه المدينة استطاع أن يكتشف أن هذه المدينة تذخر بالديانات الثلاث، البوذية والطاوية والإسلام، أما السكان الذين كانوا يقطنون المناطق الغربية في مدينة تشانغبلا فكانوا يعتنقون جميعًا الدين الإسلامي، وهذه تعتبر من الملاحظات والتسجيلات المهمة للغاية، حيث توضح أن مجال انتشار الدين الإسلامي، الذي انتشر في جنوب جبال تيانشان في القرن العاشر الميلادي، في الشرق لم يتجاوز مدينة تشانغبلا وغيرها من المدن، وذلك في بداية عهد الإمبراطورية المغولية.

وبعد ذلك، غادر تشيو تشو جي مدينة تشانغبلا بعد مكوثه بها يومين ووصل إلى بحيرة سيليمو عبر الصحراء، ومنها إلى مدينة المالي. وفور وصوله إلى هناك لاحظ تشيو تشو جي أن الفلاحين يأخذون أوعيتهم ويخرجون في وقت مبكر لملئها بالمياه، ثم يضعون هذه الأوعية المملوءة بالماء فوق رؤوسهم ويرجعون بها إلى بيوتهم. وعندما رأى سكان هذه المناطق أدوات حمل المياه (الوعاء الخشبي) المستعملة من قبل تشيو تشو جي ورفاقه، قالوا بفرح إن كل شيء في تاوهواشي مبدع. وتعتبر لفظة تاوهواشي من المسميات التي كان يطلقها السكان في آسيا الوسطى على قومية الهان. وكان موكاتا (المؤرخ الروماني الشرقي في عهد أسرة سوي) يطلق على الصين اسم "بلاد تاوجيسي"، حيث إن لفظة "تاوهواشي" تعتبر مشابهة للفظة "تاوجيسي" في النطق إلا أنهما مختلفان في المعنى.

وفي بداية صيف عام 1222م، التقى تشيو تشو جي بجنكيز خان بعد طول انتظار، وكان جنكيز خان سعيدًا جدًا لمقابلة تشيو تشو جي، وعلى الفور دخل في لب الموضوع بلا تمهيد ولا مقدمة وطلب من تشيو تشو جي التركيبة السحرية للعمر المديد بلا كهولة. فأجابه تشيو قائلا: "توجد في العالم قواعد

للصحة، وليس هناك دواء خاص يجعل العمر مديدًا، وإن الذي يموتون عن عمر قصير يكون بسبب عدم اتباعهم هذه القواعد الصحية، كما أن البلدية على الصحة يكون بالقلب النقي الصافي، وهذا يتحقق من خلال ثلاثة أمور: 1-إزالة الأفكار غير الضرورية. 2-قلة الشهوات. 3-البلدية على نقاء وصفاء القلب".

وخلال هذه الفترة لم يتوقف تشيو تشو عن تقديم النصائح التي تتعلق بالعمر المديد لجنكيز خان. وذات مرة، سقط جنكيز خان من على الحصان عند صيد الخنزير البري، إلا أن هذا الخنزير لم ينقض على جنكيز خان. وبعد هذه الحادثة، قال تشيو تشو جي معلقًا: "إن الإله يحمي كل حياة في الدنيا ستنعم بالعمر المديد، ولذا ينبغي أن تقلل من ذهابك للصيد، وإن السقوط من الحصان هو نصيحة السماء إليكم، كما أن عدم انقضاض الخنزير عليك يدل على أنك تحظى برعاية الآلهة". ونتيجة لذلك أحبه جنكيز خان حبًا جمًا، وأودع ثقته فيه، وأبلغ كل من حوله أنه يجب تنفيذ جميع نصائح تشيو تشو جي. وذات مرة، عندما مر جنكيز خان بإحدى الجسور، انقطع الجسر فجأة بسبب العواصف الرعدية. وعقب تشيو تشو جي على هذه الحادثة قائلاً: "إن هذه العاصفة الرعدية تعتبر علامة من قبل السماء، ويجب أن تستغل نفوذك كإمبراطور لإجبار الناس على تغيير عاداتهم من عدم برهم لآبائهم". وتنفيذًا لنصائح صاحب العمر المديد أصدر جنكيز خان مرسومًا إمبراطوريًا بوجوب بر الآباء. علاوة على ذلك، قدم تشيو تشو جي الكثير من النصائح لجنكيز خان، ومن بين نصائحه التي قدمها له أن طريقة إدارة شؤون العالم تكون من خلال "احترام السماء وحب الشعب"، بالإضافة إلى التعاطف مع معاناة شعبه، وحماية مقدراته. وقد سبق للإمبراطور كانغشي أن قدم الكثير من المساهمات لشعب بلاده.

وبعد أن انتهى تشيو تشو جي من تقديم نصائحه لجنكيز خان، طلب منه السماح له بالعودة إلى الشرق، وطلب منه هذا الأمر مرارًا وتكرارًا، إلا أن جنكيز خان عز عليه فراق تشيو تشو جي، فقدم له الكثير من الذهب والفضة والجواهر، إلا أن تشيو تشو جي أصر على المغادرة. وبعد ذلك تم إبلا غ جنكيز خان بقرار تشيو تشو جي، وعند دعوته لتشيو تشو جي رأى الموظفين الرسميين يفرضون الضرائب على معابد طاوية تشوان جين، وبعد سماع جنكيز خان هذا الخبر، أصدر مرسومًا إمبراطوريًا بإعفاء جميع معابد طاوية تشوان جين من دفع الضرائب، ومن يخالف هذا المرسوم يُعاقب بالقتل. وبعد علم تشيو تشو جي بهذا المرسوم الإمبراطوري شد رحاله للعودة إلى الشرق.

وفي عام 1227م، توفي تشيو تشو جي في بكين، وبعد وفاته دفن في معبد السحابة البيضاء بغرب يانجينغ. وتولى تلميذه لي تشي تشانغ ترتيب وتبويب كتاب "رحلة تشيو تشو جي (الطاوي الحقيقي) إلى المناطق الغربية"، وقد تناول هذا الكتاب رحلة تشيو تشو جي العجيبة. وبسبب أن رحلات تشيو تشو جي



معبد السحاب الأبيض ببكين

قد طافت جميع أنحاء البلاد، مثل: منغوليا، وقرغيزستان، وكازاخستان، وأوزباكستان وأفغانستان وغيرها من البلدان، فإن هذا الكتاب قد أصبح أيضًا من الوثائق القيمة التي لا غنى عنها في دراسة تاريخ وثقافة آسيا الوسطى في القرن الثالث عشر وتاريخ تنمية طريق الحرير في عهد أسرة يوان، كما تم ترجمة هذا الكتاب إلى الروسية، والفرنسية والإنجليزية.

المانوية — الديانة الفارسية القديمة الوافدة على المناطق الغربية

تعد الديانة المانوية إحدى الديانات الفارسية القديمة التي قدمت إلى شينجيانغ بعد الديانة الزرادشتية. وقد أطلق عليها الصينيون قديمًا اسم "مو ني جياو" أو "موو ني جياو"، وهي تعني عندهم المانوية. وبسبب تقديس معتنقي هذه الديانة للنور، كان يطلق عليها اسم "دين النور"، أو "بوابة النور" أو "ديانة تقديس النور".

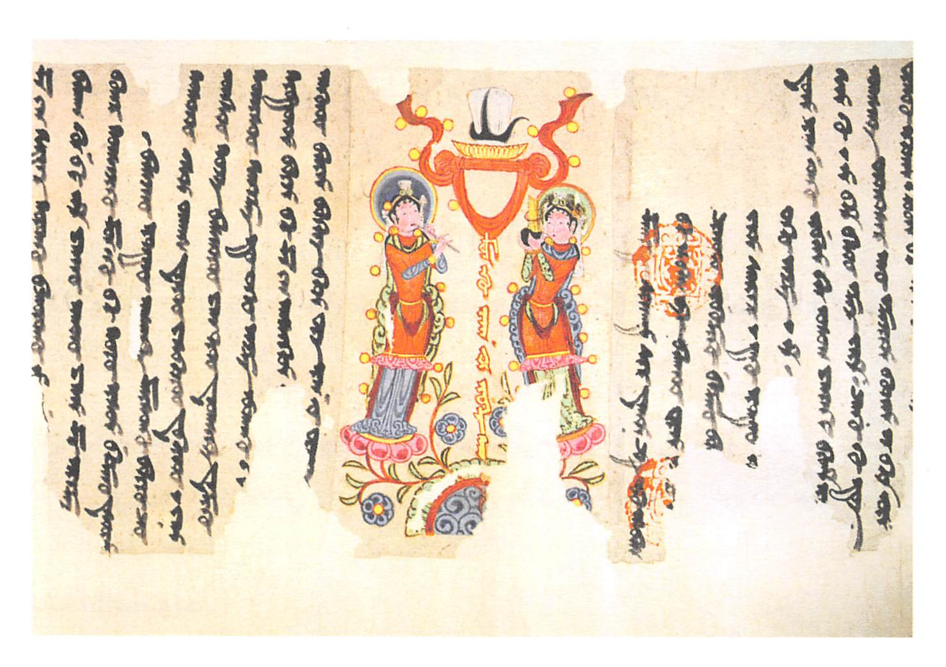
نشأة المانوية

ولد ماني مؤسس الديانة المانوية عام 215م أو 216م في مدينة بابل، ويرجع نسبه إلى طبقة الأشراف

والأمراء ببلاد فارس. وفي عام 247م وأثناء حفل تتويج ملك الإمبراطورية الساسانية شابور الأول، حاول ماني للمرة الأولي نشر الديانة المانوية التي تحتوي على أفكار الزرادشتية والمسيحية والبوذية والديانات البابلية القديمة، إلا أنه لم ينجح في تحقيق هدفه. وبعد ذلك، قام هذا الشاب ببذل الكثير من وقته وجهده للتبشير بالمانوية، لذا سافر إلى آسيا الوسطى والهند وشرق إيران لنشر هذه الديانة. وقد قيل بأنه كان يترك أحد تلاميذه في كل منطقة يذهب إليها لمواصلة أعماله في نشر الديانة المانوية.

وبعد أربعين عامًا، عاد ماني إلى مسقط رأسه، واستغل سلطانه وتأثيره الهائل الذي يتمتع به في دعوة شقيق شابور لقبول الديانة المانوية. وبالفعل اعتنق شقيق الملك المانوية بمحض إرادته على يد ماني، وبعد اعتناقه المانوية اصطحب ماني لمقابلة الملك شابور للمرة الثانية، وقد استغل ماني هذا الأمر فأرسل أحد تلاميذه لنشر الديانة المانوية في بلاد فارس.

وبسبب المعاملة الكريمة التي كان يلقاها معتنقو المانوية، غضب كهنة الزرادشتية غضبًا شديدًا، ومن ثم قدموا النصائح إلى الملك لمناهضة المانوية، ولذا اضطر ماني إلى الاختفاء، إلا أنه قبض عليه في فترة حكم الملك بهرام بن هرمز بن سابور. وبعد فشل المفاوضات بينه وبين كهنة الديانة الزرادشتية، تم صلبه وتقطيع جسده إلى نصفين، ثم حشو جسده بقش الأرز وتعليقه على بوابة العاصمة. ونتيجة



كتب المانوية المقدسة بلغة السوقديانا المكتشفة في توربان

لذلك هرب معتنقو المانوية وانتشروا في ربوع العالم، مما أدى إلى انتشار المانوية في جميع أنحاء العالم.

عقائد المانوية

تعتقد الديانة المانوية أن للعالم أصلين: النور (الخير) والظـلمة (الشر)، وثلاثة أزمنة: الماضي والحال والمستقبل، وهذان (الأصلان والثلاثة أزمنة) هما جوهر الديانة المانوية. كما تعتقد المانوية أن النور والظلمة، والخير والشر كانا منفصلين في الماضي، وكان لكل منهما مملكته الخاصة. وفي الزمن الحاضر تعدى الظلام على مملكة النور، ومن ثم بدأت المعركة بين النور والظلام والخير والشر. وفي النهاية سينتصر النور على الظلام في اليوم الآخر، وذلك بفضل الديانة المانوية، وبعد ذلك يعود الأمر كما كان في الماضي حيث ينفصل النور والظلمة والخير والشر كلاهما عن الآخر. ومن أهم الكتب المقدسة في الديانة المانوية: أنغليون (انجيل)، و"كنز الحياة" و"الآمال الكبرى" و"شابورغان"... إلخ.

الآداب الدينية للمانوية وأنظمة معابدها

يمكن تلخيص الآداب والقواعد الدينية للمانوية في "ثلاثة موانع" و"عشرة محرمات". وتشير الموانع الثلاثة إلى امتناع الفم وامتناع اليد والقلب. فأما امتناع الفم فيقصد به القواعد والآداب التي حددتها الديانة فيما يخص الكلام والطعام والشراب، أي الامتناع عن الخمور واللحوم والكذب. وأما امتناع اليد فيقصد به الاحتراز عن العمل القبيح. وأما امتناع القلب فيُطلق عليه أيضًا امتناع الفرج ويقصد به السيطرة على الشهوة. ومن أهم ما حذرت منه الموانع الثلاثة: عدم قتل النفس والبعد عن الزنا.

أما المحرمات العشرة فهي كالتالي: عبادة الأصنام، وقول الزور، والانجراف وراء الشهوات، وقتل النفس، والزنا، والسرقة، والغش، وعدم الأمانة، وممارسة السحر، وعدم تشتت الفكر، والشك، والكسل. كما يجب على معتنقي المانوية البلدية على الصلاة، وأدائها أربع أو سبع مرات يوميًا، إلى جانب الصوم والتوبة من الذنوب. وقد اتفق الرهبان جميعًا على هذه المحرمات العشرة التي يجب على معتنقي المانوية اجتنابها. والجدير بالذكر أنه ليس للرهبان حق الزواج أو أكل اللحوم أو اكتناز الأموال، بل يعتمدون فقط على الصدقات التي يقدمها لهم أتباع المانوية، ويتناولون وجبة واحدة في اليوم، ويرتدون لباسًا واحدًا في العام.

وقد شُيدت الكثير من المعابد الخاصة بهذه الديانة، بالإضافة إلى وجود منظمات دعوية، ويوجد داخل المعابد العديد من المناصب، مثل: رئيس المعبد، والمسئول الديني، والوعاظ الدينيين، والجوقة[1]،

[1] جماعة من النّاس أو الفنّانين يؤدُّون عملاً مشتركًا من غناء، أو عزف آلاتٍ موسيقيّة، أو دورٍ تمثيلي.

والرهبان الذين يقومون بكتابة الكتب المقدسة، بالإضافة إلى الكهنة والكاهنات المكلفين بالعديد من المهام المختلفة. وينقسم معتنقو هذه الديانة إلى متدينين وغير متدينين أو علمانيين ورهبان. أما الجماعة التي من مهامها الوعظ الديني فتنقسم إلى خمس طبقات:

(1) المعلم (مدرس المانوية).

(2) مراقب التدريس.

(3) الزعيم (رئيس الجماعة).

(4) الرهبان (الصالحون).

(5) المستمعون (جميع المستمعين المتدينين).

انتشار المانوية في المناطق الغربية

يقال إن الديانة المانوية انتشرت في منطقة سوقديانا بآسيا الوسطى، وكان ماني لا يزال على قيد الحياة. وبعد ذلك، اتجه الكثير من معتنقي المانوية الهاربين إلى المناطق الشرقية إلى منطقة سوقديانا، وأصبحت منطقة سوقديانا الموطن الثاني للديانة المانوية، ومن ثم لعب هذا الأمر دورًا هامًا في مواصلة انتشار المانوية في الشرق. ويشتهر السوقديانيون بالبراعة في التجارة، ولهذا نشر السوقديانيون المعتنقون للمانوية تلك الديانة في كل مكان ذهبوا إليه. وتعتبر شينجيانغ موقعًا استراتيجيًا يمر منه التجار السوقديانيون لمزاولة مهنة التجارة، كما أنها واحدة من المناطق الرئيسة للأنشطة التجارية. ووفقًا للسجلات التاريخية، فإن السوقديانيين كانوا يعيشون في ألتاي وتاتشنغ وتوربان ولوب نور وغيرها من المناطق التي تقع في شينجيانغ وذلك في بداية عهد أسرة تانغ، ولذا فقد تشكلت تجمعات سكنية خاصة بالسوقديانيين، الأمر الذي أدى إلى انتشار الديانة المانوية بشكل طبيعي في شينجيانغ. ومما سبق يمكننا استنتاج أن تاريخ انتشار المانوية في هذه المناطق كان مع نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع. ونظرًا لأن أنشطة الديانة المانوية في ذلك الوقت اقتصرت على الأماكن التي يقطنها السوقديانيون، لذا لم يحدث صراع بينها وبين الأديان الأخرى، ومن ثم لم يكن لها تأثير فعال مقارنة مع البوذية والزرادشتية اللتين كانتا في أوج انتشارهما آنذاك، ولذلك لم تذكر كتب السير الكثير عن هذه الديانة وذلك لعدم إقبال الناس عليها في تلك الفترة.

وبالرغم من أن الديانة المانوية لم تنتشر على نطاق واسع في منطقة شينجيانغ، إلا أنها ازدهرت بشدة في خاقانية الويغور. ومما يدل على ذلك أنه في السنة الثانية من فترة تانغ باو يينغ (عام 763م)، أعلن الخاقان مويو أحد خاقانات الويغور المانوية ديانة رسمية لخاقانية الويغور. ووفقًا للسجلات

التاريخية، فإن جيوش الخاقان مويو حينما عسكرت في لويانغ، التقى الخاقان بأربعة رهبان يعتنقون الديانة المانوية، وبعد تبادل الحديث معهم حول المانوية، أعجب بشدة بحديثهم. وفي السنة التالية، عاد إلى بلاده مصطحبًا معه الرهبان الأربعة، وبعد أن وصلوا إلى موبي، قاموا على الفور بنشر الديانة المانوية في جميع أنحاء الخاقانية، وسرعان ما أصبحت المانوية دينًا رائدًا في البلاد بفضل دعم السلطة المهيمنة على البلاد آنذاك، وفوق ذلك أُعلنت المانوية دينًا رسميا للبلاد. وبعد أن أصبحت المانوية الديانة الرسمية للبلاد، تمتع رهبان المانوية بمكانة اجتماعية وسياسية مرموقة، وكان الحاكم يتشاور معهم بشأن شئون الدولة. كما كان لرهبان المانوية دور هام في الاتصال بين إمبراطورية الويغور وأسرة تانغ. وقد رافق رهبان المانوية المبعوث الذي أرسلته إمبراطورية الويغور إلى أسرة تانغ.

وبعد سقوط الخاقانية الويغورية بموبي في منتصف القرن التاسع، دخلت مجموعة من الأيغور إلى منطقة توربان، وأسست هناك سلطة سياسية أويغورية بقاوتشانغ. وفي البداية اتخذت السلطة الويغورية التي تشكلت في قاوتشانغ الديانة المانوية دينًا للبلاد، حيث إن خاقان الويغور كان يقوم يوميًا بحشد ثلاثمائة أو أربعمائة من معتنقي المانوية، وذلك للجهر بقراءة مؤلفات ماني (مؤسس الديانة المانوية). والجدير بالذكر أن اتخاذ السلطة السياسية الويغورية بقاوتشانغ الديانة المانوية دينًا رسميا للبلاد زاد من انتشار المانوية في شينجيانغ، خصوصًا في منطقة توربان. وأصبحت قاوتشانغ آنذاك المقر الديني الشرقي للديانة المانوية، وتم إنشاء وتشييد معابد للديانة المانوية في قاوتشانغ وجياوخه وسولمي، بالإضافة إلى وجود منظمات دينية مانوية. ويوجد في داخل تلك المعابد العديد من المناصب، مثل: رئيس المعبد، والمسؤول الديني، والوعاظ الدينيين، والجَوقة، والرهبان الذين يقومون بكتابة الكتب المقدسة، بالإضافة إلى الكهنة والكاهنات المكلفين بالعديد من المهام المختلفة. علاوة على ذلك، فقد بدأ معتنقو الديانة المانوية بقاوتشانغ بنقش الرسوم الجدارية التي تروج للديانة المانوية، مثل النقوش المرسومة على الكهف الثامن والثلاثين الموجود داخل مجموعة كهوف بايتسكيليك، حيث لوحظ وجود صور لأشجار الحياة والموت على جدران الواجهة الرئيسة، ويتقاطع جذعا الشجرتين على شكل صليب، بالإضافة إلى انقسامهما إلى ثلاثة أجزاء من أسفل إلى أعلى، وهذه هي الصورة المانوية النموذجية. وبالنظر إلى شجرتي الحياة والموت الموجودة بتلك الصورة لوحظ أنهما ترمزان إلى مملكتي النور والظلام، وكما هو معروف فإن الديانة المانوية تعتقد أن العالم مركب من أصلين قديمين أحدهما النور والآخر الظلمة (مبدأ الديانة المانوية). أما بالنسبة إلى تقاطع جذعي الشجرتين على شكل صليب فيرمز إلى عدوان مملكة الظلام على مملكة النور وتحاربهما لفترة طويلة، أما الثلاثة أجزاء فيرمزون إلى نظرية الأزمنة الثلاثة في الديانة المانوية. ومما سبق يتضح أن الغرض الرئيسي من هذا الرسم الجداري هو توضيح مبادئ الديانة المانوية، ومن أهمها أن للعالم أصلين:

النور والظـلمة، وثلاثة أزمنة: الماضي والحال والمستقبل.

علاوة على ذلك، فقد تم اكتشاف العديد من أطلال المعابد المانوية وكثير من التحف التاريخية في مدينة توربان، ومن بينها: تمثال لماني مؤسس الديانة المانوية مصنوع من النحاس الأصفر. ويعتبر هذا التمثال تحفة تاريخية ثمينة، حيث يبلغ ارتفاعه 8سم، وهو أجوف، على هيئة الجلوس، يرتدي فوق رأسه تاجًا ثمينًا، كما يرتدي جبة الراهب. وكانت يداه مقطوعتين، إلا أنه من الممكن رؤية كلتا يديه، حيث تم وضعهما على رجليه ومن ثم تداخلا بعد ذلك، كما أن وجهه يبدو نحيلاً، ويجلس على مقعد من اللوتس. ومن الواضح أنه تم صناعة هذا التمثال بحرفية عالية، حيث يبدو وكأنه ينبض بالحياة. ويعتبر هذا التمثال هو الوحيد الذي تم اكتشافه لماني مؤسس الديانة المانوية، لذا يعتبر هذا التمثال تحفة تاريخية ثمينة.

وبعد اعتناق الويغور للديانة البوذية، بدأت المانوية في شينجيانغ تواجه الاضمحلال تدريجيًا حتى اندثرت تمامًا.

النسطورية — أقدم المذاهب الدينية المسيحية التي دخلت الصين

تعتبر "جينغ جياو" معتقدًا دينيًا مسيحيًا، حيث أطلق عليها اسم "النسطورية". كما تعتبر لفظة "جينغ جياو" إحدى الأسماء التي أطلقها الصينيون على هذه الديانة. وتعني "جينغ" في اللغة الصينية "النور المشع"، ويأتي أصل هذه التسمية من "النصب الحجري الذي يصف حال انتشار النسطورية في عهد أسرة تانغ"، ولهذا سميت هذه العقيدة باسم نسطور مؤسس هذه الديانة.

نشأة النسطورية

ولد القديس نسطور عام 380م بمدينة مرعش في سوريا وتربى في أنطاكية، حيث ترهب هناك بدير أيروبيوس. وقد تتلمذ على يد الفيلسوف العظيم ثيودوروس الموبسيوستي، ثم اختير بعدما تم تعليمه ليكون أسقفًا في كاتدرائية أنطاكية. وفي عام 428، اختاره الإمبراطور ثيوذوسيوس الثاني ليكون بطريركًا للقسطنطينية. وفي ذلك الحين، كانت هناك آراء مختلفة حول المكانة في الأقانيم الثلاثة الإلهية: الأب والابن والروح القدس، حيث يوجد خلاف حول الألوهية والإنسانية والعلاقة بينهما بالنسبة للمسيح، كما يوجد خلاف حاد أيضًا فيما يتعلق بالعلاقة بين الأب والابن، وكذلك الأم (مريم العذراء) وغير ذلك. ونتيجة لذلك تشكَّل مذهبان متناقضان، حيث يعتقد المذهب الأول منهما أن الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية متحدتان في شخص المسيح، فهو يتمتع بالألوهية الكاملة والإنسانية الكاملة في آن

واحد، ويطلق على هذا المذهب اسم "الأحادية". ويمثل هذا المذهب مدرسة الإسكندرية، حيث ينتمي هذا المذهب إلى العقيدة المسيحية الأرثوذكسية. أما المذهب الثاني فيخالف المذهب الأول تمامًا، حيث يعتقد أتباع هذا المذهب أن يسوع المسيح مكون من جوهرين: جوهر إلهي، وجوهر إنساني أو بشري، لكن لا يوجد اتحاد بين الطبيعتين البشرية والإلهية في شخص يسوع المسيح، ومن ثم لا يجوز إطلاق اسم والدة الإله على مريم العذراء، بل يطلق عليها فقط والدة يسوع المسيح، وهذا المذهب هو مذهب أنطاكية الذي يمثله نسطور.

والجدير بالذكر أنه نشب على إثر هذا المذهب خلاف عقائدي بينه وبين مذهب الإسكندرية، ومن ثم واجه أصحاب هذا المذهب هجومًا ضاريًا من قبل أصحاب مذهب الإسكندرية، وأصر كلا الجانبين على التمسك برأيه، ونتيجة لذلك تم عقد اجتماع في أفسوس عام 431م، وذلك لإصدار الحكم في كلا المذهبين وتوضيح ما هو حق وما هو باطل منهما. وفي النهاية انتصر مذهب الإسكندرية على المذهب الذي يمثله نسطور، وذلك بسبب انحياز الإمبراطور الروماني لمذهب الإسكندرية، وفي نفس الوقت كان نسطور غائبًا عن هذ الاجتماع. وبعد ذلك، تم اصدار حكم بأن المذهب الذي يعتقد بأن المسيح مكون من جوهرين، جوهر إلهي وجوهر بشرى، هو المذهب الباطل، كما تقرر نفي نسطور وقطع الصلة بينه وبين الآخرين. وفي عام 435م، أصدر الإمبراطور الروماني أوامره بإحراق مؤلفاته، وتجريده من منصبه، ونفيه إلى مكان بعيد (يقال إنه نُفي إلى الواحات الصحراوية، ويقال تم نفيه إلى صعيد مصر). أما معتنقو النسطورية فقد فروا هاربين إلى الشرق، وذلك بسبب ما تعرضوا له من قمع واضطهاد، ونتيجة لذلك انتشرت النسطورية انتشارًا واسعًا في سوريا وبلاد الرافدين (العراق) وغيرها من المناطق، وبعد ذلك فر الكثير من معتنقي النسطورية من سوريا إلى بلاد فارس، حيث وجدوا هناك دعمًا كاملاً من قبل ملك السلالة الساسانية الذي عاملهم معاملة حسنة. وفي عام 498م، اجتمع معتنقو النسطورية في قطيسفون عاصمة الإمبراطورية الساسانية، وأعلنوا استقلالهم، وقطع جميع العلاقات مع الكنيسة الرومانية، كما أسسوا "الكنيسة الكلدانية"، ومن ثم لقي هذا المذهب رواجًا كبيرًا في بلاد فارس. وفي القرن السادس، انتشرت النسطورية في منطقة آسيا الوسطى، ومن ثم اعتنق بعض السوقديانيين والأتراك والشيونغنويين المذهب النسطوري. وعند تولى ساليباساشا منصب رئيس الأساقفة تم إنشاء أبرشية في سمرقند، مما زاد من انتشار النسطورية في منطقة شينجيانغ والمناطق الداخلية.

العقائد النسطورية

تتوافق العقائد والتعاليم النسطورية تمامًا مع عقائد الديانة المسيحية، من حيث القوانين

الكنسية والمعتقدات الدينية بالإضافة إلى الشعائر الدينية، إلا أنها تختلف عن الديانة المسيحية فيما يتعلق بالثنائية النسطورية، وهذا بالطبع يتناقض تمامًا مع مذهب "الأحادية". علاوة على ذلك، فإن الكتب المقدسة التي يقدسها النسطوريون هي نفسها الكتب المقدسة لدى الديانة المسيحية، ويعتبر "العهد الجديد" الذي يحتوي على سبعة وعشرين سفرًا هو الكتاب الجوهري عندهم. وتتمثل أهم نقاط الخلاف بين النسطورية وبين الكاثوليكية الرومانية والأرثوذكسية اليونانية فيما يلي:

(1) بما أن النسطورية لا تعترف بأن مريم هي والدة الإله، فلذلك لا تجوز عندهم الصلاة للسيدة العذراء أو عبادتها. وهذا هو سبب هجوم الكاثوليكية والأرثوذكسية اليونانية على النسطورية وقولهم ببطلان هذا المذهب.

(2) لا يقدسون الأصنام، لكنهم يحتفظون بالصليب.

(3) لا تقبل النسطورية عقيدة الطهر من الذنوب بعد الموت، ولكن يسمح لمعتنقي النسطورية تقديس وتقديم القرابين لأجدادهم الأوائل.

(4) مناهضة عقيدة الاستحالة، إلا أنهم يعترفون بحضور اليسوع عند القربان المقدس.

(5) نظام المراقبة في النسطورية ينقسم إلى ثمان درجات، وهي على الترتيب: البطريرك، ورئيس الأساقفة، والأسقف، والكاهن، ونائب الكاهن، ومعاون الكاهن، ومساعد مقدم القربان، وقارئ الكتاب المقدس. وأما من يحل لهم الزواج فهم الكهنة ونوابهم ومعاونوهم ومساعدو مقدمي القرابين وقارئو الكتاب المقدس، أما الباقون فلا يحل لهم الزواج. والجدير بالذكر أن الظروف تختلف باختلاف المناطق، فمثلاً جميع رؤساء الأساقفة في الصين لديهم زوجات، حيث نلاحظ أن عاداتهم قد تأثرت بالزرادشتية الفارسية إلى حد ما، مما جعلهم لا يدعون إلى العزوبية، ويسمحون للكهنة عندهم بالزواج وإنجاب الأولاد.

(6) تفرض النسطورية على معتنقيها "إطلاق اللحى وحلق شعر الرأس"، ولا تسمح لهم باتخاذ الخدم أو كنز الأموال، وإنما تطالبهم بالتصدق بها على الفقراء.

(7) تفرض النسطورية أيضًا على معتنقيها الصوم؛ والصوم عندهم كثير جدًا وله قواعد صارمة للغاية، ومن الصوم الواجب عليهم: "صوم الأربعين يومًا"؛ وهو صوم أربعين يومًا قبل عيد الفصح، وصوم القديسين؛ وهو عيد انتقال العذراء، ويكون الاحتفال بهذا العيد في منتصف شهر أغسطس، و"صيام إليا"، و"صوم عيد البشارة"؛ وهذا العيد يكون في الخامس والعشرين من مارس، حيث كانت البشارة على لسان جبريل للسيدة مريم بولادة اليسوع، ولذا فإنهم يصومون احتفالاً بهذا اليوم المجيد، و"صوم نينوي" و"صوم العذراء مريم"... إلخ.

(8) أداء سبع صلوات في اليوم والليلة، أي تزيد أربع مرات عن الصلوات المسيحية التقليدية.

(9) لا يأكلون إلا ما نبت من الأرض، ولا يجوز للبطريرك أن يتناول اللحوم.

(10) يتم انتخاب البطريرك من قبل الكنيسة.

ازدهار النسطورية في السهول الوسطى

بعد انتشار النسطورية في الصين، أطلق عليها الصينيون اسم "جينغ جياو". ووفقًا لـ "المسلة النسطورية"، التي أرخت تاريخ دخول المسيحية للصين والتي تم اكتشافها في بلدية تشوتشي بمقاطعة شنشي، فإن ألبين أسقف الإمبراطورية الرومانية الشرقية قد وصل إلى تشانغآن في السنة التاسعة من فترة جنقوان في عهد أسرة تانغ (عام 635م). وقد أحسن الإمبراطور تاي تسونغ ضيافته، ودعاه إلى ترجمة الكتب المقدسة الموجودة في المكتبة الإمبراطورية، كما كان يتكرم دائمًا بالسؤال عنه. وفي السنة الثانية عشرة من فترة جنقوان، أصدر الإمبراطور تاي تسونغ أوامره بالسماح له بنشر ديانته، وهذا يدل على أنه كان يلقى الدعم الكامل من قبل البلاط الإمبراطوري، ونتيجة لهذا الدعم تم بناء "المعبد الفارسي" في ساحة ينينغ بمدينة تشانغ آن، وقد سمي هذا المعبد لاحقًا باسم "معبد دا تشين". وبعد موت الإمبراطور تاي تسونغ، سار الإمبراطور قاو تسونغ على نهج الإمبراطور تاي تسونغ، حيث سمح بانتشار النسطورية، بالإضافة إلى إقامة معابدها في كل أنحاء الصين، مما أدى إلى انتشار النسطورية في الصين، حتى وصلت إلى أوج ازدهارها إبان هذه الفترة. وقد حظي ألبين باحترام شديد من قبل الإمبراطور قاو تسونغ بصفته بطريرك للمذهب النسطوري في الصين. وبعد تولي الإمبراطور ووتسي تيان عرش البلاد، دعا إلى انتشار البوذية، ومن ثم أفل نجم النسطورية نتيجة لتعرض اتباعها إلى القمع والاضطهاد من قبل البلاط الإمبراطوري آنذاك. وفي فترة الإمبراطور شوان تسونغ استعادت النسطورية ازدهارها مرة أخرى، حيث سار هذا الإمبراطور على نهج الإمبراطور تاي تسونغ، وأمر إخوته بإقامة المذابح الإلهية في المعابد النسطورية، كما أعاد تشييد المباني النسطورية التي لحقتها الأضرار إبان فترة حكم الإمبراطور ووتسي تيان. ولرد جميل هؤلاء الأباطرة الذي ساعدوا على انتشار النسطورية في جميع أرجاء الصين، لذا فقد تم وضع خمس صور لخمسة أباطرة صينيين داخل المعابد النسطورية، من بينهم: الإمبراطور قاوتسو، والإمبراطور قاو تسونغ، والإمبراطور تاي تسونغ، والإمبراطور روي تسونغ... الخ، كما تم تزينها بمائة قطعة من الحرير. والجدير بالذكر أن الإمبراطور شوان تسونغ قام بدعوة أتباع النسطورية لإقامة الفعاليات الدينية في قصر شينغ تشينغ، وبعد ذلك حظيت النسطورية بالدعم الكامل من قبل بعض الأباطرة الذين جلسوا على كرسي العرش بعد ذلك، ومن بينهم: الإمبراطور سو تسونغ، والإمبراطور داي تسونغ، بالإضافة إلى الدعم المقدم من قبل الوزراء والقادة. وقد أدى كل هذا إلى ازدهار النسطورية

وانتشارها في أنحاء الصين.

انتشار النسطورية في المناطق الغربية

انتشرت النسطورية في شينجيانغ تقريبًا في النصف الثاني من القرن السادس وحتى بداية القرن السابع من الميلاد، إلا أنه لم يُذكر إلا القليل عن بدايات انتشار النسطورية في شينجيانغ. وفي العصر الحديث، توافرت بعض المعلومات عن انتشار النسطورية في شينجيانغ خلال فترتها الأولى، وذلك بعد اكتشافهم بعض البيانات الأثرية التي تتعلق ببدايات انتشارها في هذه المنطقة. ومن بين الآثار التي تم اكتشافها للديانة النسطورية تلك الرسومات الجدارية التي تم اكتشافها في أطلال قاوتشانغ من قبل الألماني لوكوك، إلى جانب اكتشاف بقايا من الكتب النسطورية باللغة السوقديانية والسورية بالقرب من منطقة توربان. ومن بين الآثار التاريخية النسطورية التي تم اكتشافها أيضًا بعض الوثائق والكتب النسطورية باللغة السورية واللغة الفارسية في العصور الوسطى واللغة الويغورية. وطبقًا للأبحاث الوثائقية، فإن هذه الوثائق وبقايا الكتب النسطورية يرجع تاريخها إلى عهد أسرتي تانغ وسونغ. ويتضح من خلال هذه الوثائق أن النسطورية قد انتشرت بشدة في منطقة توربان في عهد أسرتي تانغ وسونغ، كما دلت تلك الوثائق على أن اعتناق النسطورية لم يقتصر على الأجانب كالسوريين والفرس والسوقديانيين، بل اعتنقها الويغوريون الذين هم السكان الأصليون لهذه المناطق. ويعتقد بعض العلماء أن الديانة المانوية قد انتشرت بشدة بين أبناء الويغور في عهد أسرة تانغ، حتى أصبحت الديانة الرسمية للبلاد، وبعد ذلك أفل نجمها تدريجيًا، وحل محلها المذهب النسطوري". ويوضح هذا الرأي بالتأكيد مكانة النسطورية لدى خاقانية الويغور بقاوتشانغ، كما يعكس حقيقة انتشار النسطورية في قلوب الويغوريين. ومما يدل على ذلك هو أن معظم الآثار التاريخية النسطورية التي تم اكتشافها في منطقة توربان كان معظمها مكتوبًا باللغة الويغورية، مثل: "الإنجيل"، و"الاستشهاد" و"عبادة الكهنة"، (كما تم ترجمة أيضًا قصة الرهبان الفارسيين الثلاثة الذين توجهوا إلى بيت لحم بفلسطين لزيارة الأماكن الدينية هناك)، و"الترانيم النسطورية". والجدير بالذكر أن الويغوريين عادة ما يرددون هذه الترانيم عند إقامة حفل الزواج. ومما سبق يتضح أن النسطورية قد أثرت على حياة الويغور الاجتماعية.

وبالنظر إلى الأطلال النسطورية والآثار التاريخية التي تم اكتشافها في منطقة توربان، يتبين لنا أن منطقة توربان قد أصبحت مركزًا للنسطورية بشينجيانغ في عهد أسرتي تانغ وسونغ. وهذا بالتأكيد لا يعني عدم وجود أنشطة لمعتنقي النسطورية في المناطق الأخرى. ووفقًا لسجل "رحلة تشيدان" للكاتب هنري يول، فقد عاش بعض معتنقي النسطورية والأديان الأخرى في منطقة بايتشنغ بالقرب من كوتشا.

وفي القرن العاشر، وطأ الرحالة العربي "مسار" مدينة باشي (بلدية سيلا بشينجيانغ حاليًا)، وقد جذب انتباهه هناك وجود الأديان المتعددة في تلك المنطقة، فرأى هناك المسلمين واليهود ومعتنقي النسطورية وأتباع الزرادشتية، بالإضافة إلى معتنقي الديانة البوذية. وبالرغم من أن النسطورية قد انتشرت انتشارًا واسعًا في شينجيانغ قبل دخول الإسلام، وخصوصًا في بعض المناطق، مثل منطقة توربان، إلا أن ازدهارها وأوج انتشارها كان بعد دخول الإسلام.

وبالإضافة إلى منطقة توربان، فإن كاشغر تعد أيضًا مركزًا للنسطورية. فمنذ نهاية القرن الثاني عشر وحتى بداية القرن الرابع عشر، كانت كاشغر الأبرشية النسطورية التاسعة عشر، وقد تم تعيين أسقف لها من قبل رئيس الأساقفة. ووفقًا للسجلات التاريخية، فقد تولى في عام 1180م منصب أسقف أبرشية كاشغر رجل يدعى جون، حيث تم تعيينه من قبل رئيس الأساقفة إيليا تشا الثالث. وكانت كاشغر آنذاك منطقة إسلامية، إلا أن النسطورية قد انتشرت في هذه المنطقة بفضل حرية ممارسة الأديان وحماية المعتقدات الدينية من قبل السلطة الحاكمة بأسرة لياو الغربية والحكومة المنغولية. ولذلك انتشرت النسطورية في منطقة تيان شان منذ عهد أسرة لياو الغربية حتى عهد أسرة يوان. ووفقًا لما ذكره الرحالة الصينيون والأجانب، فإن النسطورية انتشرت أيضًا في كاشي وخهتيان ركند وكوتشا وتوربان وهامي وغيرها من المناطق. وقد لاحظ ماركو بولو أن معتنقي النسطورية والمسلمين ومعتنقي البوذية يعيشون سويًا في منطقة واحدة رغم اختلاف ديانتهم، وفي نفس الوقت يؤدون صلواتهم في أماكن العبادة الخاصة بهم. ومما سبق يتضح أن النسطورية قد انتشرت في كاشغر انتشارًا واسعًا.

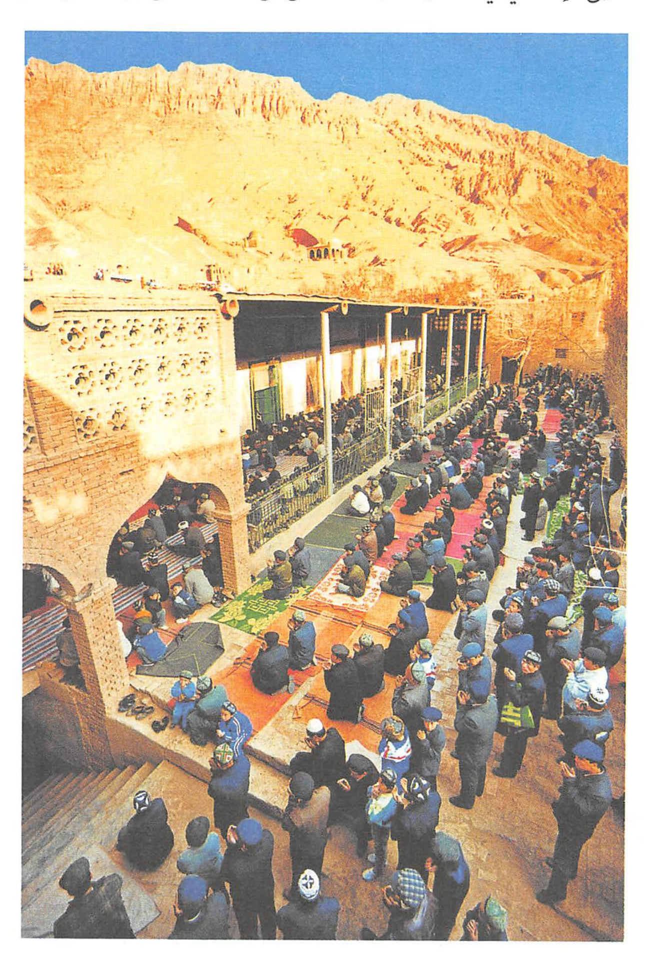
الإسلام — أحد الأديان السماوية الثلاثة التي انتشرت في شينجيانغ

يعتبر الإسلام أحد الأديان الثلاثة الكبرى في العالم، وفي نفس الوقت يعتبر دينًا وليدًا بالمقارنة مع البوذية والمسيحية. وقد أطلق على الإسلام قديمًا في الصين "دين داشي" و"الدين السماوي" و"دين هوي"، و"دين تشينغ جينغ"... إلخ. وقد ظهر الإسلام في شبه الجزيرة العربية في بداية القرن السابع الميلادي على يد محمد الذي يرجع نسبه إلى قبيلة قريش بمكة المكرمة.

نشأة الإسلام

ولد النبي محمد في أسرة أرستقراطية، وهو من عائلة بني هاشم في قبيلة قريش بمكة المكرمة، وكان يتيم الأبوين منذ نعومة أظافره. وعندما بلغ الثانية عشرة من عمره سافر مع عمه إلى سوريا والسواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط للتجارة، واتصل اتصالاً مباشرًا بالمجتمع العربي. وبعد ذلك تزوج من

أرملة ثرية في مكة، وتدعى خديجة، وكان عمره آنذاك خمسة وعشرين عامًا. وكان ابن عمها ورقة بن نوفل أحد علماء المسيحية المشتغلين بنشر هذه العقيدة. وكان كثيرًا ما يخلو محمد بنفسه للتأمل والتفكر في كيفية النهوض بالأمة العربية والتخلص من حياة الجاهلية المظلمة التي تحياها. ولما بلغ محمد سن الأربعين، اعتاد أن يخرج إلى غار حراء الذي يقع خارج مكة ليتعبد ويتأمّل. وفي يوم من الأيام، نزل وحي الله عليه وهو في غار حراء، وأخبره بأنه رسول الله ونبيه، ومنذ ذلك الحين بدأ رسول الله في نشر الدين الإسلامي. وكان أول من آمن به هم أقربائه وأصدقائه المقربين منه. وفي عام 621 م، بدأ محمد يجهر بدعوته في نشر الدين الإسلامي في مكة بعد أن كانت سرًا، وقد دعا الناس إلى الاعتراف بأن الله هو خالق المخلوقات وهو الوحيد المهيمن المسيطر على الكون، وأنه لا شريك له، كما دعاهم إلى الإيمان بالله ونبذ عبادة تعدد الآلهة والأصنام، ونهاهم عن المنكر وأمرهم بالمعروف، كما أخبرهم بوجود حساب يوم القيامة والجنة والنار. كما أخبرهم بأن المسلمين كلهم إخوة، لا فرق بينهم مهما كان نسبهم إلا بالتقوى والعمل الصالح، ولا بد أن يساعد بعضهم بعضًا، كما لا بد لهم أن يتخلصوا من النزعة القبلية. علاوة على ذلك، فقد نهاهم عن الربا، وأمرهم بالتصدق على الفقراء، وحسن معاملة الأيتام والأرامل والعبيد، وغيرها من الأفكار



احتفال المسلمون بالأعياد الدينية في مسجد تويوقو بمحافظة شانشان مقاطعة توربان بشينجيانغ

الإصلاحية للمجتمع التي شجعت الكثير من الناس على اعتناق الدين الإسلامي. ومع ذلك، فقد أصبح ما يدعو إليه محمد تهديدًا مباشرًا لعبادة تعدد الآلهة، حيث رأت قريش أن هذه الدعوة ستضر بمصالحها الاقتصادية وامتيازاتها الدينية بمكة، ومن ثم تعرض لمقاومة شديدة منهم، حيث مارسوا ضده هو وأتباعه أشد أنواع الانتهاكات والاضطهاد.

وفي سبتمبر عام 622 م، هاجر محمد وأتباعه من مكة إلى المدينة، واستمر في الدعوة إلى الدين الإسلامي بفضل مؤازرة بعض القبائل المحلية، ومن ثم ازدهرت قوة الإسلام ازدهارًا شديدًا. وبدأ بناء القوة العسكرية في تلك الفترة، حيث قام هذا النبي بإصلاح الأنظمة السياسية والاقتصادية والدينية، وخاض حروبًا ضد مشركي مكة. وبعد تحقيق وحدة المدينة المنورة، أسس محمد سلطة الدولة التي تجمع بين الدين والسياسة على أساس العقيدة الإسلامية. وكان محمد الزعيم الديني والسياسي والعسكري. كما كان محمد يقوم بتبليغ كلام الله إلى الناس عن طريق الوحي بصفته رسول الله ونبيه، وهكذا أتم محمد بناء آلية النظام الإسلامي وجميع الأنظمة المختلفة.

أركان الإيمان الخمسة في الإسلام[1]

يطلق اسم "أركان الإيمان الخمسة" على المعتقدات الأساسية في الدين الإسلامي، وأركان الأيمان الخمسة كالتالي:

(1) الإيمان بالله؛ وهو الإيمان بأن الله هو الإله الواحد الأحد، وهو الخالق لكل شيء في الكون، وهو على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، وهو الغفور الرحيم، وهو موجود في كل مكان، واحد لا شريك له.

(2) الإيمان بالملائكة؛ وهو الاعتقاد الجازم بأن الملائكة عبارة عن مجموعة من المخلوقات الرائعة التي خلقها الله من نور، ولا يمكن تمييزها من حيث الجنس ولا رؤيتهم بالعين، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، كما أن عددهم لا يحصى ولا يعد. ومن أبرزهم أربعة ملائكة، إلا أن جبريل يحتل المكانة الأعلى من بين الملائكة.

(3) الإيمان بالكتب السماوية؛ وهو الإيمان بجميع الكتب السماوية الصحيحة التي نزلت من عند الله، بالإضافة إلى القرآن الكريم الذي نزل على محمد.

(4) الإيمان بالرسل؛ وهو الاعتقاد الجازم بأن محمدًا هو آخر الأنبياء والمرسلين، ومن ثم هو أعظم

[1] نلاحظ أن المؤلف لم يضع ركنًا آخر من أركان الإيمان، وهو" القدر خيره وشره "، ويدل على ذلك حديث جبريل وسؤاله للنبي صلى الله عليه وسلم عن أركان الايمان فقال: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره". رواه مسلم -المترجم

أنبياء الله.

(5) الإيمان باليوم الآخر؛ وهو الاعتقاد الجازم بوجود الدنيا والآخرة، وأن الحياة سوف تنتهي وتتوقف في يوم من الأيام، وبعد ذلك تتم محاسبة البشر، ويكون ذلك في اليوم الآخر. وفي هذا اليوم سوف يُبعث الإنسان مرة أخرى من أجل الحساب أمام الله، ومن ثم يكون مستقر الصالحين الجنة، ونهاية الكافرين النار.

أركان الإسلام الخمسة

يطلق اسم "الأركان الخمسة" على الفرائض والواجبات الخمسة الأساسية التي فُرضت على المسلم، وهي:

(1) الشهاد: وهي التي توضح عقيدة المسلم، وتميز بينه وبين الكافر، ومضمونها: أن يقول المسلم باللغة العربية: "أشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله".

(2) الصلاة؛ فيجب على المسلم أن يتوجه إلى الكعبة (قبلة المسلمين) ويؤدي خمس صلوات يوميًا، وهي: الفجر، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، بالإضافة إلى "صلاة الجمعة" التي يجب على المسلم أداؤها مرة كل أسبوع. وبخلاف ذلك يؤدي المسلم صلاة عيد الأضحى وعيد الفطر كل عام. والجدير بالذكر أن كلمة "لي باي" تعني باللغة العربية "الصلاة"، أما في اللغة الفارسية فتعني "نماز".

(3) الص: فيجب على المسلمين صيام شهر رمضان من كل سنة، وهو الشهر التاسع في التقويم الإسلامي. وفي هذا الشهر يمتنع المسلمون يوميًا عن تناول جميع أنواع المشروبات والمأكولات منذ بزوغ الفجر حتى غروب الشمس.

(4) الزكا: فيجب على المسلم إخراج الزكاة إذا بلغ ماله النصاب، وهي في الأصل صدقة حددها الدين الإسلامي، ثم أصبحت بعد ذلك فريضة دينية يتم تحديد قيمتها حسب الشروط التي وضعها الإسلام.

(5) الحج؛ فيجب على كل مسلم يتمتع بالقدرة البدنية والمالية زيارة الكعبة وتأدية فريضة الحج مرة واحدة في العمر.

وحتى يتسنى للمسلم إقامة الصلاة والصوم وغيرها من العبادات سالفة الذكر، فإنه يجب عليه الالتزام بطهارة ونظافة الجسد وفق ما شرعه الإسلام. وتشتمل الطهارة على الغسل والوضوء، إلا أنه في حالة عدم وجود المياه، فإنه من الممكن استخدام وسيلة أخرى للطهارة، مثل التراب الطاهر، وذلك ليحل محل المياه، ويطلق على هذه الطريقة اسم "التيمم". وتعتبر الطهارة شرطًا أساسيًا لأداء الصلاة،

والتزام المسلم بتلك الشروط والتعاليم يعبر عن خشوعه وتقواه.

المحرمات العشرة التي نص عليها الدين الإسلامي

حددت الديانة الإسلامية عشر وصايا أو محرمات يجب على كل مسلم اجتنابها، وهي:

1-الإشراك بالله، وعبادة الأصنام.

2-عقوق الوالدين.

3-قتل الأولاد خشية الفقر.

4-إتيان الفواحش.

5-قتل النفس التي حرَّمها الله إلا بالحق.

6-أكل أموال اليتامى ظلمًا.

7-إنقاص المكيال والميزان.

8-قول الزور.

9-عدم الوفاء بالعهد.

10-عدم اتباع الطريق المستقيم.

كما أمرت الشريعة الإسلامية المسلم باجتناب الزنا، والسرقة، وأمرته بالإحسان إلى اليتامى والفقراء، وعمل الصالحات، والتصدق على المحتاجين وغيرها من الوصايا.

الأعياد الكبرى في الدين الإسلامي

(1) عيد الأضحى؛ يتم الاحتفال بهذا العيد في العاشر من شهر ذي الحجة، كما يحتفل به الحجاج في آخر يوم من أيام الحج. ويروى أن النبي إبراهيم رأى في منامه أن الله يأمره بذبح ولده إسماعيل، وذلك لكي يختبر إخلاصه وامتثاله لأوامره، وبالفعل امتثل إبراهيم لأمر ربه، وعندما هم بذبح ابنه فداه الله بكبش عظيم. ولذلك قام قدماء العرب في هذا اليوم من كل عام بالتضحية بأحد الأنعام، ثم جاء الإسلام فأقر هذه العادة، وأمر أتباعه بالاحتفال بهذا اليوم من كل عام، ولهذا أطلق عليه اسم "عيد الأضحى".

(2) عيد الفطر؛ يحتفل المسلمون بهذا العيد في أول يوم من أيام شهر شوال، وذلك بعد رؤيتهم لهلال شهر شوال في آخر يوم من أيام شهر رمضان.

وبخلاف هذين العيدين، فإن هناك بعض الأعياد والمناسبات الدينية الأخرى، من بينها: يوم عاشوراء وغيره. ونظرًا لانتشار الدين الإسلامي في العديد من المناطق والقوميات، فإن لكل منطقة



في عيد الفطر، تمتلئ شوارع أورومتشي بالمظاهر الاحتفالية المتعددة، مثل بيع اللحوم المشوية والنانغ وشي الخروف الكامل الخ. وينتشر عبق المأكولات من مختلف القوميات انتشاراً واسعاً.

أعيادها وتقاليدها الخاصة بها.

أهم المذاهب الإسلامية

هناك مذهبان رئيسان في الدين الإسلامي، هما المذهب السني والمذهب الشيعي. فبعد وفاة النبي محمد، بدأت تنشب الخلافات بين المسلمين حول مكانة الخلفاء، ومن ثم ظهر مذهبان متناقضان، أولهما: مذهب أهل السنة: ويطلق على هذا المذهب اسم "مذهب المحافظين"، وتعني هذه الكلمة في اللغة الصينية "المذهب السني"، ويعتقد أتباع هذا المذهب بصحة خلافة الخلفاء الأربعة الأوائل، ويعتبر هذا المذهب أهم المذاهب الإسلامية وأصحها، حيث ينتشر انتشارًا واسعًا في ربوع العالم الإسلامي، وينتمي إليه الغالبية العظمى من المسلمين. ومن خصائص هذا المذهب أنه يعتمد على القرآن وسنة النبي محمد الصحيحة التي تتمثل في كتب الحديث الستة كمصدرين من مصادر التشريع الإسلامي السني. أما فيما يتعلق بالأمور العقائدية (الإلهية) فهناك مذهبان: المذهب الأول يعتمد فقط على النصوص القرآنية في استقاء العقيدة. أما المذهب الآخر فيعتمد على النصوص القرآنية، إلى جانب آراء العلماء. ونتيجة للاختلافات الكثيرة حول بعض القواعد الفقهية ظهرت العديد من المذاهب الفقهية، ومن أشهرها المذاهب الفقهية الأربعة، وهي: المذهب الحنفي، والمذهب المالكي، والمذهب الشافعي، والمذهب الحنبلي. والجدير بالذكر أن معظم المسلمين الصينيين ينتمون إلى المذهب السني، أما فيما يتعلق بالأمور الفقهية

فيعتمدون بشكل أساسي على المذهب الحنفي.

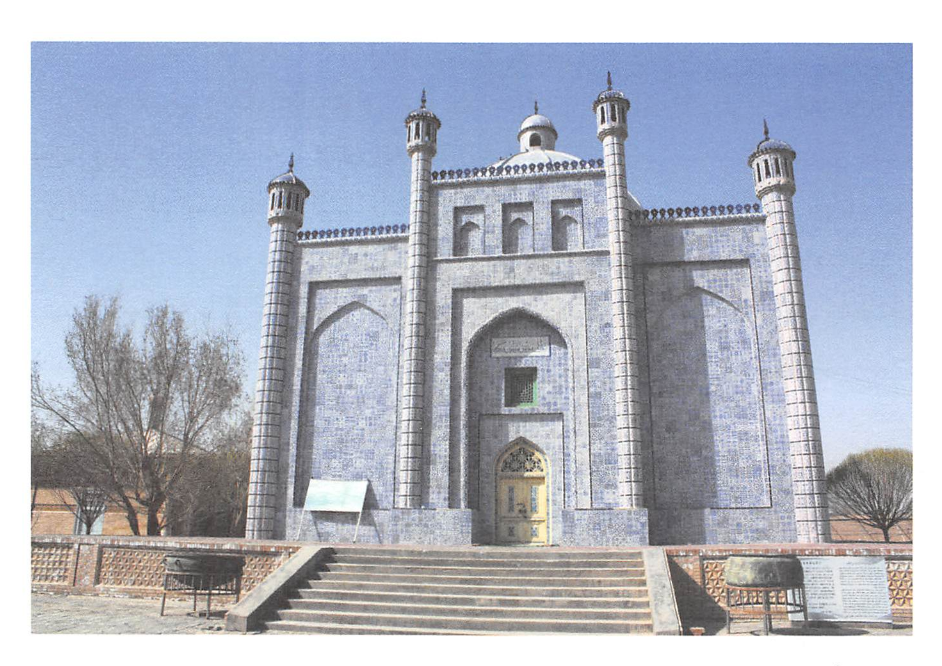
أما المذهب الشيعي فعلى النقيض تمامًا من المذهب السني، حيث إن الشيعة طرفان متناقضان في السياسات. ويطلق على هذا المذهب اسم "شيعة علي" أو "أتباع علي"، ويرى أصحاب هذا المذهب بصحة خلافة علي وسلالته من الدرجة الأولى فقط بعد وفاة النبي محمد، كما يعتقدون بأن الإمام هو المرجع الرئيسي لهم فيما يتعلق بالأمور الفقهية، ويطلقون اسم "الإمام" على القائد الديني والسياسي. ومن معتقداتهم أيضًا أن علي وسلالته يتمتعون بصفات الألوهية، ولذا فهم معصومون من الخطأ، كما يعتقدون أيضًا بأن الإمام الأخير عندهم هو المنتظر الموعود (المهدي المنتظر) الذي غاب عن الأنظار، وأنه سيعود لإنقاذ العالم. أما فيما يتعلق بالأمور العقائدية، فيُسمح لأتباع الشيعة كتمان معتقداتهم بسبب الاضطهاد والقمع، وهذا ما يُعرف عندهم باسم "مبدأ التقية". والجدير بالذكر أنهم يهتمون اهتمامًا بالغًا بعيد عاشوراء، ويقدسون قبور الأئمة تقديسا شديدًا. وقد سيطر المذهب الشيعي على مقاليد الحكم لفترة معينة في بعض البلدان، مثل الزيديين في اليمن، والفاطميين في مصر وغيرهم. وفي عام 1502م، أعلن الملك (الشاه) إسماعيل المذهب الشيعي مذهبًا رسميًّا للدولة الإيرانية، واستمر هذا المذهب مذهبًا رسميًّا للدولة حتى يومنا هذا. وينقسم المذهب الشيعي إلى فرق وطوائف، من أهمها: الإمامية الاثنا عشرية، والإسماعيلية (مذهب الأئمة السبعة)، والزيدية وغيرها من المذاهب. ويدين الطاجيك في منطقة شينجيانغ بالإسماعيلية التي تعتبر إحدى المذاهب الشيعية.

تعد الصوفية إحدى المذاهب التي تدعو إلى التصوف في الدين الإسلامي، وقد ازدهرت الصوفية تقريبًا في أواخر القرن السابع الميلادي. ويلاحظ أن شعائرهم الدينية وأساليب حياتهم المعيشية تختلف عن الشعائر التي يمارسها عامة المسلمين. فباستثناء الزهد في الدنيا وعدم الحرص عليها والخشوع في العبادات وكثرة ذكر الله، فإنهم يهتمون بالناحية الروحية اهتمامًا بالغًا، ويجنحون إلى مجاهدة النفس وتهذيبها، حيث أن أكثر ما يرجونه هو أن يكونوا دائمًا في حضرة الله. ومن شدة تعلقهم بالتصوف فإنهم يفسرون الأحكام الدينية في القرآن والسنة النبوية وفقًا لاعتقاداتهم الصوفية، ولذا فقد ظهرت الكثير من المؤلفات التي تدعو إلى التصوف والزهد في الدنيا وعدم الركون إليها. وفي القرن الحادي عشر قام الغزالي بالدمج بين التصوف الذي يتبع المذهب الصوفي والعقيدة السنية وأصبحًا فيما بعد عقيدة رسمية. وبعد ذلك انتشرت الصوفية في كل مكان، مما جعل أتباعها ينشئون منظمة صوفية، والتي من أهم مهامها: نشر الفكر الصوفي، وقبول أعضاء جدد في الحركة الصوفية، واستيعاب الأفكار الدينية والتقاليد الثقافية العريقة في المناطق المختلفة، وكان لهذه المنظمة دور هام في نشر الدين الإسلامي في المناطق التي لم ينتشر فيها من قبل.

انتشار الدين الإسلامي رسميًا في شينجيانغ

دخل الإسلام شينجيانغ في الفترة ما بين نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر، وذلك من أواخر عهد أسرة تانغ وبداية عهد الأسر الخمس. والجدير بالذكر أن الطريقة التي انتشر بها الإسلام في منطقة شينجيانغ مختلفة تمامًا عن الطريقة التي انتشرت بها الديانات الأخرى، كالزرادشتية، والبوذية، والمانوية... الخ، حيث إن انتشارها في بادئ الأمر كان في منطقة شينجيانغ، وبعد ذلك انتشر في المناطق الداخلية. علاوة على ذلك، فقد تعرض السامانيون الذين كانوا يدينون بالدين الإسلامي في آسيا الوسطى للاضطهاد على يد القراخانات، مما أدى إلى تأخر عملية انتشار الإسلام في شينجيانغ.

وفي منتصف وأواخر القرن التاسع الميلادي، ظهرت مملكتان في المنطقة التي تمتد من غرب شينجيانغ حتى آسيا الوسطى، حيث تولى القراخانيون حكم بعض القوميات التي تتحدث اللغة التركية، وكانوا يقطنون المنطقة التي تمتد من غرب شينجيانغ حتى آسيا الوسطى، أما السامانيون المسلمون فكانوا يحكمون بعض المناطق التي تقع في آسيا الوسطى والتي كان يقطنها الإقطاعيون. وفي البداية كانت المملكتان تتعايشان في سلام مع بعضهما البعض، ثم بعد ذلك نشبت حروب كبيرة بينهما، الأمر الذي أدى إلى تدهور العلاقة بينهما. وفي عام 893م، استطاع السامانيون فتح مدينة طلاس التي كانت تقع



مزار ساتوكه بوقلاهان

تحت حكم القراخانيين، مما اضطر أوغلك قدير خان نائب خان الدولة القراخانية إلى الانتقال إلى كاشغر (كاشي بشينجيانغ حاليًا). ونتيجة لذلك وقعت كاشغر تحت حكم القراخانيين. ولم تمض فترة طويلة على فتح السامانيين لمدينة طلاس حتى وقع صراع داخلي في قيادة الدولة السامانية، وفشل الأمير ناصر ابن منصور في هذا الصراع الداخلي وهرب إلى كاشغر طالبًا اللجوء من أوغلك قدير خان. وكان قدير خان يفكر دائمًا في الانتقام بعد هزيمته من السامانيين في مدينة طلاس ورحيله إلى كاشغر، ولذلك قرر استغلال النزاع الداخلي للدولة السامانية، ومن ثم توجيه ضربة إليها، ولذلك أحسن ضيافة الأمير ناصر، وعينه رئيسًا تنفيذيًا في منطقة أتوشي. وبعد توليه الإدارة تم إعطاؤه كامل الصلاحيات، ومن ثم استغل هذا وقام بإنشاء أول مسجد إسلامي في تاريخ شينجيانغ، وكان يطلق على هذا المسجد اسم "مسجد أتوشي الكبير". وبعد ذلك اعتنق سوتوق بوغراخان ابن أخو قدير خان الإسلام، وفور اعتناقه الإسلام قام بدراسة "القرآن الكريم" والتعاليم الإسلامية مع ناصر، كما قام أيضًا بنشر الدين الإسلامي سرًا في أواسط الشباب. وبعد عدة سنوات، وعندما بلغ الخامسة والعشرين من عمره، قاد جيشًا تعداده ثلاثة آلاف جندي مسلم، ونجح في الانقلاب على حكم قدير خان، ومن ثم قام بالاستيلاء على السلطة، وبذلك أصبح سوتوق بوغراخان أول خاقان مسلم يتولى مقاليد الحكم، وفي نفس الوقت يعتبر أول زعيم مسلم يتولى السلطة في تاريخ شينجيانغ.

وفور تولى سوتوق بوغراخان مقاليد الحكم إبان هذه الفترة، دعا الناس إلى اعتناق الدين الإسلامي، إلا أنه لم يستطع خلال حياته نشر الدين الإسلامي في جميع أنحاء الدولة القراخانية. وبعد ذلك وافته المنية عام 344هـ (955 -956م)، ودفن في أتوشي، ولا يزال قبره موجودًا حتى الآن.

وخلاصة القول، فإن إنشاء مسجد أتوشي واعتناق سوتوق بوغراخان للدين الإسلامي يرمزان إلى دخول الإسلام رسميًا إلى شينجيانغ.

أول خان مسلم في الدولة القراخانية

يعتبر سوتوق بوغراخان أول خان مسلم في الدولة القراخانية، وكان يتيم الأب منذ صغره، وبعد وفاة والده تزوجت أمه من عمه أوغلك وذلك وفقًا لعادات وتقاليد القبائل البدوية التي تقضي بأن تتزوج الأرملة من أقرباء الزوج.

وقد انتشرت مآثر سوتوق بوغراخان الذي اعتنق الدين الإسلامي انتشارًا واسعًا في أوساط قومية الويغور، وهناك الكثير من الأساطير والكرامات الدينية حول هذا الشخص. ومن بين هذه الأساطير ما ذكره بن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ" أن سوتوق بوغراخان رأى في منامه رجلاً نزل من السماء

مرتديًا ملابس بيضاء، واتجه نحوه وتحدث إليه باللغة التركية قائلاً: "عليك أن تعتنق الدين الإسلامي لكي تعيش سالما آمنًا في دنياك وأخراك". وعلى الفور أعلن سوتوق بوغراخان إسلامه عند شروق الشمس، وبإسلامه أسلمت معظم رعيته، وبعد ذلك اتخذ لنفسه اسمًا مسلمًا هو «عبد الكريم».

علاوة على ذلك، فقد تناقل الناس مخطوطة "أسطورة سوتوق بوغراخان" جيلاً بعد جيل، وقد ذكر في ثنايا هذه المخطوطة العديد من أساطير الأولين، ومن بينها: "أن النبي محمدًا رأى روح سوتوق بوغراخان ورفاقه الذين اعتنقوا الدين الإسلامي في السماوات العلى، وذلك أثناء رحلة الإسراء والمعرج (ذكرت رحلة الإسراء والمعراج في الآية الأولى من الجزء السابع عشر في القرآن الكريم)، والذي قام بتقديمه للرسول محمد هو جبريل (أحد الملائكة). وبعد أن عاد النبي محمد من هذه الرحلة ووطئت قدماه الأرض قص على أصحابه نبأ هذا الرجل وقال لهم: "إن أول من يعتنق الإسلام في هذا المكان هو سوتوق بوغراخان". والجدير بالذكر أنه عند ولادة سوتوق بوغراخان ظهرت العديد من البشارات، وحينها قال أحد العرافين: "إن هذا الطفل عندما يكبر سيعتنق الديانة الإسلامية، وسيصبح حاكمًا على إحدى البلاد". وعندما بلغ سوتوق الثانية عشرة من عمره، سافر في رحلة صيد مع تسعة وثلاثين من أصحابه، وأثناء رحلته قابل الخضر الذي تنكر في زي رجل عجوز، وأوضح له فوائد اعتناق الدين الإسلامي، كما قص عليه المشهد الرهيب لنار جهنم، إلا أن الخضر لم يدعه إلى الدخول رسميًا في الدين الإسلامي، وذلك لأن الله أوكل مهمة دعوته للدين الإسلامي لأبي ناصر الساماني.

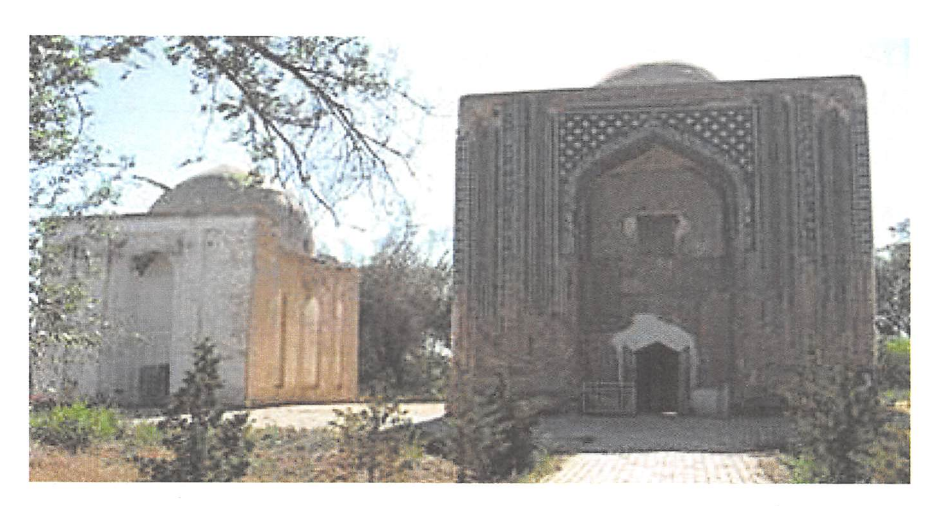


تمثال توهيلو تيهموأرهان في محافظة هووتشنغ بإيلي

ويقال إن الله قد بعث أبا ناصر الساماني إلى هذه الدنيا في وقت محدد قبل ولادة سوتوق بوغراخان، وكان أبو ناصر شخصًا متواضعًا يتخلق بأخلاق حسنة، كما كان ملمًا بكل ما يخص الشئون الدينية، بالإضافة إلى قدرته الفائقة على إدارة البلاد. وذات ليلة رأى أبو ناصر في منامه أن النبي محمدًا أمره أن يذهب إلى تركستان لدعوة سوتوق للدخول في الدين الإسلامي. وامتثالاً لهذه الرؤيا اصطحب أبو ناصر معه قافلة تجارية يبلغ تعدادها ثلاثمائة شخص واتجه نحو أتوشي. وذات يوم خرج سوتوق بوغراخان في رحلة صيد مع أصدقائه، واتجه نحو باكو بأتوشي، وأثناء رحلته قابل قافلة أبي ناصر الساماني، وبمجرد أن رأى سوتوق بوغراخان أبا ناصر الساماني، أدرك أن هذا هو الشخص الذي قص عليه الخضر خبره، وعندما تقابلا شعرا منذ الوهلة الأولى أنهما يعرفان بعضهما منذ أمد بعيد، وعلى الفور استجاب سوتوق بوغراخان لدعوة أبي ناصر الساماني، ونطق الشهادتين، ومنذ هذه اللحظة أصبح سوتوق مسلمًا، وبإسلامه أسلم معظم رفاقه.

أول خان منغولي يقود قواته لاعتناق الدين الإسلامي

بعد فتح المناطق الغربية على يد جنكيز خان، عين ابنه الثاني جغتاي حاكمًا على منطقة شينجيانغ، ومنذ هذه اللحظة أصبحت شينجانغ تابعة للدولة الجغتائية، وكان حكام منغوليا التابعة للدولة الجغتائية يلتزمون دومًا بالبلدية على السياسات والقوانين الدينية التي ينتهجها جنكيز خان، ومن أجل ضمان المساواة بين جميع الأديان، تمسك المنغوليون بمعتقداتهم الدينية. وفي بداية القرن الرابع عشر الميلادي، تم تقسيم الدولة الجغتائية إلى شرقية وغربية. وكانت شينجيانغ تابعة للدولة الجغتائية الشرقية. وفي عام 1347م، قام بولوجي رئيس قبيلة دوغلات التابعة للدولة الجغتائية الشرقية بدعم وتأييد توغلوغ تيمور الحفيد السابع لجنكيز خان والذي تشرد عن وطنه، وأصبحت آمالي عاصمة للدولة الجغتائية. وقبل توليه الحكم رسميًا، أولاه رئيس قبيلة دوغلات بالرعاية في منطقة أكسو، وخلال هذه الفترة، قابل توغلوغ تيمور بعض دعاة الصوفية الذين تم نفيهم إلى شينجيانغ في عهد جنكيز خان، وكان دعاة الصوفية الذين قابلهم توغلوغ تيمور هم: جلال الدين، وأشندينغ، وجوا فوتسي، وبعد ذلك اعتنق توغلوغ الإسلام على أيديهم. ونظرًا للعواقب الخطيرة لهذا الأمر، فقد طلب توغلوغ التكتم على هذا الأمر، وأن يعلن إسلامه رسميًا بعد توليه مقاليد الحكم. وبعد توليه حكم البلاد مباشرة توفي شيخه جلال الدين في أكسو، وبعد عدة سنوات، سمع كلاً من أشندينغ وجوا فوتسي بخبر تولي توغلوغ تيمور مقاليد الحكم، وعلى الفور توجهوا إلى آمالي لمقابلته حتى يقوم بالوفاء بالوعد الذي قطعه على نفسه، وبالفعل أعلن توغلوغ تيمور إسلامه رسميًا على يد أشندينغ وجوا فوتسي وبعد ذلك اتخذ لنفسه اسمًا إسلاميًا هو "أبو بكر



مزار توهيلو تيهموأرهان في محافظة هووتشنغ بإيلي

محمد"، ومنذ هذه اللحظة أصبح توغلوغ تيمور مسلمًا يدين بالدين الإسلامي. والجدير بالذكر أنه يُعتبر أول خان منغولي يعتنق الدين الإسلامي.

ومما تجدر الإشارة إليه أن قبيلة دوغلات التي قامت بدعم وتأييد توغلوغ تيمور كان لها نفوذ قوي في منغوليا التابعة للدولة الجغتائية، وكان هدفها من دعم توغلوغ تيمور الذي لم يتجاوز عمره الثامنة عشر امتلاك زمام الأمور في الدولة الجغتائية، وبالطبع كان توغلوغ تيمور لا يرغب في أن يكون دمية في يد قبيلة دوغلات، ونتيجة لذلك اتخذ الكثير من الإجراءات التي تخلصه من هيمنة ونفوذ قبيلة دوغلات. ومن العوامل التي ساعدته على تحقيق ذلك اعتناقه للدين الإسلامي، واستغلاله قوة ونفوذ الدين الإسلامي. ومن أجل زيادة نفوذه الديني والسياسي، أمر رعيته باعتناق الدين الإسلامي بعد إعلان إسلامه مباشرة، وكان ذلك بمساعدة كلاً من أشندينغ وجوا فوتسي، وبالفعل حقق توغلوغ تيمور إنجازات كبيرة في هذا الشأن. وبعد ذلك سرعان ما اعتنق جميع الأمراء والأشراف في الدولة الجغتائية الدين الإسلامي، وكان ذلك بالتأكيد بفضل توغلوغ تيمور. ولم يمض فترة طويلة حتى دخل المنغوليون في الدين الإسلامي أفواجًا، حتى وصل عددهم آنذاك إلى 160 ألف مسلم.

اعتناق الطاجيك لمذهب الإسماعيلية

يعتنق معظم الطاجيك الآن الدين الإسلامي، وكما ذكرنا سلفًا فإن أهم مذهبين في الدين الإسلامي هما: المذهب السني، والمذهب الشيعي. ويتبع معظم الطاجيك المذهب الإسماعيلي وهو أحد أهم المذاهب الشيعية. ومن المعلوم أن الطاجيك الذين يقطنون المناطق الجبلية لا يختلفون عقائديًا مع باقي القوميات

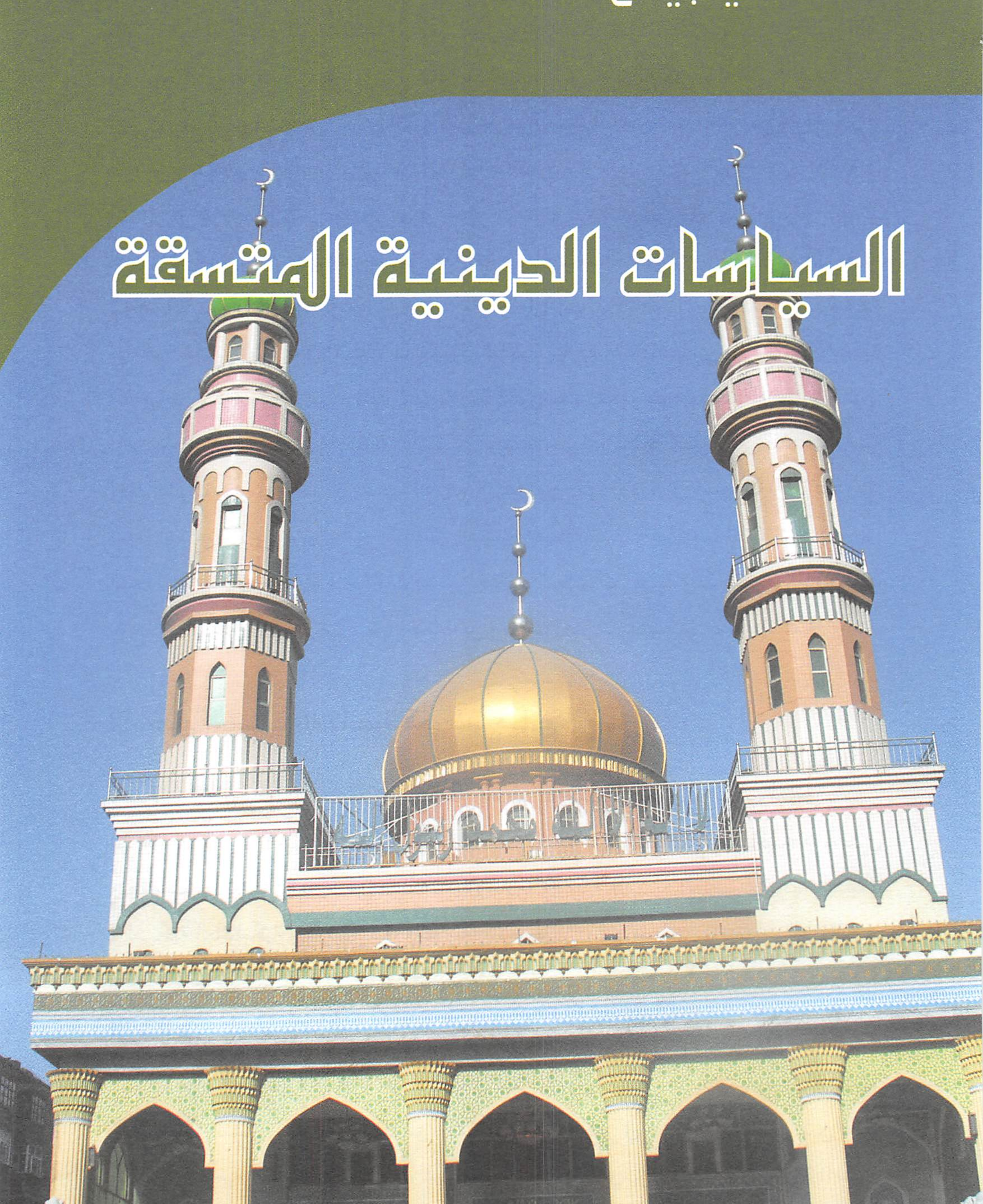
المسلمة فحسب، مثل: القومية الويغورية، وقومية هوي، وقومية القازاق، وقومية القرغيز وغيرهم من القوميات، بل يختلفون أيضًا عقائديًا مع الطاجيكيين الذين يعيشون في السهول. والجدير بالذكر أن قومية الطاجيك من أوائل القوميات التي اعتنقت الديانة الإسلامية من بين القوميات الصينية المسلمة، وذلك لأن الإسلام قد دخل في البداية إلى جنوب شينجيانغ عن طريق جبال بامير بآسيا الوسطى. وفي نهاية القرن العاشر، قام بعض الطاجيكيين (مثل خواجيا، وأبو ناصر الساماني) بالذهاب إلى كاشغر عن طريق جبال بامير لنشر الدين الإسلامي، وبالفعل اعتنق سوتوق بوغراخان أحد حكام الدولة القراخانية الدين الإسلامي، ومنذ ذلك الحين بدأ انتشار الإسلام تدريجيًا في جنوب شينجيانغ. ووفقا للتسجيلات التاريخية، نجد أن الطاجيك قد اعتنقوا الدين الإسلامي في أواخر القرن العاشر. أما فيما يتعلق بمذهب الإسماعيلية الذي اعتنقه الطاجيكيون، فهناك مشكلة حول أمرين، وهما: متى اعتنق الطاجيكيون مذهب الإسماعيلية؟ ولماذا اعتنقوه؟ ووفقًا للأساطير الشعبية، وبعد التحقيق والبحث، يمكننا القول بأن هذا الأمر يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالرحالة والشاعر والمفكر والفيلسوف ناصر خسرو (1003 -1088 م) الذي ذهب إلى منطقة جبال بامير لنشر مذهب الإسماعيلية.

وقد وُلد ناصر خسرو في قباديان التي تقع في طاجيكستان، وكبر وترعرع في مدينة بلخ بأفغانستان، وهي إحدى المدن الثقافية المشهورة في العصور القديمة، والتحق بإحدى المدارس الدينية منذ صغره، واطلع على الكثير من المعارف والعلوم، ومن ثم أصبح عالمًا واسع المعرفة، كما نال احترام الناس لعلمه الوفير. وقد تفوق على غيره في العلم والمعرفة والمواهب الأدبية، وكذلك نال تقدير الجميع، ولذا فقد تم توليته منصب أمين سر القصر السلجوقي. وقد اكتسب الكثير من المعارف حول طبيعة الطبقة الحاكمة وذلك أثناء وجوده لفترة طويلة في البلاط الملكي، ونظرًا لشعوره بأن عمره يضيع سدى داخل البلاط الملكي، فقد قرر بكل عزم مغادرة القصر الإمبراطوري، وبدأ حياة الزهد والورع، وكان عمره آنذاك ثلاثة وأربعين عامًا. وبعد ذلك اصطحب أخاه أبا سعيد وقام برحلة طويلة إلى إيران، والعراق، وسوريا، وفلسطين، ومصر، والسعودية، والهند، وأفغانستان وغيرها من البلدان. وسبق له زيارة المدينة المنورة ثلاث مرات، كما قام بزيارة مكة أربع مرات، حيث استغرقت رحلاته حوالي سبع سنوات. ويعد أول طاجيكي في التاريخ يقوم برحلة طويلة. والجدير بالذكر أنه كلما وصل إلى بلد من البلدان كان يقوم بزيارة أشهر العلماء فيها، ويتعرف على العادات والتقاليد الخاصة بهذه البلد، بالإضافة إلى الاطلاع على عاداتهم وممارساتهم الدينية، وإلى جانب ذلك كان يقوم بزيارة أشهر المعالم التاريخية، ويستكشف بنفسه الموقع الجغرافي للبلدان التي يزورها، كما يتعرف على أشهر المحاصيل الزراعية هناك. وخلال رحلته الطويلة، اكتسب الكثير من المعارف، وطرأ الكثير من التغيرات على أفكاره. وأثناء زيارته لمصر، اتصل

اتصالاً مباشرًا بالبلاط الملكي للدولة الفاطمية التي اتخذت من المذهب الاسماعيلي مذهبًا رسميًّا لها، ولذلك اعتنق المذهب الإسماعيلي وأصبح أحد أتباعه المخلصين. وبعد عودته إلى خراسان قام بنشر المذهب الإسماعيلي بصفته ناشرًا للمذهب الديني للدولة الفاطمية، ولذلك تعرض إلى الاضطهاد من قبل القائمين على نشر الدين الإسلامي، وحكام السلاجقة، ولذا فقد أجبر على الفرار من بيته ولجأ إلى منطقة بامير النائية، وقام بنشر الإسماعيلية في أوساط الطاجيكيين، حيث ألف كتابه المشهور "سفرنامه"، والذي يعني مذكرات السفر. وقد أطلق الطاجيكيون على ناصر خسرو اسم "المؤسس ناصر خسرو"، وهذا تبجيلاً وتقديرًا له بصفته مؤسس المذهب الإسماعيلي هناك، ولا يزالون يلقبونه بهذا اللقب حتى الآن، كما لا تزال بعض الفاعليات والأنشطة الدينية تقام وفق مذهبه، بالإضافة إلى انتشار كتابه "الضياء" وكتاب "سفرنامه" وغيرهما من الكتب المشهورة انتشارًا واسعًا في قومية الطاجيك الصينية، ويعتبرونها كتبًا مقدسة.

أديان
شينجيانغ

السياسات الدينية المتسقة



بعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية، اندمجت الحكومة الصينية في واقع الأديان الوطنية، وصاغت مجموعة من السياسات المتعلقة بحرية الاعتقاد الديني. ووفقًا لتلك السياسات، أصبح من حق كل مواطن أن يتمتع بحرية الاعتقاد الديني، أي من حقه اعتناق هذا الدين أو ذاك، حتى أبناء الديانة الواحدة لهم الحق في التمسك بمذهب من المذاهب، ومن حق غيرهم أن يتمسك بغيره، كما يتمتع المرء بحرية الخروج من دين اعتنقه سابقًا واعتناق دين لم يسبق له اعتناقه. وبعبارة أخرى، فإن للمرء الحرية الكاملة في اعتناق دين أو عدم اعتناق. ويتمثل جوهر سياسات حرية الاعتقاد الديني في جعل مشكلة الاعتقاد الديني حرية اختيار شخصية للفرد، وعلى هذا تعد مسألة شخصية للمواطنين، فضلاً عن أنها حرية شخصية لا بد وأن ينعم بها كل مواطن. وتعد حماية واحترام حرية الاعتقاد الديني سياسة أساسية ممتدة تنفذها الحكومة الصينية في المشكلات الدينية. كما تعتبر حرية الاعتقاد الديني من الحقوق الأساسية لكل مواطن صيني، ولذا تم إدراج تلك السياسة في الدستور الصيني، كما حظيت بدعم الدستور والقانون.

ومنذ تأسيس الصين الجديدة، بدأ تطبيق سياسات حرية الاعتقاد الديني وإدارة الشؤون الدينية وفق القانون، وقد عزز هذا من عملية التعايش السلمي بين جميع الأديان في شينجيانغ، كما عمل على تبادل التفاهم والاحترام بين جميع المواطنين الصينيين مهما اختلفت دياناتهم، الأمر الذي أدى إلى استحالة نشوب أي نزاعات أو خلافات بسبب اختلاف المعتقدات الدينية والمذاهب، ومن ثم دخلت جميع الأديان تدريجيًا في طريق التنمية الحسنة، بل وحققت إنجازات عظيمة على صعيد الأعمال الدينية.

الأوضاع الدينية المعاصرة في شينجيانغ

لقد تأسس، خلال تاريخ طويل من التغير والتطوير، في منطقة شينجيانغ أسلوب أساسي يكون الإسلام هو الديانة الرئيسة فيه، وفي الوقت ذاته تحظى جميع الديانات بالتعايش والانسجام. وتحتوي منطقة شينجيانغ على العديد من الديانات، كالإسلام، والبوذية (البوذية الصينية والبوذية التبتية)، والمسيحية الكاثوليكية والأرثوذكسية، والطاوية، بالإضافة إلى وجود بقايا من المعتقدات الشامانية في بعض القوميات.

الإسلام

لا يزال الدين الإسلامي حاليًا هو الدين الذي تدين به مجموعة كبيرة من القوميات، كما أنه الدين الذي يحظى بانتشار واسع في جميع المناطق، فضلاً عن تأثيره الكبير في منطقة شينجيانغ. وتدين غالب الأقليات القومية العشر التي تعيش في شينجيانغ بالدين الإسلامي، ويبلغ عددهم حوالي 11.3مليون

نسمة، أي أكثر من حوالي 50٪ من عدد سكان شينجيانغ الإجمالي. ويُعد المذهب السني والشيعي المذهبين الرئيسين للدين الإسلامي بشينجيانغ، أما شرح المعتقدات الدينية الإسلامية فيتم من خلال المذهب الصوفي السني. وباستثناء قومية الطاجيك، فإن المذهب السني هو المذهب الرئيسي الذي تعتنقه جميع القوميات الإسلامية هناك، حيث يمثل معتنقو المذهب السني حوالي أكثر من 90٪ من العدد الإجمالي لمسلمي شينجيانغ. أما شيعة شينجيانغ فينقسموا إلى طائفتين، أحدهما مذهب الإسماعيلية الطاجيكية (ويسمى أيضًا مذهب الإمامية السبعة)، بينما يعتنق بعض أبناء الويغور مذهب الإمامية الاثنا عشرية. ويعد المذهب الصوفي أحد مذاهب التصوف في الدين الإسلامي، حيث يسمى عند أبناء الويغور بمذهب إيتشان، وبعد دخول الصوفية إلى قومية هوي، تشكلت منها مذاهب وفروع. وينتشر هذا المذهب في العديد من المناطق مثل كاشغر وخهتيان وأكسو وولاية كازيلسو القيرغيزية ذاتية الحكم وولاية بايينقوولينغ المنغولية ذاتية الحكم وتوربان وهامي وغيرها من المناطق. أما المذاهب الإسلامية في قومية هوي فتقتصر على المذهب السني والصوفي فقط، وينقسم المذهب السني إلى ثلاث طوائف هي القاديمو (الحنفية)، والإخوان، ومذهب السان تاي (الوهابية)، أما الصوفية فتنقسم إلى أربع فرق، هي القادرية والكبروية والجهرية والخفية. وتقوم قومية الهوى المسلمة بتنفيذ نظام المذاهب والمدارس الدينية، فالقديمو والخفية هي المذاهب الكبرى، أما الجهرية فهي المذهب الأصغر.

وفي بداية عهد الإصلاح والانفتاح، بلغ عدد المساجد أكثر من ألفي مسجد، بينما تجاوز عددها حاليًا حوالي 24300 مسجد، وزاد عدد العاملين في المساجد من حوالي 3000 شخص إلى حوالي 28 ألف شخص، وذلك لتلبية حاجة الجماهير المسلمة. وقد أدرجت دفعة كبيرة من مساجد شينجيانغ في قائمة وحدة حماية الآثار الهامة على مستوى الدولة والمناطق ذاتية الحكم والمحافظات. وفي عام 1999م قدمت الحكومة الصينية اعتمادًا ماليًا ضخمًا بلغ حوالي 7.6 مليون يوان لإعادة إعمار مسجد يانغ هانغ بأورومتشي ومسجد البترا في إينينغ والمسجد الجامع في خهتيان. كما حصلت مجموعة من المساجد والمزارات الإسلامية على اعتمادات حكومية كثيرة مثل مسجد عيد غا بكاشغر ومقبرة حظية العطر (مزار أباك هوجا) ومئذنة الإيمان بتوربان. وقد بلغ إجمالي الاعتمادات المالية التي قدمتها الحكومة الصينية في عام 2008م حوالي 33 مليون يوان صيني، وذلك لإصلاح مسجد عيد غا بكاشغر ومزار أباك هوجا.

ومن أجل ضمان حصول رجال الدين والمسلمين في الصين على الكتب المقدسة وغيرها من الوثائق الدينية، فقد تم ترجمة ونشر "القرآن الكريم" و"خلاصة حديث البخاري" و"مختارات ويرتسي" و"سجل خُطب ويرتسي الجديدة" وغيرها من الكتب الإسلامية باللغة الويغورية والقازاقية والصينية



أنشطة مذهب إييتشان (مويوي)

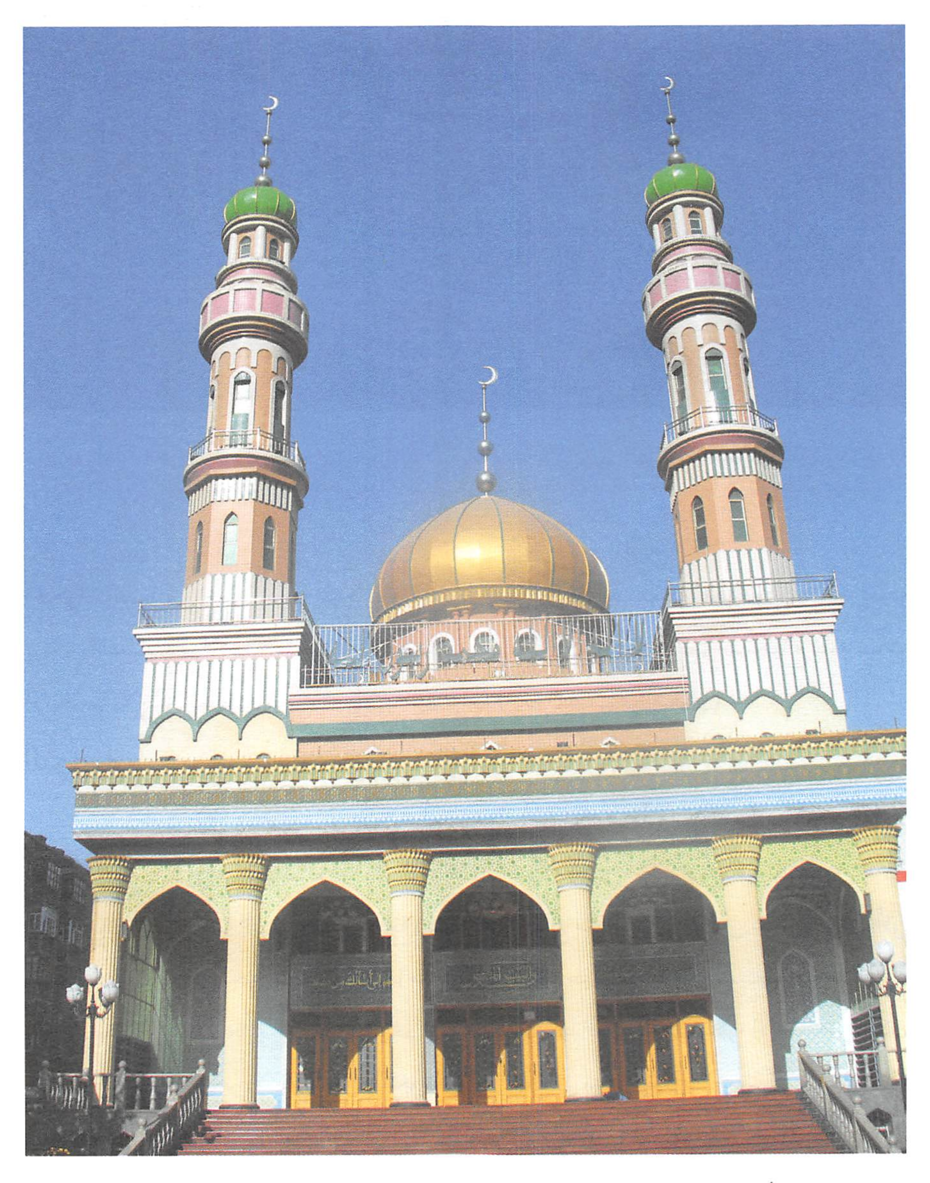
والقيرغيزية، بالإضافة إلى مجلة "المسلم الصيني" التي نشرت باللغة الويغورية. كما أقيمت شبكة مبيعات للكتب الدينية المتخصصة في مناطق مختلفة من أجل تقديم التسهيلات إلى الجمهور.

ومنذ تأسيس معهد شينجيانغ للعلوم الإسلامية في عام 1987م، فقد تم تدريب مجموعة كبيرة من الأئمة والخطباء وعلماء الدين في شتى بقاع شينجيانغ. كما تم إنشاء مدارس وفصول لتعليم القرآن الكريم ودورات تدريبية للعلماء من قبل الجمعية الإسلامية الصينية في مختلف مناطق شينجيانغ، كما تم تعيين كثير من الخريجين في العديد من المناصب الدينية. ومنذ عام 2001م، أرسلت شينجيانغ حوالي سبعة وأربعين شخصًا للدراسة في الجامعات والمعاهد العليا بمصر وباكستان وغيرها من الدول الإسلامية، وذلك من أجل الارتقاء بمستوى أعضاء هيئة تدريس العلوم الإسلامية.

ومع ارتفاع مستوى معيشة الشعب، فقد تجاوز عدد المتوجهين إلى السعودية لأداء فريضة الحج من أبناء شينجيانغ 50 ألف شخص منذ ثمانينات القرن العشرين، أي حوالي أكثر من 2700 حاج سنويًا. علاوة على ذلك، فقد شارك طلاب المعاهد الإسلامية بالمنطقة الذاتية الحكم في مسابقات القرآن الكريم المحلية والعالمية، بل وأحرزوا نتائج جيدة. وتضمن حرية الاعتقاد الديني مشاركة الأشخاص في

الفعاليات الدينية بصورة فعالة.

ويهتم المسلمون الصينيون مع اختلاف مذاهبهم بالعيدين الإسلاميين التقليديين، عيد الأضحى وعيد الفطر. ومن أجل ضمان مشاركة الجماهير الإسلامية في تلك الأعياد الإسلامية، فقد أقرت



مسجد يانغهانغ بأورومتشي



طبعة من القرآن الكريم محفوظة في متحف بلدة مويوي بشينجيانغ المكتوبة على ورق التوت، ووفقا للمؤرخين، فإن هذا الكتاب يرجع تاريخه لأكثر من 100 سنة. وعلى الرغم من قدمه، إلا أن كل كلمة فيه مازالت واضحة ويمكن رؤيتها بوضوح.

الحكومة الصينية منح ثلاثة أيام كإجازة في عيد الأضحى ويوم واحد لعيد الفطر. وفي صباح العيد، يرتدى المسلمون الملابس الفاخرة لأداء الصلاة في المسجد. كما يهتم مسلمو شينجيانغ بالمناسبات الإسلامية الأخرى بما فيها "يوم عاشوراء" و"عيد برات (ليلة النصف من شعبان)".

البوذية

تنقسم البوذية في شينجيانغ إلى البوذية الصينية والبوذية التبتية. فأما البوذية الصينية فهي المعتقد الديني الأوسع انتشارًا في شينجيانغ والأكثر اعتناقًا والأكبر تأثيرًا على المجتمع والأغزر ثقافيًا. وبعد أن حل الإسلام محل الديانة البوذية، تمتع بمكانة أكبر في شينجيانغ منذ القرن السادس عشر، ومن ثم أفل نجمها وتضائل حجمها، حتى شهدت انتعاشًا ملحوظًا في فترة توحيد أسرة تشينغ لشينجيانغ. أما البوذية التبتية فيطلق عليها الديانة اللامية، وبالرغم من دخولها شينجيانغ في وقت مبكر، إلا أن تأثيرها كان محدودًا للغاية، ولم تزدهر إلا بعد دخول المنغولية الأويراتية التي تدين بالبوذية التبتية إلى شينجيانغ في عهد أسرة مينغ. ومنذ ذلك الحين أصبحت البوذية التبتية الدين الثاني في شينجيانغ بعد الإسلام.

ومن بين القوميات الصينية الرئيسة التي تعتنق البوذية الصينية، قومية الهان وقومية المان وغيرها

من القوميات. ونظرًا لأن الكثيرين من معتنقي الديانة البوذية يصومون عن اللحم ويسبحون ويشعلون البخور ويعبدون بوذا في منازلهم، لذا فمن الصعب إحصاء عدد معتنقي الديانة البوذية بشكل دقيق، بينما يبلغ عدد المشاركين في الفعاليات البوذية حاليًا حوالي عشرة آلاف شخص. وتنتشر البوذية الصينية في أورومتشي وتشانغجي وهامي وغيرها من المناطق التي تعيش بها قومية الهان. أما معتنقو البوذية التبتية فينتمون بشكل كبير إلى قومية المنغول وقومية شيبة والقومية التبتية وغيرها من القوميات، ويبلغ عددهم الإجمالي حوالي مائتي ألف نسمة، حيث ينتشرون بشكل أساسي في ولاية بايينقولنغ المنغولية ذاتية الحكم وولاية بورتالا المنغولية ذاتية الحكم وبلدية بوكيساير المنغولية ذاتية الحكم وبلدية تشابوتشار ذاتية الحكم لقومية شيبو.



معبد البوذية التبتية في باتشو

المسيحية

يطلق على البروتستانتية المسيحية في الصين اسم "دين يسوع". وقد دخلت البروتستانتية إلى شينجيانغ في وقت مبكر، لكنها لم تتطور حتى بداية القرن العشرين. وقد أنشأ المبشرون الأجانب بعض الكنائس في أورومتشي وتشانغجي وميتشوان وهامي وأكسو وكاشغر وتاتشنغ وإيلي وغيرها من المدن. وقبل تأسيس جمهورية الصين الشعبية في عام 1949م، بلغ عدد إجمالي الكنائس في منطقة شينجيانغ حوالي أكثر من عشرين كنيسة، وبلغ عدد معتنقي هذه الديانة أكثر من ألف شخص، أما عدد أعضاء الهيئات التدريسية والإدارية الخاصة بالبروتستانتية فقد بلغ حوالي عشرة أشخاص. ومنذ ثمانينات القرن العشرين، فقد تطورت المسيحية في شينجيانغ تطورًا سريعًا. وفي منتصف الثمانينات، بلغ عدد مسيحي شينجيانغ حوالي أربعة آلاف شخص، بينما يبلغ عددهم حاليًا أكثر من أربعين ألف شخص، حيث تعد من أسرع الأديان تطورًا في شينجيانغ في السنوات الأخيرة. وينتشر معتنقو المسيحية بصورة أساسية في أورومتشي وتشانغجي وهامي وإيلي وغيرها من المناطق والمزارع الخاصة.



الاحتفال بعيد الميلاد في كنيسة أورومتشى

الكاثوليكية

دخلت الكاثوليكية إلى شينجيانغ في أواخر القرن التاسع عشر على أيدي مجموعة من المبشرين الأجانب، لكنها لم تحظى بتطور كبير. وقد أُنشأت العديد من الكنائس في أورومتشي وإيلي وهامي وتشانغجي وغيرها من المناطق بجنوب شينجيانغ قبل تحرير الصين، وتطورت الكاثوليكية لكن بدون تطور لأعداد معتنقيها. وبعد التحرير توقفت الفعاليات الكاثوليكية بشكل أساسي. وبعد عهد الإصلاح والانفتاح استعادت الكاثوليكية أنشطتها تدريجيًا، بل وتطورت تطورًا كبيرًا. وفي الوقت الحالي، بلغ عدد كاثوليك شينجيانغ أكثر من أربعة آلاف شخص، وينتشرون بشكل أساسي في أورومتشي وولاية تشانغجي لقومية هوي ذاتية الحكم ومدينة يننغ.

الأرثوذكسية

في نهاية القرن الثامن العشر، دخلت الأرثوذكسية إلى شينجيانغ مع الروس القادمين إلى إيلي وتاتشنغ بشينجيانغ. وبعد ذلك انتقلت القوميات الروسية تباعًا إلى شينجيانغ، مما ساهم في تطور الأرثوذكسية تطورًا كبيرًا هناك. وقد اعتمد استمرار الأرثوذكسية في شينجيانغ بشكل كبير على المواطنين الروس الذين عاشوا بشينجيانغ، وما زال هذا الوضع مستمرًا حتى الآن. ويبلغ عدد المواطنين الروس

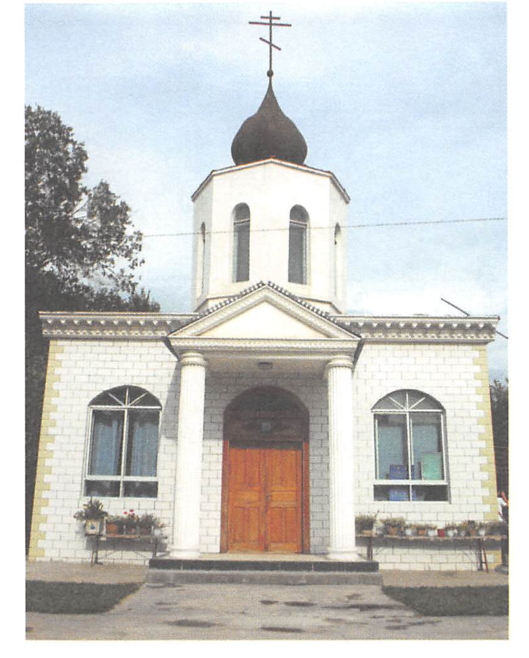


الكنيسة الكاثوليكية بأورومتشي

المقيمين بشينجيانغ حاليًا حوالي 11 ألف نسمة يدينون جميعهم بالأرثوذكسية، إلا أن عددًا قليلاً منهم لا يتجاوز المئات هو الذي يشارك في الفعاليات الدينية الأرثوذكسية. وبالرغم من كثرة عدد المشاركين في عيد الفصح وعيد الميلاد، إلا أن مثل هذه الأعياد الدينية تعد أعيادًا تقليدية للقوميات الروسية في نظر الكثيرين. وينتشر معتنقو الأرثوذكسية في جميع المناطق التي تعيش بها القوميات الروسية، حيث ينتشرون بشكل رئيسي في إيلي وتاتشنغ وأورومتشي... إلخ. وتوجد في تلك المنطقة كنيستان فقط ومكان واحد لإقامة الفعاليات الدينية ولا يوجد كاهن خاص.

الطاوية

تعد الطاوية واحدة من الأديان الأولى التي دخلت شينجيانغ قديمًا، إلا أنها لم تحظى بالانتشار الكبير على الصعيد التاريخي، ومن أشهر الأماكن التي انتشرت فيها بصورة أساسية منطقة توربان وهامي وغيرها. وقد دخلت الطاوية إلى شينجيانغ تزامنًا مع قدوم جيش أسرة تشينغ والذي كان يعتنق الطاوية، بل وعاشت فترة من الازدهار آنذاك. وفي ذلك الوقت، تم إنشاء معابد للطاوية في معظم الأماكن بمنطقة تيانشان، حيث يوجد هناك ما يزيد عن



الكنيسة الأرثوذكسية في محافظة يينينغ



عيد الفصح في الكنيسة الأرثوذكسية بأورومتشي



البيض الملون لعيد الفصح في الكنيسة الأرثوذكسية باورومتشي

عشرة معابد للطاوية حاليًا في أورومتشي. وفي أواخر عهد أسرة تشينغ أفل نجم الطاوية، حتى وصل عدد أتباع الطاوية إلى حوالي مائتين وثلاثة وثمانين شخصًا. وبعد خمسينات القرن العشرين، ومع مسايرة الطاوية للعادات والتقاليد تدريجيًا، توقفت الفعاليات الطاوية بشينجيانغ تمامًا. ويوجد الآن معبدان للطاوية في شينجيانغ ومكان واحد لإقامة الفعاليات الدينية، فضلا عن أكثر من مائة طاوي، وتنتشر الطاوية بشكل أساسي في أورومتشي وتشانغجي.

التطبيق الحقيقي لسياسة حرية الاعتقاد الديني

تم تطبيق سياسة حرية الاعتقاد الديني بصورة فعالة في شينجيانغ، وذلك لضمان حقوق حرية اعتناق الأديان لجميع مواطني القوميات. وفي بداية تحرير شينجيانغ السلمي، اتخذت اللجنة الحزبية والحكومة الشعبية لمنطقة شينجيانغ الويغورية ذاتية الحكم أسلوبًا ثابتًا وحذرًا عند تطبيقها لسياسة حرية الاعتقاد الديني بالحزب، انطلاقًا من كثرة أعداد الأفراد المنتمين إلى الأديان بالأقليات القومية بشينجيانغ وعمق التأثير الديني وعدم الإلمام بالسياسات الدينية، كما طالبت الأوساط الدينية متمثلة في علماء الدين ومعتنقي الأديان بحرية الإعلان عن معتقداتهم الدينية أو عدم الإعلان عنها، أما بالنسبة إلى أعضاء الحزب الشيوعي وكوادره فلهم مطلق الحرية في الإعلان عن اعتناقهم أو عدم اعتناقهم لأي دين، وهكذا تبددت مخاوف الأوساط الدينية الصينية من علماء أو أفراد في اعتقادهم بأن الحزب الشيوعي الصيني يحاول القضاء على النزعات الدينية، كما عملت على التغيير الفعال لقصر فترة التعليم الأيدلوجي والدعاية السياسية وعدم فهم الأوساط الدينية سواء الشخصيات الدينية أو الأفراد المنتمين إلى الأديان وكذلك الظروف غير المواتية التي يختلقها أعداء الوطن. كما قامت الحكومة الصينية بجمع جميع الأفراد من مختلف القوميات داخل الحزب والحكومة، وذلك لضمان القيام بالإصلاحات المحلية والتحول الاشتراكي بكل سلاسة وفعالية.

وفي عام 1958م، تم إلغاء الاستغلال الإقطاعي الديني والنظام القمعي من خلال تطبيق إصلاحات ديمقراطية على الأنظمة الدينية، وذلك لضمان حرية الاعتقاد الديني ومصالح الجماهير المعتنقة للأديان، كما تم العمل على تعزيز عملية التكيف بين الأديان والمجتمع الاشتراكي.

وبعد إقامة الدورة الثالثة للمؤتمر الحادي عشر للحزب الشيوعي الصيني، قامت اللجنة المركزية للحزب بإزالة الفوضى وإعادة النظام، حيث قامت بإزالة جميع التصرفات الخاطئة الخاصة بالمشاكل الدينية، وعملت على تطبيق سياسة حرية الاعتقاد الديني للحزب بصورة شاملة، ونتيجة لذلك زادت

شعبية سياسة حرية الاعتقاد الديني داخل الحزب، ومن ثم ضرب بجذوره بين أبناء الشعب.

وقد تمسكت اللجنة الحزبية والحكومة الشعبية لمنطقة شينجيانغ الويغورية ذاتية الحكم منذ تسعينات القرن العشرين بتنفيذ سياسات حرية الاعتقاد الديني للحزب بصورة صحيحة وشاملة، مشددة على احترام وحماية الحقوق الشرعية لجميع معتنقي الأديان في الأماكن التي تحظى بأعداد كبيرة من غير معتنقي الأديان، وقد زاد هذا من الوحدة بين معتنقي الأديان وغيرهم ممن لا يدينون بأديان، فضلاً عن الاهتمام المشترك بين كلا الطرفين في قضايا بناء التحديث الاشتراكي.

وانطلاقًا من الاحتياجات الفعلية، فقد تم إجراء ترتيبات معقولة لأماكن الفعاليات الدينية. وفي نهاية عام 2008م، بلغ عدد المساجد والكنائس والمعابد الطاوية وغيرها من منشآت الفعاليات الدنية بشينجيانغ حوالي أربعة وعشرين ألفًا وثمانمائة مبنى، كما بلغ عدد رجال الدين في مختلف الأديان حوالي تسعة وعشرين ألف رجل دين، أما الجماعات الدينية فقد بلغت حوالي واحد وتسعين جماعة، بالإضافة إلى مدرستين دينيتين. وقد بلغ عدد المساجد وحدها حوالي أربعة وعشرين ألفًا وثلاثمائة مسجد، أما عدد رجال الدين الإسلامي هناك فقد بلغ حوالي ثمانية وعشرين ألف عالم، وقد كان هذا كافيًا لتلبية حاجة الأوساط الدينية الإسلامية في شينجيانغ.



الفريق الغنائي لفلاحين قومية الويغور بهامي في ذكرى عيد ميلاد الحزب الشيوعي الصيني

وعلى صعيد الوحدة السياسية لرجال الدين والاهتمام بحياتهم، فقد أولت الحكومة الصينية اهتمامًا كبيرًا بذلك الجانب. فقد بلغ عدد رجال الدين بشينجيانغ الذين تم تعيينهم في العديد من المناصب داخل المؤتمر الوطني لنواب الشعب على جميع المستويات والمؤتمر الاستشاري السياسي حتى عام 2008م ما يزيد عن ألف وثمانمائة شخص، وتتمثل مهمتهم في كونهم نوابًا عن الأوساط الدينية للمشاركة في الحياة السياسية بفعالية ونشاط ومراقبة سياسات حرية الاعتقاد الديني التي تقوم الحكومة بتطبيقها. ومنذ التحرير لم تتوقف حكومات شينجيانغ بمختلف مستوياتها عن تقديم المنح المعيشية والطبية والجنائزية والتعازي في المحافل الكبرى إلى رجال الدين بصفة دورية، باستثناء التوقف القصير بسبب أحداث الثورة الثقافية، حيث تشعر الأوساط الدينية هناك بدفء الحزب ودوره الكبير في حياتهم.

وقد تم الاهتمام بعملية استعادة وتأسيس الجماعات الدينية الوطنية بمختلف مستوياتها والاهتمام بفعالياتها الإيجابية. فقد اقتصرت الجماعات الدينية الوطنية في شينجيانغ، قبل الثورة الثقافية، على الجمعية الإسلامية بمنطقة شينجيانغ الويغورية ذاتية الحكم، ثم توقفت أنشطة هذه المنظمة خلال فترة "الثورة الثقافية". وبعد إقامة الدورة الثالثة للمؤتمر الحادي عشر للحزب الشيوعي الصيني، بدأت المناطق ذاتية الحكم بإعادة وإقامة الجماعات الدينية الوطنية باعتبارها جزءًا لا يتجزأ من السياسات الدينية التي تسعى الصين لإرسائها، وسرعان ما تم إعادة الجمعية الإسلامية بمنطقة شينجيانغ الويغورية ذاتية الحكم، بل والموافقة على إنشاء جماعات دينية وطنية بمختلف المستويات. وبعد عام 1982م، بلغت عدد الجماعات الدينية التي تم إعادتها وإنشائها في المنطقة بأكملها حوالي واحد وتسعين جماعة. وتقوم الحكومة بحماية الحقوق الشرعية للجماعات الدينية بموجب القانون، كما تدعمها في إجراء فعالياتها الدينية بكل حرية داخل الإطار المسموح به في قانون السياسات الصيني. وتلعب الجماعات الدينية بمختلف مستوياتها دورًا هامًا في تدريب وتربية وإدارة الكوادر الدينية وإنشاء المدارس الدينية، بالإضافة إلى إجراء التبادلات الثقافية الدينية الدولية وغيرها من المجالات.

أما على صعيد تدريب الكوادر الدينية الوطنية، فمن خلال إقامة دورات دراسية وندوات وزيارات استطلاعية وغيرها من الأشكال، فإنه يتم حثهم فيها على المثابرة والتمسك بالوطنية وطاعة القانون، والعمل على دعم الاشتراكية ووحدة البلاد، وحماية تضامن القوميات، ومكافحة الانفصالية القومية والتطرف الديني ومكافحة الإرهاب... إلخ، كما يتم تدريبهم على المشاركة في العمل الإنتاجي والخدمات الاجتماعية والدراسات العلمية الدينية والأنشطة الاجتماعية الاشتراكية الوطنية والتبادلات الدولية وفق الظروف المختلفة للأوساط الدينية، وذلك لإثارة حماستهم ونشاطهم في مجال خدمات بناء التحديث الاشتراكي للصين.

تعزيز إدارة الشؤون الدينية طبقًا للقوانين

تعد إدارة الشؤون الدينية بموجب القانون هي القاعدة العامة التي تتوافق عليها جميع بلدان العالم في الوقت الحالي. ففي بداية تسعينات القرن العشرين، صاغت الحكومة الصينية سياسات "إدارة الشؤون الدينية بموجب القانون" وفق مفهوم إدارة شؤون البلاد بموجب القانون والظروف الدينية الجديدة في الصين.

ويشير مفهوم إدارة الشؤون الدينية بموجب القانون إلى إدارة ومراقبة تنفيذ القوانين واللوائح والسياسات الدينية، وليس معناها التدخل في الشؤون الداخلية للأديان. ويتمثل الهدف من إدارة الشؤون الدينية بموجب القانون على "حماية الشرعية وردع الأعمال غير المشروعة ومقاومة التسلل ومكافحة ارتكاب الجرائم".

وقد قامت اللجنة الحزبية والحكومة الشعبية لمنطقة شينجيانغ الويغورية ذاتية الحكم بإجراءات عديدة، كما أجرت الاستطلاعات الإيجابية وجمعت الخبرات الوفيرة وحققت نتائج ملحوظة. ومن هذه الإجراءات ما يلي:

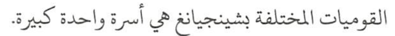
(1) تعزيز بناء الأنظمة القانونية الدينية. فمنذ عام 1988م، أصدرت الحكومة الشعبية بالمناطق ذاتية الحكم "اللائحة المؤقتة لإدارة أماكن الفعاليات الدينية بمنطقة شينجيانغ الويغورية ذاتية الحكم" و"اللائحة المؤقتة لإدارة الكوادر الدينية بمنطقة شينجيانغ الويغورية ذاتية الحكم" و"اللائحة المؤقتة لإدارة الفعاليات الدينية بمنطقة شينجيانغ الويغورية ذاتية الحكم". وعلى هذا الأساس، أصدر مؤتمر نواب الشعب بشينجيانغ في عام 1994م "قوانين إدارة الشؤون الدينية بمنطقة شينجيانغ الويغورية ذاتية الحكم". وقد أمدت تلك اللوائح والقوانين إدارة الشؤون الدينية بموجب القانون بأسلحة قانونية فعالة، كما ألحقت نظام إدارة الشؤون الدينية في شينجيانغ بمرحلة سيادة القانون.

(2) إنشاء وتحسين أربعة مستويات تابعة لشبكة إدارة الشؤون الدينية، وتنفيذ نظام المسؤولية. فبعد تسعينات القرن العشرين، تم إنشاء مجموعات قيادية للأعمال الدينية على صعيد المنطقة والمحافظة والمركز والقرية، وبهذا تشكلت شبكة إدارية مكونة من أربعة مستويات. وقد تم صياغة وتنفيذ مجموعة من القوانين واللوائح بمختلف المناطق وفق القوانين والأنظمة وجوهر الوثائق ودمج الأعمال الدينية بالحياة الواقعية، مثل "أنظمة المحادثات والتواصل بين الكوادر الحكومية ورجال الدين" و"أنظمة الإدارة الديمقراطية لأماكن الفعاليات الدينية" و"أنظمة اختبارات وتعيين الكوادر الدينية" و"أنظمة الدراسة الدورية للكوادر الدينية" و"أنظمة إصلاح وإنشاء وإقرار إنشاء أماكن الفعاليات الدينية" وغيرها من

الأنظمة، حتى يتسنى للأعمال الإدارية أن تتم وفق القانون.

(3) تعزيز بناء جبهة متحدة من الكوادر الدينية. ومن أجل ضمان تنفيذ السياسات الدينية للحزب الشيوعي بصورة شاملة وصحيحة، وتحسين القدرة الإدارية للجهات وإدارات الشؤون الدينية المختصة والكوادر، فقد عززت المناطق الذاتية من جهودها التدريبية تجاه الجبهة المتحدة والقوميات والكوادر الدينية. وفي السنوات الأخيرة، تم تدريب آلاف الكوادر الدينية من خلال التدريب المباشر أو على أيدي المدرسة الحزبية بشينجيانغ ومعهد الدراسات الاشتراكية بشينجيانغ والمدارس الحزبية المحلية والجهات الحكومية الإدارية وغيرها.

(4) تعزيز إدارة أماكن الفعاليات الدينية بموجب القانون. ففي عام 1996م، تم تأسيس مجموعات قيادية لأعمال التفتيش السنوي على أماكن الأنشطة الدينية في المناطق والمحافظات والمراكز والقرى بموجب "مناهج التفتيش السنوي على أماكن الأنشطة الدينية" للمكتب الوطني الديني في الصين، وهي مسؤولة أساسًا عن أعمال التفتيش السنوي، حيث قامت تلك المجموعات بعمل تفتيش سنوي على ما يزيد عن أربعة وعشرين ألف مقر للأنشطة الدينية في شينجيانغ. وفي الوقت ذاته قامت بتأسيس



القوميات المختلفة بشينجيانغ هي أسرة واحدة كبيرة.

وتحسين منظمات للإدارة الديمقراطية لأماكن الفعاليات الدينية في جميع الأماكن، كما قامت بصياغة مجموعة من الأنظمة الدراسية والمالية والإدارية وغيرها لأماكن الفعاليات الدينية وتوضيح مسؤولياتها.

(5) تعزيز إدارة الكوادر الدينية بموجب القوانين. فقد قامت الجهات الدينية المختصة بجميع المناطق في السنوات الأخيرة بتعزيز التدريب السياسي والفكري لجميع الكوادر الدينية بمختلف الطرق، إلى جانب خلق ظروف ملائمة من أجل الإدارة بموجب القانون.

(6) تعزيز إدارة الفعاليات الدينية بموجب القوانين. فقد قامت جميع اللجان الحزبية والحكومة الشعبية بمنطقة شينجيانغ الويغورية ذاتية الحكم بتعزيز إدارة الفعاليات الدينية، وتصدت بكل فعالية للفعاليات الدينية غير الشرعية، كما حظرت استغلال الدين للقيام بأنشطة مخالفة للقانون.

التمسك بمبدأ الاستقلالية والاعتماد على النفس

يعد التمسك بإقامة وإدارة الأماكن الدينية واحدًا من المبادئ التي تلتزم بها جميع الأديان في الصين بعد تأسيس الصين الحديثة. وهذا يعني أن الكوادر الدينية وأتباع الديانات هم الشخصيات المنوطة بإدارة الشؤون الدينية في الصين، ومن ثم تقوم المنظمات الدينية الصينية لإدارتها. وبالرغم من ذلك، فإن التمسك بمبدأ استقلالية إدارة الشؤون الدينية لا يعني الانغلاق الذاتي، بل يشجع الجماعات الدينية الوطنية على القيام بالتبادلات الودية مع المنظمات الدينية والكوادر الدينية بمختلف البلاد على أساس المساواة والصداقة الودية، وبذلك تسير التبادلات الدبلوماسية بشكل طبيعي وصحيح.

ومن أكبر النقاط التي تركز عليها الأعمال الدينية في شينجيانغ هي مقاومة ومكافحة قوى التطرف الديني القادمة من الخارج، ومن بينها استغلال القوى المعادية الخارجية لاثنين من الأديان ومن ثم التسلل داخل البلاد. وقد وجهت شينجيانغ مجموعة من الضربات الاحترازية تجاه زعماء وكوادر قوى التطرف الديني الخارجي، واتخذت بعض الإجراءات التربوية المساعدة للجماهير التي تعرضت لفيروس التطرف الديني، ومن ثم ضمنت سلاسة وانتظام الفعاليات الدينية بشينجيانغ.

العمل بإيجابية من أجل تكييف الأديان مع المجتمع الاشتراكي

لا تعني المطالبة بالتكيف والمواءمة بين الأديان والاشتراكية مطالبة الأوساط الدينية ورجال الدين بالتخلي عن أديانهم وطرحها جانبًا، وإنما مطالبتهم بحب الوطن ودعم الاشتراكية وتأييد قيادة الحزب

الشيوعي الصيني والعمل بالقوانين واللوائح والسياسات الوطنية. كما تطالبهم بعدم جعل الفعاليات الدينية التي يمارسونها لخدمة المصالح العليا للوطن فحسب، بل لخدمة المصالح الكاملة للأمة الصينية أيضًا. كما تطالبهم أيضًا بدعم جهودهم في تفسير عقائدهم الدينية لتتوافق مع متطلبات التنمية الاجتماعية، ودعم جهودهم في مكافحة جميع الفعاليات غير الشرعية التي تقوم على استغلال الدين من أجل الإضرار بالقومية الاشتراكية ومصالح الشعب. كما تحثهم على بذل المزيد من الإسهامات والإنجازات في مجالات التضامن القومي والتنمية الاجتماعية والتوحد الوطني وغيرها، ومن ثم يمكن تلخيصها إلى مطلبين ودعمين. وعلى هذا الأساس، بدأت شينجيانغ في تنفيذ سلسلة من الأعمال الإرشادية الفعالة، وهي على النحو التالي:

(1) توسيع نطاق فعاليات تقدير واختيار "الكوادر الدينية الخمسة الممتازة" و"أماكن الفعاليات الدينية الخمسة الممتازة". ومنذ توسيع نطاق فعاليات تقدير الثنائيات الخمسة الممتازة والتي بدأت في عام 1993م، فقد تم تشكيل أنظمة تقدير واختيار تلك المنافسات، وأصبحت تقام مرة كل عام على مستوى المحافظة، بينما تقام مرة واحدة كل ثلاثة أعوام بالمناطق، أما على مستوى مناطق الحكم الذاتي فكانت تقام مرة كل أربع سنوات، وهكذا تم حشد الوعي الاشتراكي للكوادر الدينية فكريًا وسلوكيًا ليتناسب مع المجتمع الاشتراكي وكذا تعبئة حماستهم لخدمة النظام الاشتراكي.

(2) تصحيح أعمال تفسير القواعد الإسلامية. فقد بدأت اللجان الحزبية المختلفة والحكومة الشعبية في شينجيانغ والجمعية الإسلامية بتنظيم محاضرات لتفسير القرآن الكريم وإلقاء الخطب الدينية والدورات التدريبية منذ عام 1998م، فضلاً عن عقد المسابقات والمنافسات في مجال تفسير القرآن والخطابة في جميع المناطق، ودعم وتشجيع الكوادر الدينية لتفسير القواعد الدينية وأحكام الشريعة لتناسب التطور العصري والتقدم المجتمعي، بالإضافة إلى استغلال العوامل الإيجابية لقواعد وأخلاق وثقافة الدين الإسلامي من أجل خدمة بناء التحديث الاجتماعي والعمل على دحض المغالطات التي تقوم بنشرها عناصر التطرف الديني بصورة فعالة، مما يمكن الجماهير الإسلامية من التعرف على الجوهر الرجعي الذي يسير على نهجه التطرف الديني من أجل تشويه الإسلام وشق الوحدة القومية والاصطفاف الوطني.

(3) زيادة التربية الوطنية وتعزيز البناء الفكري لدى الأوساط الدينية. ويتم هذا من خلال تأسيس نظام دراسة دوري للكوادر الدينية، والمثابرة في نشر التعاليم الوطنية والاشتراكية من خلال إقامة دورات تدريبية للقوانين والسياسات المختلفة و"الحب الثلاثي والاحترام الواحد[1]" و"الحب الثلاثي" وغيرها من

[1] حب الوطن وحب الاشتراكية وحب التعليم، واحترام القانون، ويتم اختصارها إلى الحب الثلاثي والاحترام الواحد.

المفاهيم.

(4) توجيه الأوساط الدينية لتتمتع بتفوق ذاتي من أجل خدمة البناء الاشتراكي. وتعمل اللجان الحزبية بمختلف مستوياتها والحكومة الشعبية على تعبئة الكوادر الدينية والأوساط الدينية من أجل المشاركة في بناء الاقتصاد الاشتراكي وذلك من خلال إرشاد وتدريب الأوساط الدينية. كما يتعين بناء كيانات اقتصادية متنوعة وتخفيف الأحمال الاقتصادية للأوساط الدينية من خلال رفع القدرات المعبدية [1] للأوساط الدينية، والاهتمام بتدريس العلوم والتكنولوجيا والثقافة وبذل الجهود لرفع مستوى المعيشة، وممارسة الأعمال الخيرية ومساعدة الفقراء ودعم دراستهم وتمهيد الطرق والجسور ودعم المناطق المنكوبة، بالإضافة إلى تحرير أفكار الكوادر الدينية وتحديث المفاهيم لديهم، وهكذا يمكنهم من بذل مزيد من الجهود في الدعوة إلى تغيير العادات والتقاليد السائدة وتسهيل عمليات الزواج والجنائز وغيرها في القرى والأقاليم. وقد حظيت كل تلك الأفكار بتقدير جميل وثناء عظيم من جميع فئات المجتمع. علاوة على ذلك، فإنه يتعين عليهم الاهتمام بالتخلص من الفقر والسعي وراء تحقيق الثروة والمال والمشاركة بكل نشاط في البناء الاقتصادي، إلى جانب تقديم المساهمات الجليلة في بناء الحضارة المادية والحضارة الروحية والحضارة السياسية والحضارة الإيكولوجية في شينجيانغ.

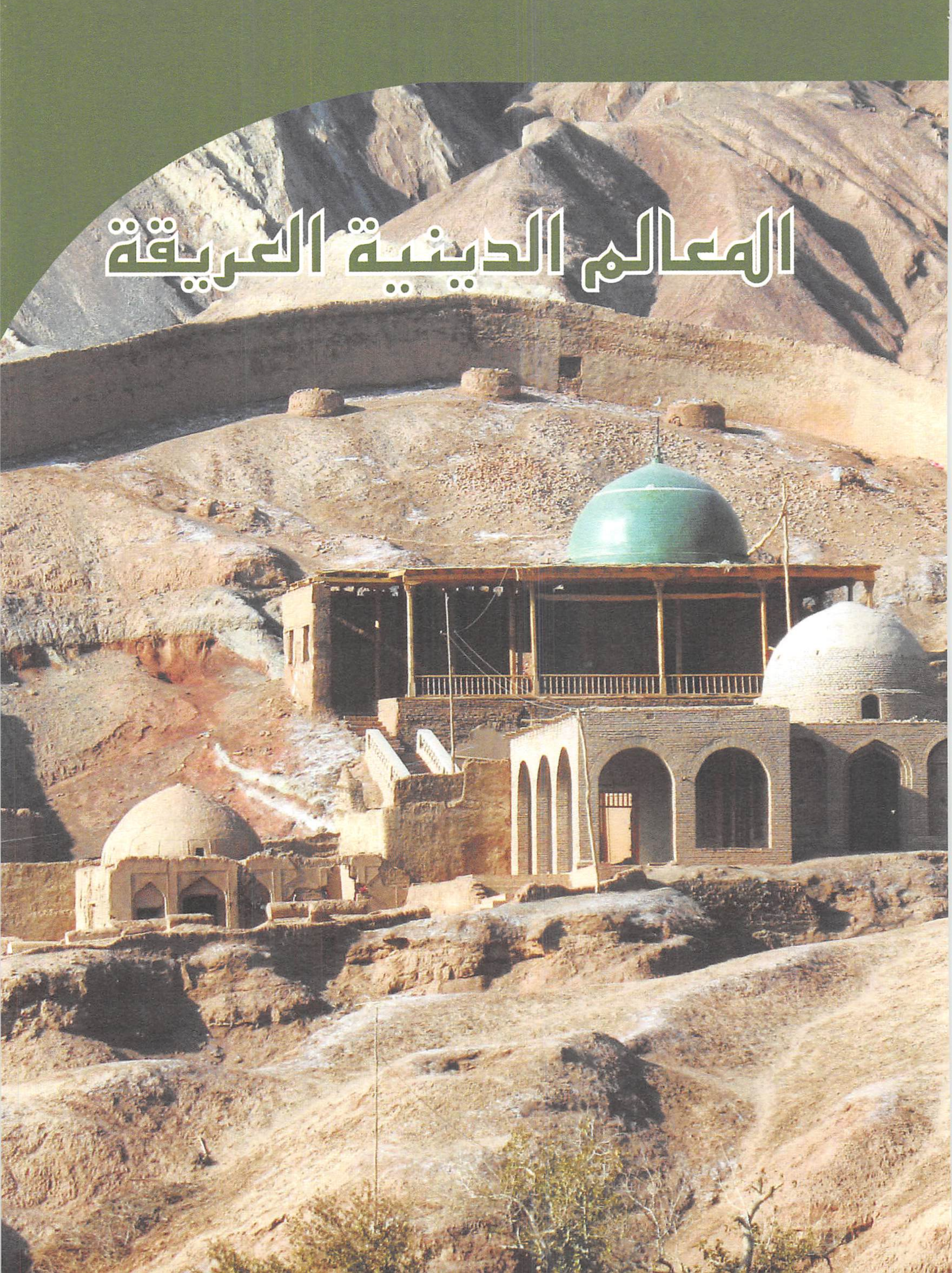
وخلاصة القول، فبعد تأسيس الصين الحديثة، ومع تعزيز عملية تطبيق سياسة حرية الاعتقاد الديني الحزبي بصورة شاملة وصحيحة، تم تفعيل إدارة الشؤون الدينية بموجب القانون، والتصدي بكل قوة لعمليات استغلال الدين من أجل التغلغل في الأعماق السياسية، وتوجيه الأديان لتتلاءم بكل سلاسة مع المجتمع الاشتراكي، وهكذا تطورت حالة الأعمال الدينية في شينجيانغ من حسن إلى أحسن.

---

[1] تشير إلى الطريق الصحيح لتعليم الرهبان والراهبات الاعتماد على الذات.

أديان
شينجيانغ

المعالم الدينية العريقة



لقد تغلغلت الأديان بعمق في تلك البيئة الشاسعة والجميلة باعتبارها نوعًا من الثقافة خلال ذلك التاريخ الطويل الذي امتد لآلاف السنوات، كما جسدت الإبداع البشري في بناء مجموعة من المنشآت الدينية والمعالم الأثرية، وما زالت تعرض إلى الآن الطلعة الأبية والمشية الرائعة والملامح السحرية، وقد أصابت الجماهير بالسحر والحنين، ومن ثم استطاعت أن تترك آثارًا عميقة في قلوبهم. وتعد هذه المنشآت والمعالم الدينية المتنوعة لمختلف الأديان تراثًا ثقافيًا قيمًا، فضلاً عن أن أنماطها المختلفة وألوانها المتنوعة والتي تشبه اللؤلؤة اللامعة على طريق الحرير وواحة صحراء جوبي أظهرت نور حضارة المناطق الغربية الصينية.

لقد أولت الحكومة الشعبية الصينية بمختلف مستوياتها، بعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية، اهتمامًا كبيرًا بحماية التراث الثقافي الديني، ومن ثم تم تحديد كثير من المنشآت الدينية والآثار الدينية من قبل وحدات حماية الآثار الثقافية على مستوى الدولة والمقاطعات والمحافظات والمناطق، وقد حظيت تلك المعالم والمنشآت الدينية بحماية كبيرة ورعاية خاصة، مما ساهم في تمتع تلك الآثار الثقافية الدينية في شينجيانغ بنهضة كبيرة. وقد تم إدراج حوالي مائة وثلاثة عشر معلمًا أثريًا في منطقة شينجيانغ بقائمة وحدات حماية الآثار الثقافية الوطنية الرئيسة. وتحتل المباني والمعالم الدينية نسبة كبيرة في قائمة وحدات حماية الآثار الثقافية الوطنية الرئيسة في شينجيانغ.

علاوة على ذلك، فإن الحكومة الشعبية لمنطقة شينجيانغ الويغورية ذاتية الحكم تهتم بحماية الآثار التراثية اهتمامًا بالغًا. ومن أجل تعزيز إدارة وحماية آثار شينجيانغ، فقد تم إنشاء هيئات حماية الآثار في جميع المناطق. وفي السنوات الأخيرة، تم ترميم وإعادة بناء المعالم الأثرية التابعة لوحدات حماية الآثار، بل وحظيت بحماية لم تنلها في أي وقت مضى على مر التاريخ.

وقد تم تقسيم المباني والمعالم الدينية في شينجيانغ إلى نوعين من حيث الدين، الأولى: الكهوف وأطلال المعابد البوذية، الثانية: المساجد والمزارات الإسلامية.

الكهوف والمعابد البوذية التي تتمتع بشهرة عالمية

أطلال المعابد البوذية

تعد البوذية الديانة التي تمتعت بتاريخ طويل من الانتشار في شينجيانغ، وفي فترة ازدهارها انتشرت الديانة البوذية في جميع أرجاء البلاد، حيث تسربت في شتى أنحاء منطقة تيانشان، وقد تمتعت كثير من المعابد البوذية بكبر حجمها وروعة حليها. ووفقًا لكتاب "السيرة البوذية" لفاشيان، فقد بلغ

عدد رهبان معبد تشومودي بخهتيان الذي عاش فيه حوالي ثلاثة آلاف راهب. أما معبد وانغشين فقد تميز بحجمه الكبير، وقد تم بناؤه خلال ثمانين عامًا من قبل ثلاثة أجيال من مملكة خهتيان. وفي ذلك الوقت تمتعت منطقة خهتيان ببضعة معابد ضخمة مثل ذلك المعبد، ولكن للأسف تعرضت تلك المعابد البوذية للانهيار والهدم في فترة الحروب الدينية بين الإسلام والبوذية. أما عن أشهر أطلال تلك المعابد البوذية فنجد أطلال معبد سوبهاش في كوتشا ومعبد بايتينغشي بجيموسار.

أكبر أطلال المعابد في شينجيانغ — أطلال معبد سوبهاش

تعني كلمة سوبهاش في اللغة الويغورية "ذروة الطوفان" أو "فم التنين". ويطلق على معبد سوبهاش البوذي اسم معبد تشاوهو لي، وهو يقع على ضفتي نهر تونغ تشانغ علي بعد عشرين كيلو مترًا من شمال شرق محافظة كوتشا، وهو عبارة عن أطلال معبد بوذي يرجع تاريخه إلى فترة الأسر الشمالية والجنوبية وحتى أسرة تانغ (من القرن الرابع وحتى العاشر الميلادي).

وقد تأسس المعبد في فترة أسرة وي وأسرة جين، وكان الراهب البوذي كومارا جيفا والذي يعد واحدًا من أكبر مترجمي البوذية في الصين القديمة هو الذي يقوم بتفسير القواعد الدينية البوذية في ذلك المعبد. وقد سطع نجم هذا المعبد وذاع صيته في عهد أسرة سوي وأسرة تانغ، وقد مكث شيان تسانغ في هذا المعبد شهرين، حتى إنه سجل هذه الفترة في كتابه "سجلات تانغ العظمى عن المناطق الغربية"، وكان الناس يطلقون عليه آنذاك اسم "تشاوهولي"، حيث يتميز المعبد بضخامة حجمه، فضلاً عن أنه كان عامرًا بالمصلين والزوار. وبعد انتقال حامية آنشيدو إلى العاصمة كوتشا في عام 856م، تجمع رهبان البر الرئيسي في ذلك المعبد وازدهرت الأعمال البوذية فيه ولم تنقطع أصوات أجراس المعبد يومًا من الصباح الباكر، كما أن لافتاته لم تتوقف يومًا عن الخفقان. ولكن بعد القرن التاسع شهد المعبد انحطاطًا تدريجيًا إلى أن تم هجره تمامًا في الفترة ما بين القرن الثالث عشر وحتى القرن الرابع عشر.

وتعتبر أطلال معبد سوبهاش أكبر أطلال للمعابد البوذية في شينجيانغ حتى الآن، وما زالت معظم جدرانه موجودة إلى اليوم. وتنقسم الأطلال إلى شرقية وغربية، وتبلغ مساحته الإجمالية حوالي مائة وثمانين ألف متر مربع. ويحتوي المعبد الشرقي على قصر بوذي وبرج بوذي وتمثال بوذي، أما المعبد الغربي فيتمتع بضخامة حجمه. وما زال البرج الترابي المربع الشكل يحتفظ بهيئته على نحو جيد، وفي الجزء الشمالي من المعبد تجد سبع عشرة صومعة من صوامع الرهبان، وتتمتع تلك الصوامع ببناء ساحر، أما داخل الصوامع فهناك مجموعة من الرسوم الجدارية وكلمات قديمة منقوشة تنتمي إلى لغة كوتشا.

كما تعد الأطلال مركزًا لمجموعة المباني البرجية البوذية بالمعبد، وقد تم العثور على معابد وصوامع الرهبان وكهوف وأبراج بوذية وقاعات وغيرها من الآثار. كما عثر أيضًا على أدوات نحاسية وحديدية



أطلال معبد سوبهاش، هو مركز الثقافة البوذية لكوتشا في الزمن القديم، والشاهد التاريخي عليها ، لذا يلعب دورا كبيرا في دراسة تاريخ المناطق الغربية ودينها وثقافتها وفنها وحلقة الوصل بين التاريخ الشرقي الغربي وتاريخ حضارة آسيا الوسطى.

وسيراميكية وخشبية ورسوم جدارية وتماثيل بوذية من الصلصال وغيرها. كما تم اكتشاف شرائح خشبية منقوشة وأوراق باقية مكتوب عليها باللغة التخارية القديمة.

وقد كان لاكتشاف أطلال معبد سوبهاش الفضل في تزويد الفنون والثقافة البوذية التي تم دراستها في منطقة كوتشا آنذاك بالوثائق الحقيقية. ومنذ عام 2005م، أدرجت أطلال المعبد البوذي سوبهاش في قائمة حماية أطلال شينجيانغ على طريق الحرير من قبل الإدارة الوطنية الصينية للسياحة. وفي عام 2008م، بدأت أعمال أطلال معبد سوبهاش بمنطقة كوتشا الدخول في حيز التنفيذ، وهكذا يكون تم إرساء أسس مواصلة حماية الآثار التراثية وتطوير الموارد السياحية.

أطلال المعبد البوذي الوحيد المتبقي في شمال جبال تيان شان — أطلال معبد بايتينغشيشي

يعد معبد بايتينغشي الشهير واحدًا من الآثار التراثية الهامة على المستوى الوطني، حيث يعتبر واحدًا من المباني التابعة لمدينة بايتينغ القديمة (بلدية جيمسار بولاية تشانغجي ذاتية الحكم لقومية هوي). وقد تم تسميته بهذا الاسم بسبب وقوعه في غرب المدينة القديمة، وهو عبارة عن أطلال معبد بوذي في عهد أسرة تانغ وسونغ وأسرة يوان. ونظرًا لوجود مجموعة من التماثيل على الرسوم الجدارية

لأطلال المعبد تتمثل في "ييدوهو (ملك قاوتشانغ)" و"تشانغ شي" و"الأميرات" وغيرهم، لذا فقد أصبح هو المعبد الملكي ليوغور قاوتشانغ، كما أطلق عليه اسم معبد يوغور قاوتشانغ البوذي.

وعند الحديث عن معبد بايتينغشي، لا يمكن أن نغفل الحديث عن مدينة بايتينغ القديمة. ففي عهد أسرة هان الشرقية، تمركز أحد قادة المناطق الغربية، ويدعى وي قينغ قونغ، بجيشه في محافظة تشيتاي، وذلك من أجل مقاومة هجمات الشيونغنو وضمان سلامة طريق الحرير. ووفقًا للسجلات والبحوث، فإن مدينة شولا التي اشتبك فيها قنغ قونغ مع جيش شوينغنو هي مدينة بايتينغ القديمة حاليًا. ومنذ تأسيس مدينة بايتينغ القديمة في عهد أسرة تانغ، فقد أصبحت مركزًا عسكريًا وسياسيًا وثقافيًا في منطقة شمال شينجيانغ. وقد عاش الشاعر الكبير تسن شن فترة من الزمن في منطقة تينغتشو، ونظم كثيرًا من الأشعار في وصف تينغتشو. وبعد انتقال الويغور إلى الغرب، أطلق على بايتينغ اسم بياشي بالي، ومن ثم أصبحت قاعدة هامة ومصيفًا ليوغور قاوتشان. وقد بنى الويغور معبدًا بوذيًا كبيرًا في منطقة تشينغ سي، وأطلقوا على هذا المعبد اسم معبد "شي دا". وبحلول الصيف من كل عام، فإن الأسرة الملكية الويغورية بقاوتشانغ تأتي على ظهور خيولها عابرين الأنهار إلى مدينة بايتينغ لقضاء الصيف. وفي عهد أسرة يوان، تم إنشاء "مؤسسة شويان وين العسكرية [1]" و"مقر إقامة القائد" وغيرها من المؤسسات في منطقة بايتينغ، وذلك من أجل السيطرة على المناطق الشمالية بجبال تيانشان. وظلت مدينة بايتينغ إحدى المدن الهامة في شمال شينجيانغ إلى أن تعرضت للهجر في بداية عهد أسرة مينغ، كما تعد من أكبر الأطلال المتواجدة حاليًا في شمال شينجيانغ.

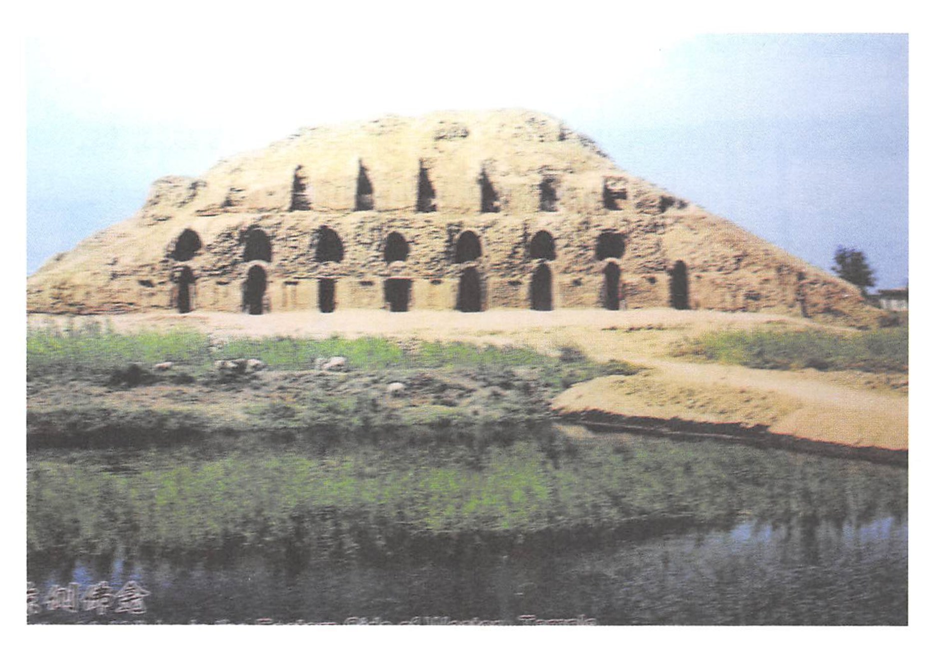
ووفقًا للسجلات التاريخية، فقد كان أول الأشخاص اكتشافًا لمدينة بايتينغ القديمة السيد جي شياو لان في عهد أسرة تشينغ، وكان قد تم تخفيض رتبة السيد جي شياو لان آنذاك لحماية ديهوا بمنطقة شينجيانغ (أورومتشي حاليًا)، حيث كان جي شياو لان المحب للترحال يبحث في عام1771م عن إحدى البقاع ليرابط فيها الجيش، وحينما تجول في بياشي بالي (محافظة جيمسار حاليًا)، اكتشف هذه المدينة التاريخية المجهولة.

ويقع معبد بايتينغشي على بعد واحد كيلو متر تقريبًا من غرب أطلال مقر الحامية العسكرية بمدينة بايتينغ، ويطل من ناحية الغرب على سد النهر الغربي، ومن ناحية الشرق نجد حوضًا مائيًا. ويأخذ سطح بقايا المعبد البوذي شكلاً مستطيلاً، حيث يبلغ طوله حوالي 70.5 مترًا وعرضه حوالي 43.8 مترًا، وقد تم بناء جسم المعبد الذي يقع فوق سطح الأرض من الطوب اللبن، أما الجزء الموجود تحت سطح

[1] إحدى مؤسسات الرقابة العسكرية المحلية، وهي مسؤولة في الغالب عن الشؤون العسكرية.

الأرض فقد أنشئ على هيئة قواعد من التراب المدكوك، وينقسم المبنى كاملاً إلى جزأين أحدهما شمالي والآخر جنوبي، وفي الجزء الجنوبي نجد فناءً وقصرًا وحجرة للرهبان ومخزنًا وغيرها من المنشآت التي يصل ارتفاعها إلى حوالي 20 حتى 40 مترًا، أما الجزء الشمالي فنجد قصرًا رئيسًا تحيط بجوانبه الأربعة مجموعة من الكهوف، وتربط هذه الكهوف بين الجزأين الجنوبي والشمالي. ولا تزال بقايا من تلك الكهوف موجودة حاليًا في الجزء الشرقي من المعبد، وعلى جدران تلك الكهوف نجد رسومًا جدارية يرجع تاريخها إلى فترة يوغور قاوتشانغ.

وفي الوقت الحالي نجد العديد من تماثيل الصلصال داخل تلك الكهوف، مثل تماثيل بوذا وبوديساتفا وروهان وتماثيل ملكية وغيرها من التماثيل، وتتناول الرسوم الجدارية القصص المتعلقة بالتيرا البوذية وبوديساتفا ودارما وغيرها من القصص المقنعة، فضلاً عن نصوص باللغة الويغورية واللغة الصينية. وخلاصة القول، فإن معبد بايتينغشي يتمتع بخصائص فريدة من ناحية الموضوع والتشكيل والشكل الشخصي، كما يعد تحفة فنية رائعة في مستودع كنوز الثقافة البوذية الصينية، وهو اللؤلؤة الفريدة التي ظهرت على شمال طريق الحرير. وقد كان لمعبد بايتينغشي فضل كبير على دراسات الأديان والثقافة والفنون واللغات والفنون المعمارية الويغورية القديمة والأبحاث المتعلقة بعمليات التبادل



معبد بيتينغ الغربي

الثقافي بين الصين والغرب، حيث أمدها بالمعلومات والبيانات المادية القيمة، ولهذا فإن معبد بايتينغشي يتمتع بقيمة تاريخية عظيمة.

الكهوف البوذية

تعد معابد الكهوف أحد أشهر أنواع المعابد البوذية، والتي تسمى "كهوف تيرا". ونظرًا لأن معظم معابد الكهوف قد شقت على ضفاف الأنهار وسفوح الجبال بعيدًا عن الريف والمدن، لذا فبالرغم من تعرضها لأضرار الرياح والأمطار وتخريب البشر، إلا أن الكثير منها ما زال باقيًا إلى الآن. وتعد منطقة شينجيانغ من المناطق الصينية التي شقت فيها أول وأكثر المعابد الكهفية، ومن بينها منطقتا كوتشا وقاوتشانغ اللتان توجد فيهما المعابد الكهفية بكثافة. وفي منطقة كوتشا نجد كهوف كيتسر وكوموتولا، أما في منطقة قاوتشانغ فنجد بايتسكيليك وتويوك، بالإضافة إلى مجموعة من أطلال الكهوف في منطقة كاشغر وخهتيان وأكسو وغيرها من المناطق.

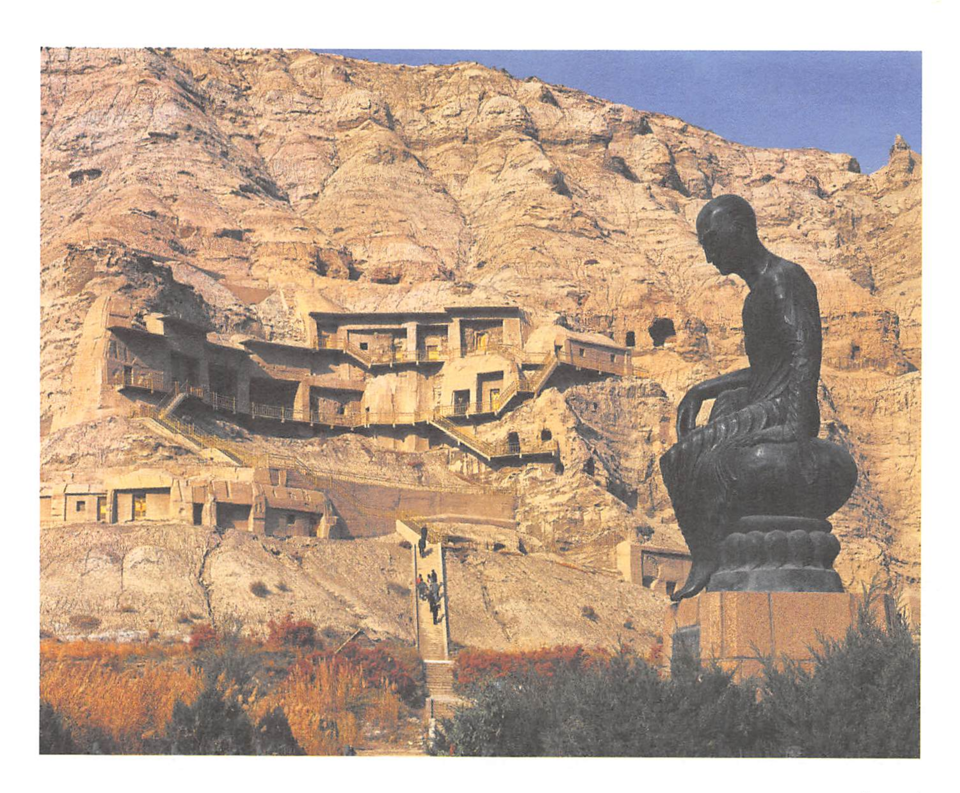
وتشتهر كهوف شينجيانغ بالفنون المعمارية والرسوم الجدارية الفريدة. وتنقسم الكهوف من ناحية الشكل المعماري إلى كهوف الأعمدة المركزية وكهوف التماثيل الضخمة والكهوف المربعة. ويتركز مضمون الرسوم الجدارية بشكل أساسي على قصص جاتاكا الخاصة بالأفكار البوذية وقصص الزواج والأساطير البوذية وغيرها من القصص البوذية، إضافة إلى المحتويات التي تعكس الحياة الاجتماعية الحقيقية. وقد اندمج فن الكهوف بشينجيانغ مع فن الرسوم والنحت الهندي والصيني واليوناني والفارسي وغيرها من الأساليب المنتشرة آنذاك، وفي الوقت ذاته اتسمت بمجموعة من السمات الإقليمية والقومية البارزة. ولا تعد معابد الكهوف بشينجيانغ موردًا ثقافيًا قيمًا فحسب، بل تعد أيضًا موردًا سياحيًا غزيزًا. وقد استطاعت معابد الكهوف في شينجيانغ جذب آلاف المهتمين بالشؤون الدينية والمستكشفين والزوار من داخل الصين وخارجها بفضل مضمونها الثقافي الغزير وألوانها الدينية الساحرة.

أول المعابد الكهفية في الصين — كهوف كيتسر

تعد كلمة كيتسر كلمة ويغورية الأصل، وهي تعني "اللون الأحمر". وتعتبر كهوف كيتسر والتي أطلق عليها أيضًا معابد هيسير أو معابد كيتسر تشيان من أولى المعابد الكهفية التي تم شقها في الصين وأكبرها المتبقية إلى اليوم في منطقة شينجيانغ، بل وأفضلها وضعًا، كما تعد أيضًا أحد المعابد الكهفية الأربعة الكبرى في الصين. وتقع كهوف كيتسر فوق الشق الجبلي الشرقي لنهر موتشاتي في الطرف الجنوبي لحوض بايتانغ وعند السفح الشمالي لسلسلة جبال تشيوير، والتي تمتد لأكثر من ثلاثة كيلو مترًا، كما تعد كهوف كيتسر واحدة من الآثار التراثية الهامة على المستوى الوطني. وفي بداية القرن التاسع عشر،

ذكر العالم شو سونغ لأسرة تشينغ في كتابه "سجل قنوات المياه في المناطق الغربية" لأول مرة هذا المعبد الكهفي. وفي عامي 1906م و1913م، قام اثنان من الألمان أحدهما يدعى غرين ديل والآخر لو كوك بمسح الخرائط الخاصة بالمنطقة وتصويرها لمدة طويلة، ثم قاما بسرقة الكثير من الرسوم الجدارية الرائعة والتماثيل الجميلة.

وتنتشر الكهوف المتواجدة حاليًا في أربع مناطق متفرقة هي غرب الوادي وداخل الوادي وشرق الوادي وخلف الجبال، وقد تم ترقيم الكهوف لتصل إلى حوالي مائتين وستة ثلاثين كهفًا. وفي ربيع عام 1990م، تم اكتشاف حوالي ثلاثة وعشرين كهفًا جديدًا. وقد مرت تلك الكهوف بثلاث مراحل مختلفة مبكرة ومتوسطة وأخيرة وفقًا للأشكال المعمارية وموضوعات الرسوم الجدارية والأساليب الفنية وغيرها من الجوانب. فأما كهوف المرحلة المبكرة، فربما تم بناؤها في أواخر القرن الثالث وحتى منتصف القرن الرابع، ثم تعرضت للانحطاط والزوال بعد القرن الثامن، ثم تعرضت للهدم والاندثار تمامًا بعد دخول الإسلام للمنطقة في القرن الرابع عشر الميلادي. وقد ظلت تلك الكهوف قائمة صامدة لفترة طويلة من



كهوف كيزيل

الزمن ليس لها مثيل في شتى أنحاء العالم.

وتعد كوتشا محور مواصلات طريق الحرير القديم، كما كانت مركزًا اقتصاديًا وسياسيًا وثقافيًا في المناطق الغربية. وتنتمي محافظة بايتشنغ للحدود الداخلية لكوتشا، وقد اهتم ملوك كوتشا بتلك المنطقة اهتمامًا بالغًا. وفي القرن السابع الميلادي، بلغت البوذية في مملكة كوتشا قمة ازدهارها لدرجة أن القصور الملكية فيها قد زينت كالمعابد البوذية. ولم يتوقف ملوك كوتشا عن إنشاء مجموعة كهوف كيتسر. وتعد كهوف كيتسر واحدة من الآثار التي يمكن القول بأنها مهد فنون الكهوف في كوتشا، حيث تحتل الفنون المعمارية للكهوف والتماثيل وفنون الرسوم الجدارية مكانة هامة في الفنون البوذية بآسيا الوسطى والشرق الأوسط.

وبالرغم من تعرض مباني كهوف كيتسر ورسومها الجدارية لأضرار جسيمة، إلا أن هناك أكثر من حوالي ثمانين كهفًا وحوالي عشرة آلاف متر مربع من الرسوم الجدارية متبقية إلى الآن. وتتمتع بوذية كوتشا والتي اتخذت من كهوف المرحلة المتوسطة ممثلاً عنها بخصاصها وروعتها الفريدة، وكان من أعظم سماتها اعتمادها على الأعمدة المركزية في أساليبها المعمارية، بينما عرف عن رسومها الجدارية اعتمادها على شكل المعين. ويتمتع فنانو بوذية كوتشا بخصائصهم الذاتية المتميزة والنضج الفني لدرجة أن تأثيرهم قد بلغ مداه ووصل إلى كهوف موقاو في دونهوانغ، ولذا فقد سميت بنمط كوتشا. وتعد تلك الفترة هي عصر كوتشا الذهبي، وبعدها بدأت بوذية كوتشا تشهد انحطاطًا وتراجعًا. وتعد رسوم قصص جاتاكا التي تعكس الكتب البوذية خلاصة كهوف كيتسر، حتى اشتهرت في العالم بالتفرد والروعة. وهذا ليس بسبب مستواها الفني المرتفع وما تتمتع به من طابع متميز فحسب، بل بسبب أيضًا كثرة عددها، حيث من النادر أن نجد مثل هذا في شتى أنحاء العالم. ولذا فلا عجب عندما نجد أحد الخبراء يتنهد حسرة على ذلك الكنز الفني الذي يأتي في الترتيب الثاني بعد كهوف موقاو في دونهوانغ على مستوى العالم، حتى إنها سميت باسم "دونهوانغ الثانية في الصين". وبالنظر إلى أسلوب الرسم، يتبين لنا أن الرسوم الجدارية لكهوف كيتسر قد ارتشفت الكثير من العناصر الفنية للعديد من الثقافات، كالثقافات الإغريقية والرومانية والفارسية والهندية والسهول الوسطى وغيرها، وهي بيانات تصويرية قيمة للباحثين في مجال دراسة التبادلات الثقافة الصينية والغربية.

كما تعتبر كهوف كوتشا موسوعة كبيرة انضوت تحت ثقافة كوتشا القديمة، ومن بين كهوف كوتشا نجد كهوف كيتسر كإكليل من الزهور الجميلة العطرة. وقد عكست الأشكال الخاصة التي تمتعت بها تلك الكهوف وموضوعات الرسوم الجدارية والأنماط الفنية أحوال بوذية كوتشا، وقد مثلت تلك الكهوف المستوى الفني لثقافة كوتشا، وهكذا أصبحت كوتشا الموقع الاستراتيجي الذي يجذب الزائرين

والباحثين في مجال الفنون الثقافية البوذية.

ويقع كهف كيتسر على مقربة من منبسط جبلي ساكن، بالإضافة إلى معلم شهير يحمل اسم "ينبوع الألف دمعة". وهنا نسرد قصة عشق حقيقية تتعلق بكهف كيتسر: ففي قديم الزمان، كان لملك كوتشا ابنة وحيدة، وكانت هذه الأميرة شابة جميلة ذكية وطيبة قلب، وكان الملك يحرص عليها ويهتم بها وكأنها لؤلؤة مكنونة. وفي يوم من أيام الصيف، صعدت الأميرة الجبل من أجل الصيد، وهناك قابلت شابًا وسيمًا شجاعًا، ووقعا في حب بعضهما من أول نظرة. وتقدم الشاب إلى الملك من أجل خطبة ابنته، وعرض الملك على ذلك الشاب شروطًا تعجيزية من أجل تصعيب الأمور عليه، حيث طلب منه الملك شق آلف كهف في غضون ثلاث سنوات. وعاد الشاب إلى بلدته، وبدأ في أعمال الحفر، حيث لم يتوقف عن شق الكهوف في الجبال ليلاً ونهارًا. وعندما انتهى الشاب من شق تسعمائة وتسعة وتسعين كهفًا ولم يبق سوى كهف واحد، ومن سوء حظه فقد أصابه التعب وخر صريعًا. وعندما سمعت الأميرة بهذا الخبر، هرعت على الفور إلى مكان جثة الشاب، واحتضنت جثته ودخلت في نوبة من البكاء الشديد، وأخيرًا تحولت إلى صخرة تقطر ماءً. وهذا هو معلم "ينبوع الماء" الذي يقع في جبل كيتسر، والذي يطلق عليه أيضًا "ينبوع الألف دمعة". وبالرغم من مرور سنوات طويلة، إلا أن هذا الينبوع لم ينضب أو يجف، وقد أضفي ذلك الينبوع الحيوية والنشاط على صحراء جوبي الشاسعة، كما روى العديد من الوديان الخصبة، ومن ثم اكتست الكهوف القريبة بسحر الربيع.

وفي عام1961م، أدرجت كهوف كيتسر في قائمة الدفعة الأولى من الآثار التراثية الهامة على المستوى الوطني، وقد تم استثمار أموال طائلة من أجل عمليات ترميم وحماية تلك الكهوف. وفي السنوات الأخيرة، قدمت بعض البلدان الأجنبية الصديقة بعض المنح والتبرعات من أجل تعزيز عمليات ترميم وحماية الكهوف. وهكذا ظهرت كهوف كيتسر بملامح حديثة من أجل استقبال العديد من العلماء والزائرين من داخل الصين وخارجها.

الكنز الفني للثقافة البوذية الويغورية — كهوف بايتسكيليك

تعد كلمة بايتسكيليك كلمة ويغورية الأصل، وتعني "المكان المزين الجميل". وقد كان "معبد تشونغ فو" هو الاسم الأصلي لكهوف بايتسكيليك، حيث تأسس في عام 555م، وهو أحد معابد أسرة تشو، كما أنه واحد من المباني الدينية التذكارية التي اعتمدت عليها أسرة تشو من أجل توطيد علاقات الصداقة بين قاوتشانغ وقومية الترك وتحقيق آمال "الاستقرار والسلام الدائمين". ونظرًا لوقوعه في وادي نينغ رونغ، لذا فقد سمي أيضًا باسم "معبد كهف نينغ رونغ" وغيرها. وقد أعجب شيان تسانغ بالظروف والأحوال البوذية في تلك المنطقة عندما مر بها أثناء سفره إلى الغرب.

وتقع كهوف بايتسكيليك أسفل جبل النار الذي يبعد حوالي خمسين كيلو مترًا تقريبًا عن شمال شرق مدينة توربان، كما تقع على جرف شاهق بالضفة الغربية لوادي موتوو. وقد بلغ عدد الكهوف في تلك المنطقة حوالي ثلاثة وثمانين كهفًا لم يبق منها الآن سوى خمسة وسبعين كهفًا. ويبلغ عدد رسومها الجدارية أكثر من أربعين رسمة، تصل مساحتها إلى حوالي ألف ومائتين متر مربع، ومن بين جميع الكهوف المتبقية في توربان، تعد تلك الكهوف أكثرها عددًا وأغزرها مضمونًا من حيث الرسوم الجدارية، وتنتشر بطول كيلو متر داخل الضفة الغربية للوادي، وهي واحدة من أطلال معابد الكهوف البوذية الضخمة في منطقة شينجيانغ. وفي الوقت ذاته، تعد موطن أطلال معابد الديانة المانوية المشهورة. وفي عام 1982م أدرجت في قائمة الآثار التراثية الوطنية الهامة.

وقد بدأ حفر كهوف بايتسكيليك في أواخر عهد السلالات الشمالية والجنوبية، وخلال تاريخ طويل امتد لأكثر من سبعة قرون بداية من أسرة تانغ مرورًا بالممالك الخمس وأسرة سونغ نهاية بأسرة يوان، ظلت كهوف بايتسكيليك مركز البوذية بمنطقة قاوتشانغ. وتعد فترة قاوتشانغ الويغورية هي فترة معابد الكهوف الأكثر ازدهارًا، كما تعتبر كنزًا علميًا لدراسة الفنون الثقافية الويغورية. وبعد دخول الإسلام إلى منطقة توربان في نهاية القرن الثالث عشر، شهدت البوذية انحطاطًا تدريجيًا، ومعها بالتأكيد كهوف بايتسكيليك. ومع بداية القرن العشرين، تعرضت الكهوف لعمليات سلب ونهب قام بها مجموعات من الأجانب، ومن ثم أصبحت تلك الكهوف شبه خاوية على عروشها في الوقت الحالي.

وتنقسم الرسوم الجدارية للكهوف البوذية إلى ثلاث فترات: فترة أسرة جي بقاوتشانغ، وفترة شي تشو بأسرة تانغ، وفترة مملكة قاوتشانغ الويغورية. وتعد الرسوم الجدارية في فترة مملكة قاوتشانغ الويغورية أغزرها مضمونًا، كما أن معظم تلك الرسوم الجدارية رسوم بوذية كبيرة الحجم، إلى جانب تزويد جانبي باب الكهوف بالعديد من الرسوم، كان أكثرها لأهل الويغور. وفي نهاية فترة معابد الكهوف ظهرت مجموعة من الرسوم لأشخاص يقدمون القرابين ويرتدون الأزياء المنغولية. وقد احتفظت تلك الكهوف بداخلها بمجموعة كبيرة من الصور والملابس واللغات لمختلف القوميات، وهذا يدل على أن الكهوف قد تشربت خلاصة الثقافة الشرقية والغربية أثناء عملية التطور، وفي الوقت ذاته حافظت على الثقافة التقليدية القومية، لذا فهي تتمتع بقيمة هامة في مجال دراسات وأبحاث دمج وجمع الثقافة الغربية والشرقية.

وتتمتع كهوف بايتسكيليك بعدة خصائص، أبرزها:

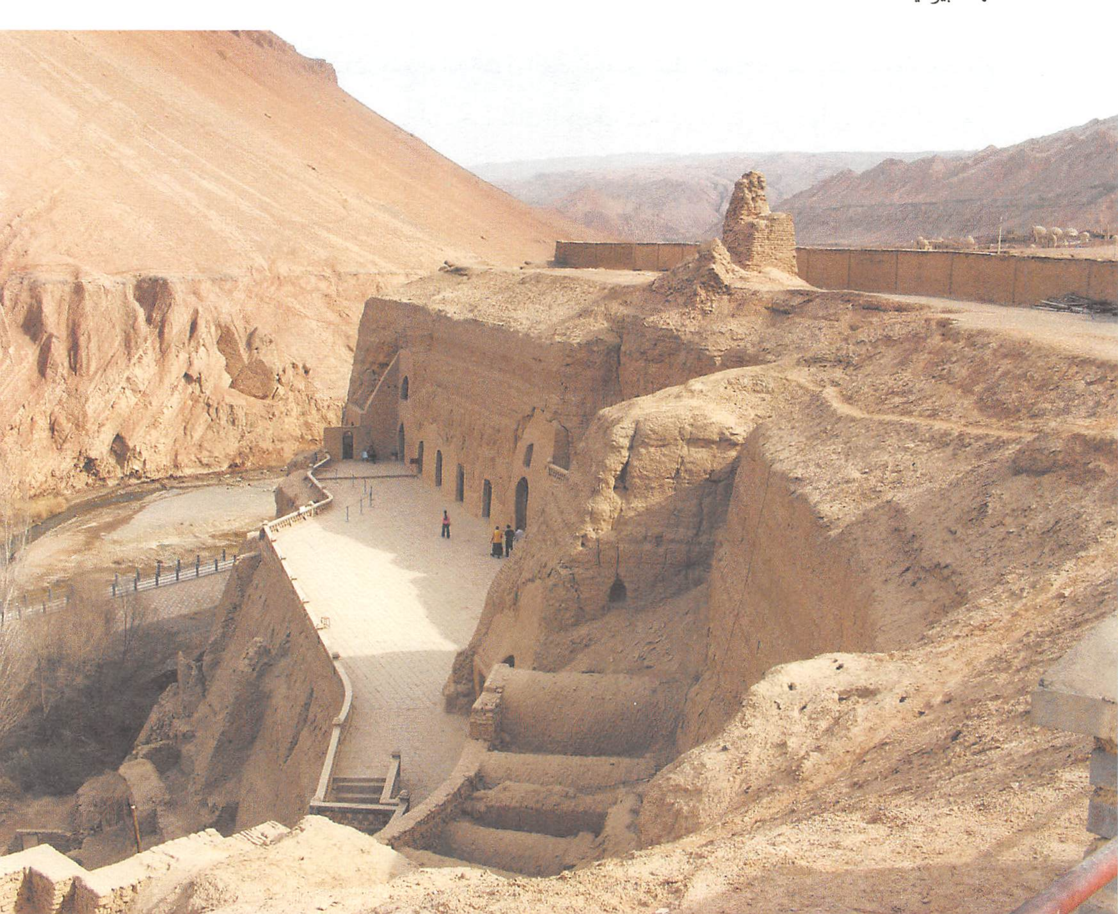
(1) الخصائص المعمارية الفريدة، حيث إن هناك بعض الكهوف التي خضعت لعمليات تشييد بالطوب اللبن بعد الانتهاء من شقها داخل الجبال. وتعد تلك الأشكال المعمارية من الأشكال الفريدة في

مجال بناء معابد الكهوف في الصين. وبعد عهد مملكة قاوتشانغ الويغورية، فقد بلغت الفنون المعمارية لتلك الكهوف أوج قمتها. وقد عكست بعض المباني الخشبية ما استوعبته منطقة قاوتشانغ من تكنولوجيا البناء الخاصة بالسهول الوسطى، بالإضافة إلى امتزاج واندماج الثقافة المحلية مع ثقافة كوتشا، وهو ما يعد نافذة حيوية سهلت من عملية معرفة المجتمع الويغوري القديم وثقافته وفنونه وغيرها من المجالات. ومن بينها الأشكال الكهفية ذات السقوف المقوسة المزودة بممرات متعرجة والتي ما زالت محفوظة جيدًا في إقليم شينجيانغ حتى وقتنا هذا.

(2) تحتوي الرسوم الجدارية على صور لمجموعة كبيرة من الويغور وهم يقدمون القرابين.

(3) وجود عدد كبير من الكهوف والرسوم الجدارية الخاصة بالديانة المانوية، وعلى هذا تكون تلك الكهوف هي المكان الوحيد في الصين الذي يجمع بداخله كهوفًا ورسومًا جدارية خاصة بديانتين مختلفتين في آن واحد. وقد كانت المانوية هي الديانة القومية لليوغور في البداية، ثم تحولوًا تدريجيًا إلى اعتناق البوذية بعد انتقالهم إلى توربان. ومن الملاحظ أن الكهوف والرسوم الجدارية في المرحلة

كهف بيزكليك



النهائية لكهوف بايتسكيليك المتقدمة هي من إبداعات معتنقي البوذية من أبناء الويغور. وتعد كهوف بايتسكيليك المرجع التصويري النفيس في الأبحاث والدراسات المتعلقة بأديان وثقافة شينجيانغ، ولا سيما تاريخ وثقافة وأديان قومية الويغور.

وتنتمي معظم الكهوف المتواجدة حاليًا في تلك المنطقة إلى فئة المعابد الأرستقراطية للأسرة الملكية بقاوتشانغ الويغورية في منتصف القرن التاسع. وقد تمتعت صور الرسوم الجدارية الأولى في عهد مملكة قاوتشانغ الويغورية بالتماسك، كما تميزت خطوطها وألوانها بالروعة والجمال، فضلاً عن كثرة عدد الشخصيات الموجودة بتلك الرسوم، وهكذا فهي تعد امتدادًا لأسلوب رسوم كهوف موقاو في أسرة تانغ. وبالرغم من الأضرار الشديدة التي تعرضت لها الرسوم الجدارية بتلك الكهوف، إلا أن الفنون البوذية الويغورية في تلك المنطقة من أكثر الفنون التي تحظى باعتراف عالمي، كما أنها تعد أفضل وأكثر الكنوز الفنية تمثيلاً. وتدور الكثير من الرسوم الجدارية حول ملوك الويغور وزوجاتهم والمحظيات والرهبان وغيرهم من الأشخاص الذين يقدمون القربان، كما انضوت تحت اللغة الصينية واللغة الويغورية واللغة التخارية، وبالتالي فهي تمثل قيمة مرجعية قيمة لدراسة تاريخ وثقافة وفنون المناطق الغربية.

المساجد والمزارات ذات التاريخ العريق

تنقسم المنشآت الدينية والمعالم الأثرية الإسلامية في الصين إلى نوعين رئيسيين، هما المساجد والمزارات الإسلامية.

المساجد

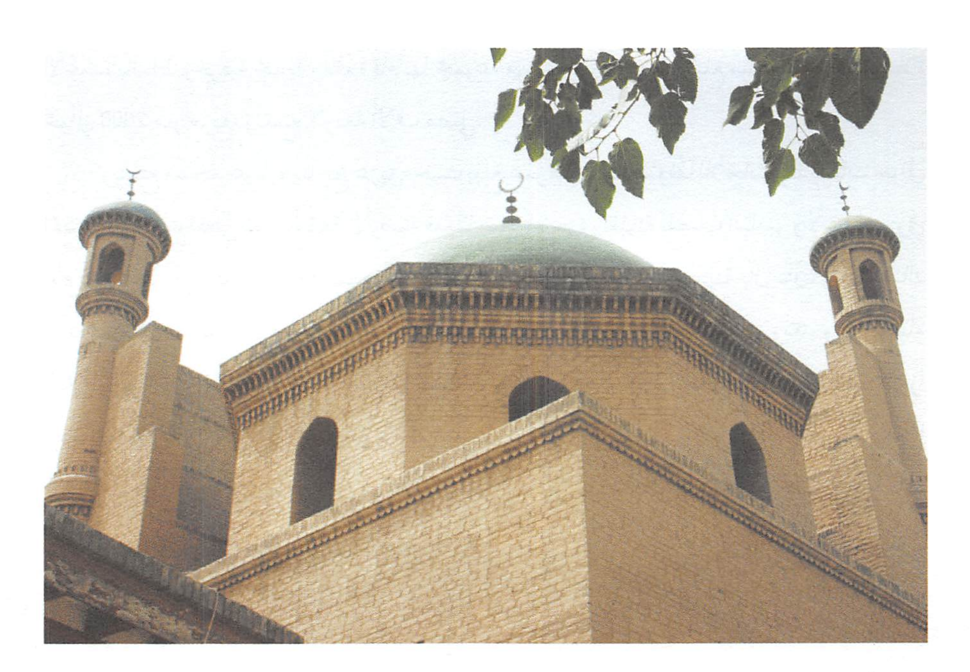
تعد المساجد مقر إقامة الفعاليات الدينية الإسلامية، كما أنها مراكز نشر الثقافات والمعارف الإسلامية. ولذا، فإن المسلمين يهتمون بإنشاء المساجد اهتمامًا بالغًا، ومن ثم فقد أصبحت المساجد في كثير من الأحيان الممثل الأول للعمارة الإسلامية. وقد ظهرت المساجد مع انتشار الإسلام في شينجيانغ، ويعد "جامع أتوشي" أول المساجد التي تم إنشائها في شينجيانغ، حيث تم بناؤه مع نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر. وقد تم بناء المساجد البدائية هناك من الأخشاب والطين، ونظرًا للأضرار الكبيرة التي تعرضت لها تلك المساجد جراء قوة الطبيعة، لذا فقد اندثرت جميعها ولم يبق منها إلا القليل. أما مسجد عيد غا بكاشغر والذي تم بناؤه في القرن الخامس عشر فهو آخر المساجد المتبقية التي تتمتع بتاريخ عريق. وتبلغ عدد المساجد الموجودة حاليًا في شينجيانغ أكثر من عشرين ألف مسجد،



مسجد تشينغهاي بأورومتشي

من أشهرها: مسجد عيد غا بكاشغر، ومسجد شانشي باورومتشي، ومسجد شانشي بينينغ، ومسجد مئذنة الإيمان بتوربان، ومسجد التين بياركند، وجامع عيد غا بهامي ومسجد كوتشا وغيرهم. وتتمتع مساجد شينجيانغ بتنوع أشكالها واختلاف أنماطها، وعادة ما تأخذ المساجد الكبيرة شكل القبة القوسية التي تجمع بين الطراز العربي وطراز القوميات، أما المساجد العادية فلا تختلف كثيرًا عن بيوت المواطنين. ويعد مسجد عيد غا أحد المساجد التي تمثل اندماج الطراز العربي بالطراز القومي. أما مسجد شانشي بأورومتشي فهو أحد المساجد التي تمثل شكل القصور الصينية.

مسجد عيد غا بكاشغر الواجب زيارته



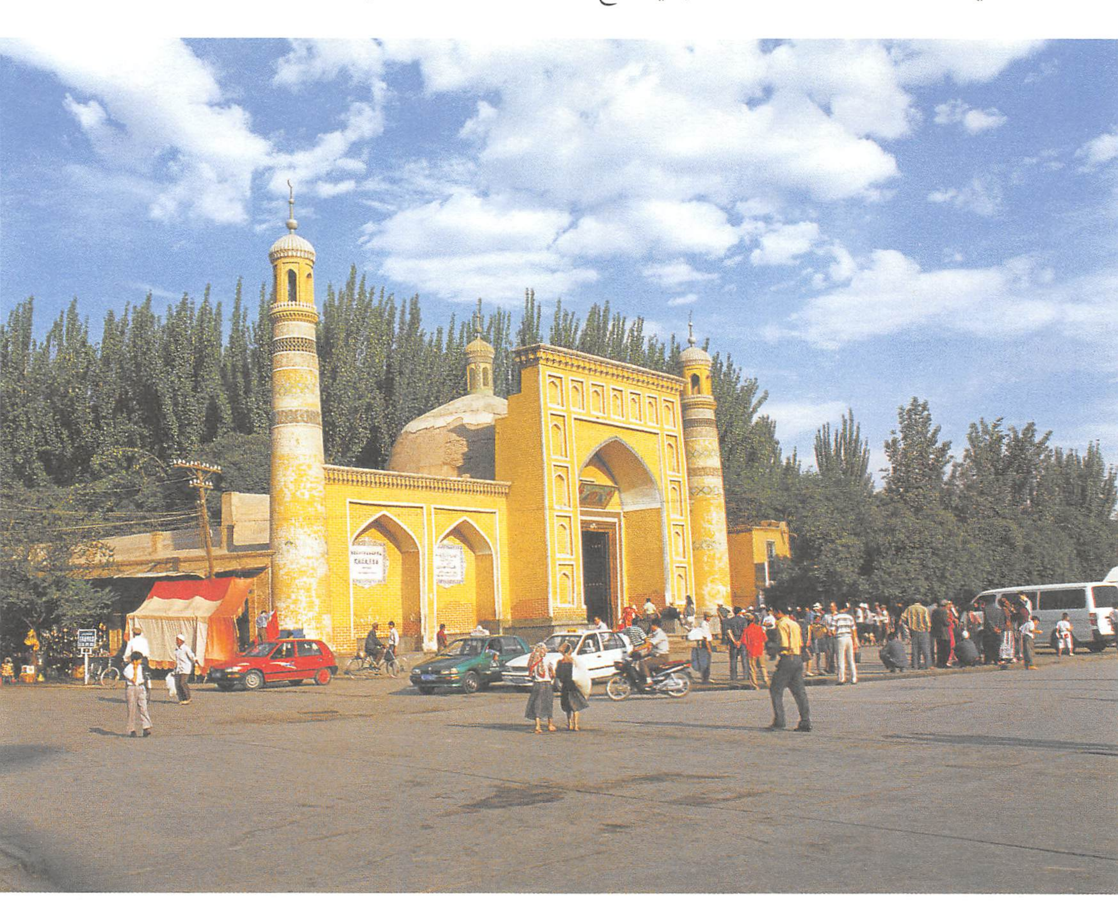
مسجد كوتشه

يعد مسجد عيد غا المنتصب شامخًا على طريق التحرير بمدينة كاشغر أحد التحف المعمارية التي أبدعها حرفيو قومية الويغور. وكلمة "عيد غا" كلمة مركبة من اللغتين العربية والفارسية اللتين دخلتا إلى قومية الويغور. أما كلمة "عيد" فهي كلمة عربية الأصل وتعني العيد أو المهرجان، أما كلمة "غا" فهي كلمة فارسية تعني "ميدان" و"مكان"، وعند جمع الكلمتين معًا تصير عيد غا، وتعني "ميدان العيد".

ويتـألف المسجد كاملاً من محراب الصلاة ومحراب لتعليم القرآن وقوس البوابة وغيرها من المباني التابعة للمسجد. وتبلغ مساحته الإجمالية حوالي 16800 متر مربع. وتصطبغ بوابة المسجد باللون الأزرق الفاتح، وفي أعلى البوابة تم كتابة آية من الآيات القرآنية باللغة العربية، كما تحيط بالمساجد مجموعة من الزخارف الفنية الويغورية. ويبلغ ارتفاع بوابة المسجد حوالي 12 مترًا، وعلى جانبي الباب تجد مئذنة من الطوب الأحمر يصل ارتفاعها إلى حوالي 18 مترًا، وعلى قمة المئذنة تجد غرفة النداء، وفي أعلى الغرفة تجد الهلال المقوس الذي يرمز إلى الدين الإسلامي. وخلف قوس البوابة تجد قبة ضخمة (مقبرة إسلامية)، وعلى أعلى القبة تجد أيضًا هلالاً مقوسًا. وفي داخل فناء المسجد تجد زهورًا وحوضًا مائيًا، ويمكن أن تصل إلى محراب الصلاة عبر ممر ممهد بالطوب، وهو ما يعطي انطباعًا بالمهابة والرهبة، وقد تم وضع 158 عمودًا بشكل مضلع تحمل إفريزًا عريضًا. علاوة على ذلك، فقد تم نقش كل عمود من تلك

الأعمدة بأنماط زخرفية محدبة معقدة قام بها مجموعة من الحرفيين المهرة. وتبلغ مساحة محراب الصلاة حوالي 2600 متر مربع، وتتسع لأربعة آلاف مصلي.

ويتمتع مسجد عيد غا بتاريخ عريق، حيث يبلغ عمر هذا المسجد وفقًا للأبحاث والدراسات حوالي 571 عامًا. وكانت تغطي تلك البقعة الأرضية قديمًا صحراء جوبي المليئة بقصب البامبو والأعشاب. وفي عام 715م، وفد العرب إلى مدينة شينجيانغ للدعوة إلى الدين الإسلامي عبر مدينة بال غان، ودفنوا هناك في ذلك المكان. ومنذ ذلك الحين أصبح ذلك المكان يحظى بتقدير واحترام الجماهير. وبعد وفاة أعضاء البلاط الإمبراطوري، بدأوا ببناء مقابرهم أيضًا في ذلك المكان لدرجة أن حاكم كاشغر الزعيم ميرزا دفن أيضًا في تلك المقابر منذ خمسمائة عام تقريبًا. وفي عام 1442م تقريبًا أسست سلالته مسجدًا صغيرًا في ذلك المكان. وبعد قرن واحد، أي في مطلع القرن السادس عشر، دفن أخو سعيد خان أحد خانات



مسجد إدكاه بكاشي



مسجد إدكاه بكاشي من الداخل

جاغتاي في ذلك المكان أيضًا. وقد أطلق على هذا المكان اسم مزار بكالتشاق في ذلك الحين. وفي عام 1537م دفن حاكم كاشغر ميرزا في تلك المقابر، ثم قام بتوسعة ذلك المسجد والذي كانت تقام فيه الصلوات الخمس لتؤدي فيه أيضًا صلاة الجمعة وغيرها من الصلوات التي يحتشد فيها الكثير من الناس.

وفي نهاية القرن الثامن عشر، سافرت جوليرينا إلى باكستان، وبينما تمر على مدينة كاشغر إذ ألم بها مرض شديد وتوفيت، ومن ثم تركت مبلغًا كبيرًا من المال، وقد استغل الناس هناك تلك الأموال في إنشاء أحد المساجد، وهو مسجد عيد غا. وقد كان حجم مسجد عيد غا في بداية إنشائه صغيرًا، وكانت تحيط به المقابر من جميع الجهات. وفي عام 1786م باعت خياطة من محافظة يينجيسار بكاشغر جميع منسوجاتها من أجل القيام بفريضة الحج من بامير، وعندما وصلت إلى فارس، وجدت أن هناك حربًا كبيرة، ومن ثم لم تتمكن من مواصلة طريقها لأداء الحج، لذا عادت مرة أخرى إلى كاشغر، وتبرعت بجميع النقود التي جمعتها من أجل الحج للقيام بتوسعة مسجد عيد غا. وبعدها حظي المسجد بعدة توسعات، لذا فإن حجم المسجد الذي نراه الآن هو الحجم الذي صار إليه المسجد بعد تجديدات عام 1872م.

وبعد تحرير شينجيانغ، دخل مسجد عيد غا فترة جديدة من الازدهار، ومن ثم تم تجديده عدة

مرات. وعند تأسيس منطقة شينجيانغ الويغورية ذاتية الحكم في عام 1955م، خصصت الحكومة الصينية مبالغ طائلة من أجل ترميم وتجديد المسجد. وبعد الدورة الثالثة للمؤتمر الحادي عشر للحزب الشيوعي الصيني، عادت السياسات القومية الحزبية تتألق من جديد. وبالتالي تم تجديد وإصلاح المسجد كاملاً في عامي 1980م و1981م.

وقد استطاع مسجد عيد غا أحد منشآت شينجيانغ القديمة التي تتمتع بالخصائص الإسلامية أن يجذب الزائرين الأجانب، لا سيما الزائرين المهتمين بالآثار الإسلامية من البلدان الإسلامية. ويشعر هؤلاء القادمون إلى كاشغر من كل حدب وصوب بالفخر لزيارتهم لمسجد عيد غا والصلاة فيه. وتعد زيارة مسجد عيد غا والصلاة فيه أحد المفاهيم الحياتية الهامة للمواطنين في مدينة كاشغر. ولذلك لا يتمتع مسجد عيد غا بشهرة واسعة في شينجيانغ فحسب، بل يتمتع أيضًا بشهرة كبيرة على صعيد آسيا الوسطى والصعيد العالمي.

مسجد قومية هوي الأكبر في شينجيانغ

يقع مسجد قومية هوي في منطقة تيانشان بمدينة أورومتشي حاضرة منطقة شينجيانغ، وهذه المنطقة تتمتع بحجمها الكبير وتاريخها العريق وتأثيرها الواسع. وقد تأسس هذا المسجد في فترة الإمبراطور تشيان لونغ بأسرة تشينغ (1736م – 1795م) وأعيد تجديده على أيدي أبناء قومية هوي الذين عاشوا في شانشي في السنة الثانية والثلاثين لفترة الإمبراطور قوانغ شو (عام 1906م)، حيث قاموا بجمع التبرعات لإنشائه، ولذا فقد سمي باسم "مسجد شانشي". ويعد النمط والنموذج الحالي للمسجد هو النمط والنموذج الذي كان عليه المسجد في تلك المرة من التجديد. ومن منظور الفن المعماري يمكن القول بإن مسجد شانشي نموذج فريد يجمع بين الفن المعماري الكلاسيكي الصيني والثقافة الإسلامية. وتمتد مقاعد المسجد من الغرب إلى الشرق، بينما يفتح المسجد أبوابه ناحية الشرق، وفي المنتصف تكون باحة المسجد، وتوجد صالات في الجانب الشرقي والجنوبي والشمالي. وفي واجهة باحة المسجد نجد محرابين للصلاة، يصل ارتفاعهما إلى حوالي عشرة أمتار. علاوة على ذلك، فقد تم استخدام هيكل خشبي تقليدي صيني لتجهيز سقف المسجد، فضلاً عن وجود دعامة خشبية مثلثة ملونة، حيث يرتبط أسفل الدعامة بالدعامة الخشبية الحمراء، وهو ما يجعل المحراب منصهرًا في بوتقة واحدة، وهو ما يعرض روعة المحراب بالرغم من بساطته. وقد طُعمت قبة المحراب بالقرميد الأخضر المزجج، بالإضافة إلى وجود ست وثلاثين حاملة خشبية دائرية حمراء تحيط بالممر. ويشبه الشكل المعماري للمحراب القصور الصينية القديمة، حيث تكون المقدمة عبارة عن جمالون مستطيل لإفريز أحادي، فضلاً عن ديكورات كأسقف القصور الإمبراطورية وأعمدة منقوشة وعوارض مزخرفة. أما الجزء الخلفي من



مسجد شانشي بأورومتشي

المحراب فهو عبارة عن مقصورة ثمانية الأضلاع ذات إفريز متداخل، فضلاً عن تماوج الإفريز وهو في غاية الإبداع. ونرى الجدران والأبواب وقد زينت، حيث تم نحتها بشكل رائع ودقيق، كما حفر على الخشب صور للأزهار والفواكه، حيث إن العقيدة الإسلامية تحرم استخدام نقوش التماثيل أو صور الحيوانات، وفي الوقت ذاته حافظت على الطراز المعماري للهياكل الخشبية التقليدية الصينية القديمة، ويمثل هذا المسجد المساجد المبنية على طراز القصور الإمبراطورية الصينية. ونظرًا لأن مسجد شانشي دمجت في بنائه الخلاصة المعمارية للثقافة القومية، لذا فقد أدرج في قائمة الآثار التراثية بمنطقة شينجيانغ الويغورية ذاتية الحكم.

علاوة على ذلك، هناك قصص كثيرة وعديدة تتعلق بتاريخ مسجد شانشي، على سبيل المثال نجد ما يلي:

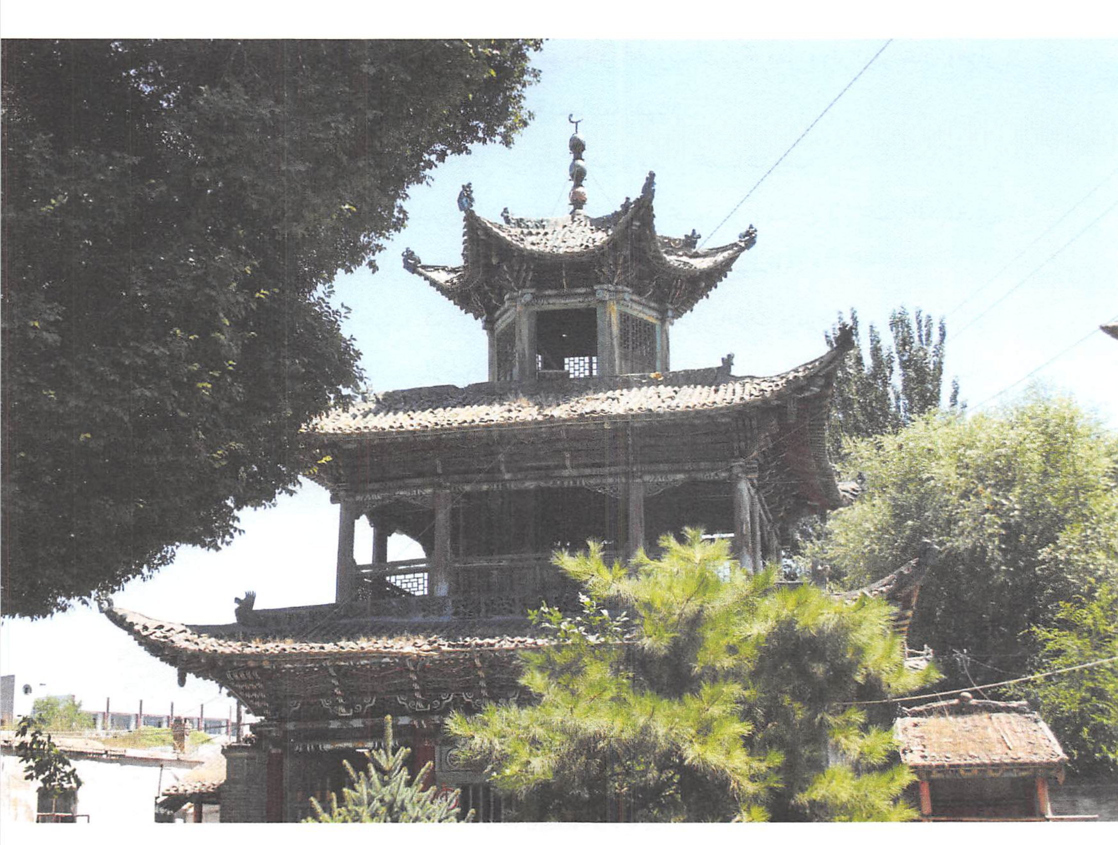
وفقًا للسجلات التاريخية، فقد تم تشييد أول مسجد بجوار الجدران الجانبية للبوابة الجنوبية بأورومتشي على أيدي أبناء قومية هوي في مقاطعة شانشي في عام 1764م، ويُطلق عليه الأهالي اسم مسجد لاوفانغ بشانشي. ويرمز هذا المسجد إلى بداية تاريخ إنشاء المساجد في أورومتشي من قبل قومية هوي. وبعد منتصف القرن التاسع عشر انقسم مسجد لاوفانغ بشانشي إلى مسجد شانشي ومسجد

فينغ شيانغ ومسجد بينتشو.

وفور تأسيس مسجد شانشي تولى إدارته اثنان من الأئمة. وفي عام 1883م كان السيد ما جين قوي أول إمام تم تعيينه في مسجد شانشي، وكان من أبناء المقاطعة. وقد درس الإمام ما جين قوي في مدينة بينجليانج حاضرة مقاطعة قانسو، وتتلمذ على يد كبار العلماء المسلمين هناك. وعندما بلغ ما جين قوي الثامنة والعشرين من عمره بدأ مهنته في تدريس الإسلام وعلومه في المساجد الإسلامية المشهورة بمدينة باوتو وشيآن وبينجليانج وهامي وأورومتشي وغيرها من المساجد الشهيرة. ثم بدأ في أعمال التدريس بمسجد شانشي بأورومتشي في الفترة من عام 1883م وحتى عام 1896م، حيث تتلمذ على يديه مجموعة كبيرة من التلاميذ الممتازين الذين قدموا إسهامات كبيرة في عملية تنمية التعليم الإسلامي بشينجيانغ. أما الإمام الثاني للمسجد فهو ما باو شو، وهو من أبناء مدينة شيانيانغ حاضرة مقاطعة شانشي، وقد تميز في فترة شبابه بالذكاء والاجتهاد، وخلال فترة توليه إمام للمسجد جد واجتهد في دراسته، وكان قدوة لغيره، حيث أرشد المسلمين هناك إلى التمسك بأركان الإسلام الخمسة، ولذا حظي بحب الغالبية العظمى من الجماهير هناك.

وفي عام 1902م، اتفق رئيس مسجد شانشي على هدم المسجد القديم، وتم انتخاب الإمام ما ليانغ جوين ليكون إمامًا جديدًا للمسجد، ومن ثم أعيد بناء مسجد كبير في موقع المسجد القديم. وقد طاف إمام المسجد الجديد الشيخ ما ليانغ جوين البلاد شرقًا وغربًا، شمالاً وجنوبًا، من أجل طلب الدعم وجمع التبرعات، لدرجة أنه ذهب إلى منطقة قوانغتشانغ لجمع التبرعات. وعلى الفور قامت الحكومة المحلية ورجال الأعمال والجماهير الإسلامية بمد يد العون والمساعدة ودفع التبرعات من أجل جمع الأموال اللازمة لبناء المسجد. كما أن المساجد الموجودة بالمنطقة أيضًا أغدقت في عطاياها وساهمت بفعالية في جمع التبرعات من أجل بناء هذا المسجد. وفي عام 1902م، بدأت أعمال حفر أساسات المسجد من جديد، واستغرق بناؤه حوالي خمس سنوات. وفي عام 1906م، تم الانتهاء من أعمال البناء، حيث أطلق عليه رسميًا اسم مسجد شانشي. ويستوعب المسجد الجديد أكثر من خمسمائة مصلي، أما في صلاة الجمعة أو صلاة العيدين فيتجاوز عدد المصلين أكثر من ألف شخص.

وفي خمسينات القرن العشرين أولت الحكومة والحزب رعاية خاصة لمسجد شانشي، كما قدمت إليه الكثير من الاعتمادات من أجل ترميمه وإصلاحه. وخلال فترة الثورة الثقافية، تعرض المسجد لأضرار جسيمة. وفي عام 1984م، قدمت الحكومة الصينية دعمًا ماليًا لإعادة إصلاح وترميم المسجد، وذلك من أجل تلبية حاجة زيادة أعداد المصلين. وبعد عام 2005م، تم إجراء العديد من الإصلاحات والترميمات للجهة الشرقية والجنوبية والشمالية لداخل المسجد، كما تم تجديد قوس البوابة الجنوبية،



مسجد شانشي بينينغ

حتى يظهر المسجد في أبهى صورة وأجمل منظر. ولا يزال مسجد شانشي واحدًا من المناظر السياحية العشرة الكبرى في أورومتشي إلى اليوم.

المزارات

تعد المزارات من الأماكن الساحرة والمقدسة في شينجيانغ. وهي تعني في الأصل مقابر الشخصيات الشهيرة في الدين الإسلامي، وهكذا فإن مقابر الملوك والعلماء والشخصيات الشهيرة ليست بمزارات فحسب، بل يوجد مزارات كثيرة أيضًا تحمل أسماء الحيوانات والنباتات.

وهناك خمسة أنواع من المزارات في شينجيانغ:

الأول: مزارات الحكام المسلمين الذين قدموا إسهامات كبيرة لانتشار الإسلام في شينجيانغ، على سبيل المثال مزار سوتوق بوغراخان؛ وهو أول خان بالدولة القراخانية في شينجيانغ يعتنق الدين الإسلامي. ومزار توغلوغ تيمور؛ وهو أول خان للدولة الجغتائية يعتنق الدين الإسلامي.

الثاني: مزارات القادة المسلمين الذين استشهدوا في الحروب الدينية، مثل مزار آرثر خان ومزار الأئمة الأربعة الذين استشهدوا في الحروب الدينية بمقاطعة خوتان

الثالث: مزارات زعماء الصوفية، مثل مزار أباك هوجا ومزار محمد شريف.

الرابع: مزارات العلماء المسلمين المشهورين، مثل مزار محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري مؤلف "ديوان لغات الترك" ومزار يوسف خاص حاجب مؤلف "قوتادغوبيليك".

الخامس: المزارات الأخرى، كمزار الحمام ومزار الأفعى ومزار التوت وغيرها من المزارات التي تحمل أسماء الحيوانات والنباتات، بالإضافة إلى مزار الشيخ الكبير ذي اللحية البيضاء ومزار الشاب الأعزب وغيرها من المزارات التي لا حصر لها.

وتتميز تلك المزارات باختلاف أشكالها وألوانها، كما تنقسم تلك المزارات إلى ثلاثة أنواع حسب حجمها:

النوع الأول: المزارات الكبيرة، وهي عبارة عن مجموعة من المنشآت المتجاورة كالقصور، ويتمتع المبني الرئيسي في تلك المزارات بضخامة المبنى وارتفاعه، فضلاً عن زينته الرائعة. ويتألف المزار من مسجد ومحراب للتدريس وقوس بوابة كبير ومئذنة وغيرها من المباني المرفقة. ويقع هذا المزار غالبًا في المدن والمراكز أو المناطق الخلابة بضواحي المدينة.



مزار محمد شريف

النوع الثاني: المزارات المتوسطة، وتكون أكثر قبورها عبارة عن غرف ذات أسقف مسطحة، وتحيط بها الأسوار، أما عن المباني الملحقة بها فهي قليلة

نسبيًا.

النوع الثالث: المزارات الصغيرة، وهي عبارة عن أضرحة ترابية مبنية من الرمال أو الطين، وليس بها مبان مرفقة. ويزور الناس جميع هذه المزارات دون استثناء، بصرف النظر عن كونها كبيرة أو متوسطة أو صغيرة، كما يضع الزائرون فروع الأشجار والأعلام المعلقة والشرائط القماشية وذيول الأبقار وقرون الخراف وجلودها وغيرها من الزينة حول تلك المزارات. ولما نفي القائد الشهير لين تسه تشيو الذي ينتمي إلى أسرة تشينغ إلى شينجيانغ في منتصف القرن التاسع عشر، أصابته الدهشة والعجب لما رأى تلك الظاهرة، ونظم "قصيدة فلكلورية" قال فيها: "لا يكفي السجود عند زيارة المزار، بل لا بد من تعليق ذيول الخيول والأبقار عليه".

وتتميز شينجيانغ بكثرة مزاراتها، حيث يوجد بها عشرات المزارات الشهيرة، ويتمتع كل مزار من هذه المزارات بخصائص فريدة.

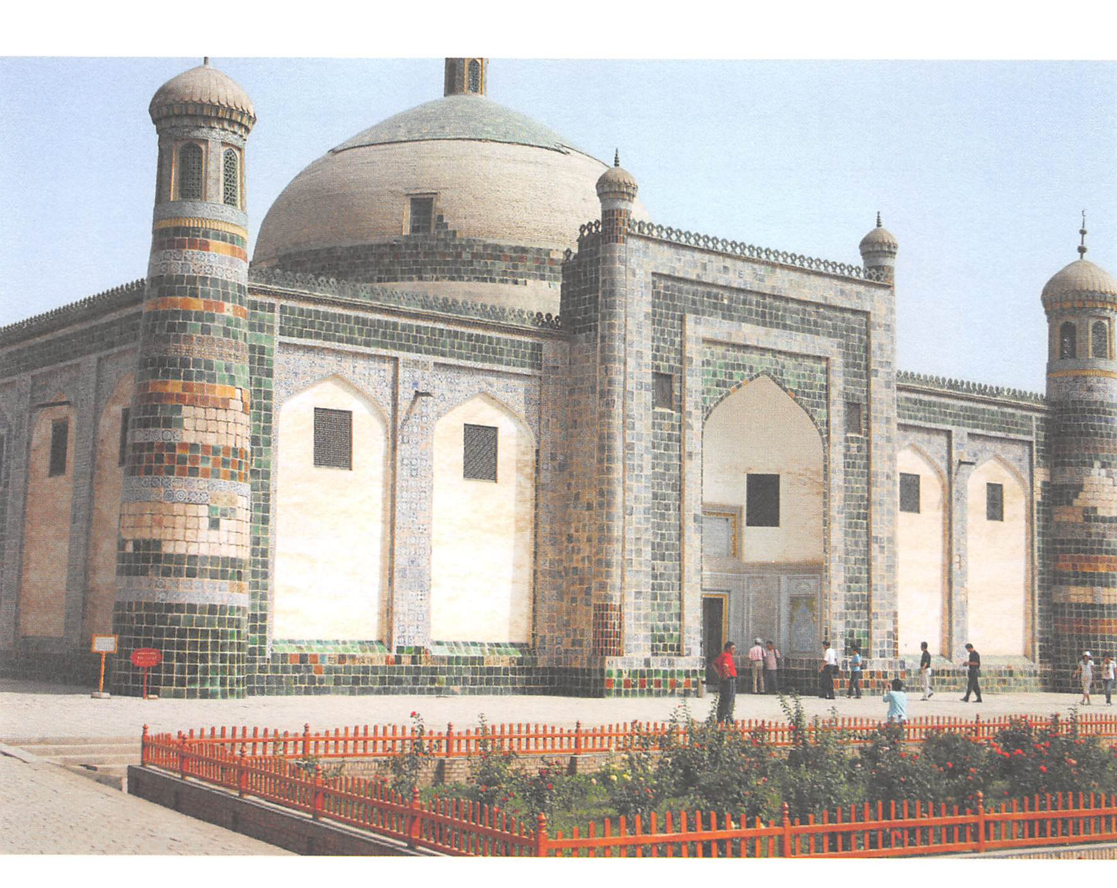
مزار أباك هوجا

يعد مزار أباك هوجا مقبرة أسرة أباك هوجا رئيس مذهب بايشان الإسلامي في شينجيانغ في أواخر أسرة مينغ وأوائل أسرة تشينغ، ويقع على بعد خمسة كيلو مترات من الضاحية الشرقية لمدينة كاشغر، وقد شيد في عام 1670م. وتعتبر أسرة أباك هوجا واحدة من أسر هوجا التي حظيت بشهرة كبيرة في تاريخ شينجيانغ. وكلمة "هوجا" كلمة فارسية تعني "السيد"، وهي تشير في الدين الإسلامي إلى عائلة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أي "آل البيت". وقد كان لأسرة هوجا فضل كبير في زيادة أعداد معتنقي الدين الإسلامي نظرًا لكونهم أحد أبناء آل البيت، بل وأصبحت أسرة دينية إقطاعية تتمتع بشهرة واسعة في شينجيانغ في أواخر أسرة مينغ وأوائل أسرة تشينغ (في منتصف القرن السابع عشر). وقد تم توسعة مزار أباك هوجا عدة مرات، وفي عام1874م تم توسعته ليصبح بهذا الحجم الذي هو عليه الآن.

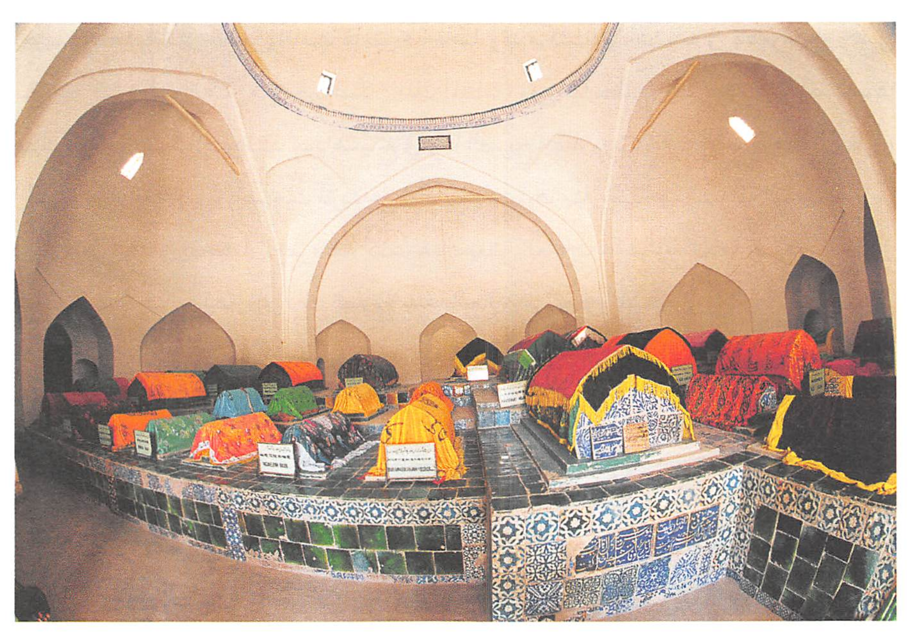
ويقع هذا المزار على مساحة حوالي 4.7 هكتار، ويتكون الهيكل الأساسي للمزار من المقابر وقوس البوابة ومحراب الصلاة وصالة التدريس وحوض كبير للمياه... إلخ. وتتميز جميع مباني هذا المزار بأسلوبها الفريد وأنماطها المختلفة، وترتبط جميعًا برباط عضوي، حيث يضيف بعضها إلى بعض رونقًا وجمالاً، ومن ثم تشكل في النهاية مجموعة من المباني الضخمة التي تتميز بروعة جمالها وترتيبها المتناسق. وتقع غرف الدفن في الجانب الشرقي للمقبرة، وهي المبنى الرئيسي لتلك المجموعة من المباني، وتنتمي إلى الطراز المعماري العربي. ويتخذ الجزء السفلي من المزار شكلاً مربعًا، يبلغ عرضه حوالي 35 مترًا، بينما يبلغ عمقه حوالي 29 مترًا، أما الجزء العلوي فهو عبارة عن قبة ضخمة يبلغ قطرها حوالي 17 مترًا، وارتفاعها حوالي 26 مترًا. وفي كل زاوية من الزوايا الأربع تجد مئذنة أسطوانية داخل الجدار،

وبداخلها سلالم يمكن الصعود عليها لأعلى المئذنة. كما يوجد تحت القبة غرفة دفن واسعة بها حوالي 72 مقبرة (الباقي منها حاليًا حوالي 58 مقبرة) لخمسة أجيال من أسرة أباك هوجا، أما كامل الجسم فهو مرصع بقرميد مزجج يجمع بين اللون الأخضر والأزرق والأصفر وغيرها من الألوان. وتتميز غرف الدفن بالروعة وارتفاعها الشاهق والمهابة والعظمة، ويغمرها العبق الديني المتين. وتتداخل قنوات المياه في الفناء، فضلاً عن مختلف الأشجار والأزهار والأعشاب، وفي خارج الفناء توجد أشجار وأحواض مائية تتمتع بمناظر جذابة.

ويتمتع هذا المزار بشهرة واسعة في شينجيانغ وآسيا الوسطى، حيث يعد أكبر المباني الإسلامية الباقية حاليًا في شينجيانغ، كما أنه أحد التحف المعمارية الإسلامية بشينجيانغ. ويعكس هذا المزار موهبة وذكاء قومية الويغور في مجال الفنون المعمارية، وهو بحق تحفة فنية نادرة. وقد أهمل هذا المزار



مزار أباك هوجا بكاشي



مقبرة محظية العطر من الداخل

تاريخيًا، إلا أنه في عام 1956م تم إدراجه في قائمة الآثار التراثية لمنطقة شينجيانغ الويغورية ذاتية الحكم. ووفقًا للشكل الأولي للمزار، فقد خصصت الحكومة الصينية مبالغ مالية ضخمة من أجل إعادة إنشائه وترميمه لمرات عديدة. وفي عام 1988م تم إدراجه في قائمة الآثار التراثية على المستوى الوطني من قبل مجلس الدولة.

وعن الخلفية التاريخية لذلك المزار، فإن هناك قصة تتمتع بشهرة واسعة تدور حول إحدى المحظيات التي يتحدث عنها أهل مدينة كاشغر بمنطقة بشينجيانغ، وهي بلا شك تضفي ألوانًا سحرية إلى مزار أباك هوجا، كما تجذب المزيد من الزوار داخل الصين وخارجها للقدوم إلى كاشغر لرؤية "مزار محظية العطر".

ويطلق على هذه المحظية اسم يي بير خان، وهي فتاة ويغورية ولدت على شاطئ نهر ياركند. وسافرت مع خالها إلى بكين في عام1760م، وبعد فترة قصيرة اختيرت للدخول إلى القصر، حيث تزوجت من الإمبراطور تشيان لونغ ولقبت "بالمحظية". ونظرًا لأنها تمسكت بالعادات الحياتية لنساء قومية الويغور في شينجيانغ، فقد أحبت وضع الأزهار على رأسها، وكان جسمها ينثر عطرًا جراء تلك الأزهار، ولذا فقد لقبت بمحظية العطر. وبعدها توفيت نتيجة إصابتها بالمرض، ونقلت جثتها من قبل زوجة

أخيها سوداهشيانغ إلى كاشغر وأقامت لها ضريحًا خاصًا. وقد مكثت سوداهشيانغ في كاشغر حوالي خمس سنوات، كما فعلت الكثير من الخير لسكان تلك المنطقة، ومن ثم حظيت بحب الجماهير. وقد لقبوها هناك بالآنسة ديليشاتي. ودفنت سوداهشيانغ في هذا الضريح أيضًا. وقد تناقلت الأجيال هذه الأسطورة الجميلة جيلاً بعد جيل، وأصبحت تتردد على الألسنة باعتبارها مثلاً طيبًا على الصداقة القومية.

وفيما يتعلق بمحظية العطر، فقد كانت هناك بعض العادات والتقاليد الممتعة للسكان المحليين هناك. فالنساء هناك يذهبن إلى ذلك الضريح عندما يعانين من بعض المشاكل أو يرغبن في تحقيق بعض الأحلام، سواء أكن متزوجات أم غير متزوجات، ويعلقن أيديهن على جدار الضريح ويبكين، ويتحدثن عن رغبات قلبهن، ولا يغادرن إلا بعد أن يشعرن بالراحة والسرور. وباستثناء الآمال التي تعقدها بعض النساء في إنجاب الأولاد، فتمسك بشرائط قماشية حمراء طويلة وتدخلها بعود صغير إلى فتحة جدران الضريح. ولا تزال هذه التقاليد تنتشر بين الجماهير حتى الآن.



التعبد بمزار خهتيان

وقد أعطت قصة محظية العطر ذكريات جميلة للجماهير، كما حملت آمالاً جميلة وسعيدة لهم.

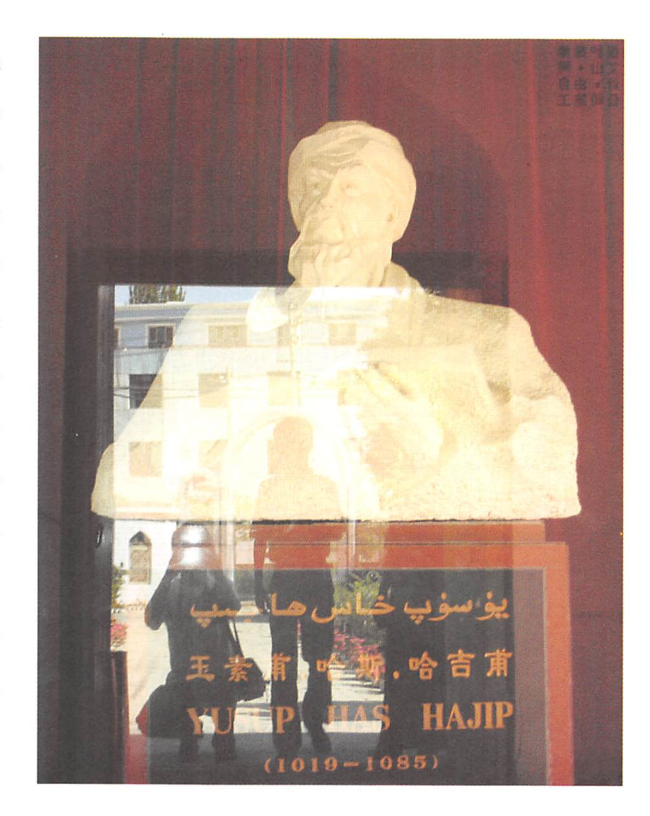
مزار جبار صادق

تم تشييد ذلك المزار للإمام السادس من أئمة المذهب الشيعي الإسلامي جبار صادق، ويطلق عليه أيضًا اسم "مزار مين فينغ". ويقع هذا المزار في بلدة نييا بمحافظة مين فينغ، إلا أنه ليس هناك أي تفاصيل عن تاريخ إنشائه. وقد بني المزار على تلة ضخمة، وغرف الدفن به عبارة عن غرف مستوية السطح ذات هيكل خشبي، كما أن شكلها بدائي وبسيط، بالإضافة إلى احتوائها على الزينات المتنوعة التي يقدمها المصلون هناك. وتعلق الأعلام والشارات في كل أرجاء المقبرة من الداخل والخارج، بالإضافة إلى المنقوشات النحاسية والحديدية والخشبية المتنوعة. وإلى جانب المزار نجد ثلاثة مساجد وصالة للتدريس، بالإضافة إلى أربعين غرفة. ووفقًا للبحوث، فإن اسم المزار هو تضليل بحت، حيث إن صاحب الضريح لم يسبق له الذهاب إلى شينجيانغ بتاتًا، لكن أبناء منطقة خهتيان تناقلوا قصة قدومه إلى شينجيانغ لنشر الدين الإسلامي واستشهاده بها، ولكن لم يتم الإشارة إلى تلك القصة في أي من السجلات التاريخية، ومع ذلك اعتبرتها الأجيال القادمة حقيقة تاريخية. ويعد هذا المزار من أكبر المزارات التي أثرت تأثيرًا كبيرًا على مجتمع شينجيانغ، حتى إن هناك قولاً مأثورًا عن مسلمي المنطقة يقول: "إن حج مزار جبار صادق ثلاث مرات يعدل حج الكعبة" (يقصدون "بيت الله الحرام بمكة")، وهذا بالفعل كذب محض. علاوة على ذلك، فإن عشرات الآلاف من مسلمي شينجيانغ وقانسو وتشينغهاي ونينغشيا يأتون إلى مزار جبار صادق كل عام.

ويتمتع مزار جبار صادق بقدرة سحرية في قلوب زائريه، حيث يعتقدون أن بإمكانه أن يمنح زائريه السعادة في حياتهم الدنيوية، كما يضمن لهم دخول الجنة، إلى جانب تلبية جميع رغباتهم وأمنياتهم. ولذا يذهب إليه الكثيرون من أجل طلب الزوج المثالي والحياة الزوجية السعيدة والذرية الصالحة، وأن يمنحهم الحصاد الوفير والأعمال المزدهرة والحياة الرغدة والنصر على الأعداء... إلخ. كما يعتقدون أن هذا المزار يتمتع بقوة سحرية طبية تعالج من جميع الأمراض لدرجة أن التراب الأصفر والهوام التي توجد على المزار يمكنها علاج جميع الأسقام والأمراض. وقد افتتن بهذا الاعتقاد الكثير من الناس، مما أدى إلى بلوغ عدد زواره سنويًا أكثر من مائة ألف زائر.

مزار يوسف خاص حاجب

يقع مزار يوسف خاص حاجب في طريق نايتييو بمدينة كاشغر، وتبلغ مساحته حوالي 965مترًا مربعًا. ويقع المزار في الشمال ويواجه الجنوب، ويأخذ المزار شكلاً مستطيلاً، ويصل عرض بوابته الرئيسة إلى 4.2 مترًا، أما ارتفاعه فيبلغ 8 أمتار، وعلى جانبي البوابة الرئيسة نجد برجًا عموديًا أسطوانيًا



التماثيل التذكارية ليوسف خاص حاجب

يبلغ ارتفاعه حوالي 8.7 مترًا، ويتكون المـزار من ضريح ومقابر وقوس البوابة والضريح الرئيسي. وعن شكل الضريح الرئيسي فهو مستطيل من الخارج ودائري من الداخل، وله قبة وفي وسطه بـرج. ويتمتع ترتيب الضريح بنظام فريد ومهيب، فضلاً عن تميزه بنمط قومي بارز.

ويعد يوسف خاص حاجب شـاعـرًا ومفكرًا وفيلسوفًا ويغوريًا يرجع إلى القرن الحادي عشر. وقد ولد في أسرة أرستقراطية كبيرة تعيش بمدينة بلاساغون العاصمة الغربية للدولة القاراخانية (غرب مدينة توكاماك بقيرغيزستان) في عام 1019م. وسافر في شبابه إلى العاصمة كاشغر للدراسة في الكلية الملكية للكتاب المقدس. وبعد إكمال دراسته، تولى منصبًا كبيرًا في حكومة كاشغر. وفي عام 1069م، نظم قصيدة من المواعظ، أطلق عليها اسم "قوتادغوبيليك"، وقدمه إلى خان الدولة القاراخانية سليمان أرسلان خان، ومن ثم حظي بتقدير الخان الذي منحه منصب "خاص حاجب" (وظيفة تتبع الحرس الامبراطوري)، وبعدها اشتهر باسم يوسف خاص حاجب.

وفي نهاية القرن الحادي عشر، توفي يوسف خاص حاجب في كاشغر، ودفن في البداية في مكان يدعى "باريق"، (تعني معسكر في اللغة الويغورية)، بشاطئ نهر دومان جنوب شرق مدينة كاشغر. وفي منتصف القرن السادس عشر، نقل الملك الثاني لخانات ياركند عبد الرشيد خان المقبرة القديمة إلى "ألرتن لوك"، (الضريح الملكي)، خارج البوابة الجنوبية لمدينة كاشغر، وهو المقر الحالي للمزار.

ويعد كتاب "قوتادغوبيليك"، (المعارف المسببة للسعادة)، أول وثيقة هامة باللغة الويغورية



مزار يوسف خاص حاجب



المناظر الداخلية لمزار يوسف خاص حاجب

شرحت عقودًا من السنين. ويتمتع هذا الكتاب بلغته المبدعة الحيوية، كما يتناول الموضوعات السياسية والاقتصادية والعسكرية والقوانين وغيرها من الشؤون الاجتماعية الهامة. ويتمتع التاريخ الأدبي لجميع القوميات التي تتحدث اللغة التركية بقيمة فنية وبحثية عريقة، كما يعد وثيقة تاريخية هامة لدراسة الدولة القاراخانية، وهي النصب الأدبي الأول في تاريخ الثقافة الويغورية القديمة.

مزار محمود الكاشغري

يقع هذا المزار فوق سفح جبل أيزلاتمولا بلدة أوبال ببلدية شوفو على بعد 45 كيلو مترًا جنوب غرب مدينة كاشغر، وتتمتع تلك المنطقة بأشجار كثيرة وأحوال جوية ومناخية ملائمة. وقد أعيد تشييد الضريح الحالي في عام 1985م. كما أن هناك مسجدًا على جانب الضريح يأتي إليه الزوار المسلمون ومواطنو القرى القريبة من أجل الدعاء والصلاة. وعلى الجانب الشمالي من الضريح نجد معرضًا للتحف التاريخية، حيث يحتوي على كتاب "ديـوان لغات الترك" والكتب والوثائق المتعلقة بسيرة وحياة محمود الكاشغري. ويوجد أمام هذا الضريح مباشرة ينبوع من المياه، حيث تطلق عليه الجماهير هناك اسم "مياه الينبوع المقدس". وبقرب الينبوع نجد مجموعة من أشجار الحور القديمة وجذوع الأشجار التي بدت عليها علامات الشيخوخة والكبر، فضلاً عن أغصانها الوارفة، وهو بحق مشهد ساحر. وتحظى المقبرة بإعجاب أبناء جميع قوميات شينجيانغ، كما يقدم العلماء المسلمون في الغالب الكتب والمؤلفات التي يحبونها هدايا لمكتبة الضريح، ولذا فقد أصبحت مكتبة ضريح محمود الكاشغري من المكتبات الفريدة، لدرجة أن الجماهير تطلق عليها "هاي تسي ليتي ماولام" أي (ضريح العالم الجليل).

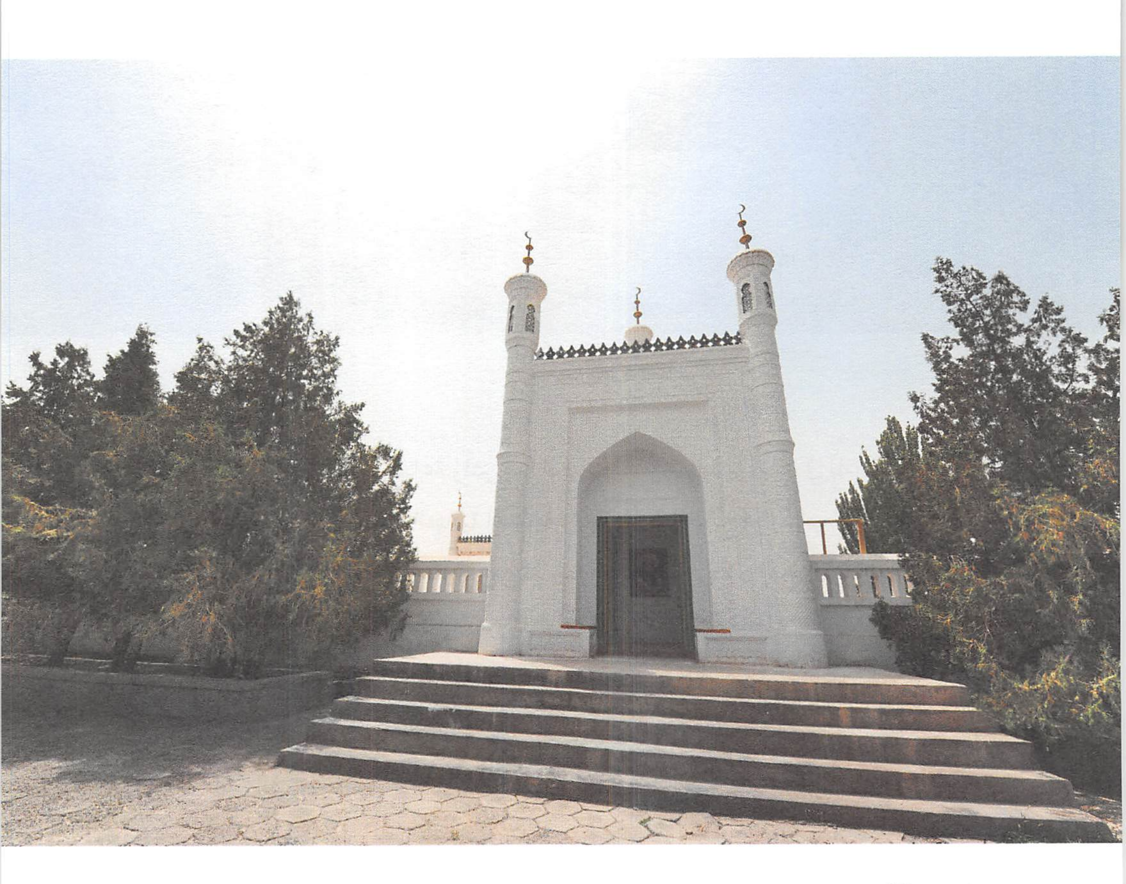


تمثال محمود الكاشغري

وُلد محمود الكاشغري في عام 1008م، وتوفي في عام 1105م، وهو عالم لُغوي ويغوري شهير من علماء القرن الحادي عشر. ومع ذلك، لا يعرف عن تفاصيل سيرته إلا القليل، ومبلغ علمهم عنه أنه تلقى

تعليمًا جيدًا منذ صغره، وأنه قدم من قبيلة قديمة، ونجا من انقلاب البلاط الإمبراطوري، وبعدها طاف مشارق البلاد ومغاربها، ومن ثم فقد بذل جهودًا مضنية من أجل دراسة اللغة والحياة الاجتماعية. وفي عام 1074م نظم "ديوان لغات الترك" باللغة العربية، وقد أطلق عليه بعد ذلك موسوعة الحياة الاجتماعية للدولة القاراخانية. وقضى شيخوخته في كاشغر، ولما تُوفي دفن في ووبال ببلدية شوفو، وهو المقر الحالي لمزار محمود الكاشغري المشهور.

ويتميز "ديوان لغات الترك" بهيكله الجدي ومواده الواضحة، فضلاً عن ثراء الكلمات التي يحتوي عليها، ويمكن القول بأنه موسوعة متعلقة بالثقافة التركية، كما أن قيمته الحيوية لا تقتصر على مجال دراسة تاريخ وجغرافيا جميع دول آسيا الوسطى وعاداتها وتقاليدها وحياتها الاجتماعية وفنونها الأدبية فحسب، بل يعد أيضًا مرجعًا نفيسًا لدراسة تاريخ وجغرافيا ومحاصيل وعادات وتقاليد جميع القبائل



مزار محمود الكاشغري



مزار تويوك

الناطقة باللغة التركية. وقد تم طباعة ونشر هذا الكتاب بأكثر من عشر لغات في بلدان كثيرة، وأصبح تحفة فنية رائعة في المكتبة الفنية الثقافية الصينية والعالمية، كما أصبح هو وكتاب "قوتادغوبيليك" من أعظم الثمار الثقافية للدولة القاراخانية، ومن ثم حظي بإعجاب وإجلال الأجيال اللاحقة.

ومما يجب التنبيه عليه أن الكثير من المزارات الإسلامية التي تمتعت بقدسية كبيرة في نفوس المسلمين في الصين كانت في الحقيقة أماكن مقدسة في الديانة البوذية وغيرها من الديانات. فيعلق البريطاني ستاين في كتابه "السجلات الأثرية للمناطق الغربية" بعد أبحاثه وتنقيبه الطويل في منطقة خهتيان قائلاً: "إن الكثير من المزارات الإسلامية الحالية تنبئ عن أنها حلت محل بعض الأماكن المقدسة للبوذية". على سبيل المثال، نجد مزار كه خه ماليم بمنطقة خهتيان، وهو أحد المزارات المشهورة على الصعيد المحلي. وكما يحكي المسلمون هناك أن هذا المزار هو مقبرة أحد أفراد أسرة هوجا الذين

قدموا إلى خهتيان من أجل نشر الدين الإسلامي، كما يزعمون بأن الزائر إذا دعي بإخلاص، فسيظهر هذا الشخص الميت أمامه على هيئة ثعبان، ومن يحظى برؤية ذلك الثعبان، فقد حظي بالحماية من قبل المزار، ولذا يفد إلى هذا المزار الكثير من الزائرين. وفي حقيقة الأمر، فإن هذه البقعة كانت في الأصل أحد الأماكن البوذية المقدسة، كما أن الجبل الذي يقع المزار على سفحه ينتمي إلى سلسلة جبال قَراقُرم، وقد أطلق عليه في عهد أسرة تانغ اسم "جبل رأس الثور" واسم "جبل قرن الخروف"، وباعتباره صورة مباركة فقد ظهرت في الرسوم الجدارية الخاصة بكهوف دونهوانغ. علاوة على ذلك، فإنه يعتقد أيضًا أنه قد تم بناء معبد كبير في تلك المنطقة في عهد ساكيامونى، وكان ساكيامونى يطير من جبل لينغ جيو بالهند لنشر القواعد البوذية. وبعد دخول البوذية إلى شينجيانغ، تم بناء ثلاثة معابد في "جبل رأس الثور"، ومن ثم حظيت البوذية بالانتشار والازدهار الكبير. وقد سبق لرهبان كثيرين السفر إلى المناطق الغربية من أجل نشر القواعد البوذية مثل فاشيان وتشيونتسانغ وغيرهم ممن مروا بخهتيان. وقد سجل تشيونتسانغ ما سمعه وما رآه في "جبل رأس الثور" في كتابه "سجلات تانغ العظمى عن المناطق الغربية".

وتتشابه ظروف مزار الحمام بمحافظة بيشان مع ظروف المزارات السابقة. ويحكي المسلمون هناك أن أسرة هوجا قدمت من البلدان العربية إلى خهتيان لنشر القواعد الدينية. وبعد قتله في إحدى معارك منطقة بيشان، طار قلبه في حوصلتين من الحمام، وبدأ في التناسل والتكاثر، وقدم إليها الناس الطعام وأقاموا عشًا خاصًا بهما. ويزعمون أيضًا أن تلك الحمامتين، في عهد أسرة تشينغ، كانتا لهما الفضل في إرشاد جيش أسرة تشينغ الذي ضل في دروب الصحراء المقفرة وإنقاذه. كما أن هناك مزارًا آخر يسمى "مزار الفأر" الذي سبق ذكره في "سجلات تانغ العظمى عن المناطق الغربية". وقد سبق لتشيونتسانغ أن نظم قصيدة سرد فيها "قصة مزار الفأر"، كما وصف ظروف عبادة الفأر في مملكة يووتيان بأسرها.

وخلاصة القول، فإن المزارات الموجودة بشينجيانغ ليست جميعها بقاعًا مقدسة خاصة بالدين الإسلامي، بل هناك أيضًا مزارات أخرى تتعلق بعبادة الأسلاف والقبور والحيوانات والنباتات. أما فيما يتعلق بالأماكن الإسلامية المقدسة، فهي في الحقيقة أماكن بوذية مقدسة أو أماكن مقدسة خاصة بالأديان الأخرى، وهذا أمر طبيعي ونظامي، وذلك لترسيخ جذور الإسلام في تلك المناطق، ولذا فقد كان من الضروري استغلال مشاعر وقلوب الجماهير في التكيف مع تلك الأماكن التقليدية المقدسة. وهذا يتمثل في التكيف القوي للدين الإسلامي.

كما تعد المزارات أيضًا تاريخ شينجيانغ الإسلامي الذي لم تخطه الأقلام ولم تسود به الصفحات، حيث إن غالب هذه المزارات الشهيرة هي مزارات شخصيات هامة قد أثرت تأثيرًا كبيرًا في تاريخ الدين الإسلامي بشينجيانغ. ويمكن من خلال زيارة تلك المزارات الدينية التعرف جيدًا على تاريخ الدين

الإسلامي في شينجيانغ.

وتنتشر المزارات في شتى أنحاء شينجيانغ، بل تجدها موزعة توزيع النجوم في السماء في منطقة تيانشان. ولكل مزار من تلك المزارات قصة تاريخية وأسطورة عجيبة، فهي وإن كانت أماكن دينية مقدسة، إلا أنها تعد أيضًا مقاصد سياحية بهيجة.

أديان
شينجيانغ

الأعياد الدينية الخاصة



عيد الفطر

عيد الفطر هو النطق العربي لكلمة كاي تساي جيه ، وسمي بهذا الاسم لأنه يقع في اليوم الأول من إفطار المسلمين بعد صيام شهر كامل. كما يطلق عليه في اللغة الفارسية اسم "روز"، ولذا يطلق الويغور وغيرهم على كلمة الصوم اسم "روز".

يحتفل المسلمون بعيد الفطر في أول يوم من أيام شهر شوال، وهو في الأصل احتفال بسبب الانتهاء من صيام شهر رمضان؛ لأن الصيام يعد ركنًا من أركان الإسلام الخمسة. وقد أوجب الإسلام على المسلمين صيام الشهر التاسع (شهر رمضان) من السنة الهجرية كل عام، ومن ثم يتعين عليهم خلال هذا الشهر الامتناع عن الطعام والشراب والجماع وجميع الأعمال التي حرمها الشرع في هذا الشهر من الفجر وحتى غروب الشمس، كما يتعين عليهم كبح جماح شهواتهم والتغلب على شيطانهم، إذعانًا للإيمان الخالص لله. كما يجوز للأطفال وكبار السن الفطر في شهر رمضان وكذلك الحائض والنفساء، إلا أنه يتعين عليهم الامتناع عن الأكل والشرب أمام الصائمين أو في العلن. ويمكن للمريض والمسافر أن يفطرا أيضًا، إلا أنه يجب عليهما قضاء ما أفطراه بعد شهر رمضان، فإن لم يستطيعا القضاء تعين عليهما دفع فدية ككفارة. ويبدأ صيام شهر رمضان بظهور هلال بداية رمضان، وينتهي مع ظهور هلال شهر شوال، حيث ترتقب رؤية هلال شهر شوال في اليوم التاسع والعشرين من شهر رمضان، فإن ظهر الهلال تم الإعلان عن بداية عيد الفطر في اليوم التالي، وإن لم يظهر تم إكمال صيام شهر رمضان ثلاثين يومًا، ومن ثم يبدأ العيد في اليوم التالي لصيام اليوم الثلاثين. ومن مظاهر شهر الصيام أن الويغور وغيرهم من القوميات يدعون فيه الأهل والجيران لتناول طعام السحور بكل حماسة وود.

ومن فضائل شهر رمضان عند المسلمين أن الله عز وجل أنزل القرآن فيه إلى السماء، ثم أنزله متفرقًا على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام خلال ثلاثة وعشرين عامًا، ولذا فإن شهر رمضان يعد من أعظم الشهور وأفضلها، كما يحظى بحب واهتمام المسلمين. وفيما يتعلق بأصل عيد الفطر، ووفقًا للسجلات والوثائق الإسلامية، فإن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم كان، في بداية تأسيس الإسلام، يغتسل غسل العيد ويرتدى الملابس الجميلة النظيفة، ثم يجمع المسلمين في مكان شاسع خارج المدينة ويقيم صلاة العيد. ومن بين الأمور الواجبة على المسلمين قبل خروجهم لصلاة عيد الفطر هو إخراجهم لنوع من الزكاة يعرف بزكاة الفطر، وذلك من أجل تكفير ما اقترفوه من سيئات طوال هذا الشهر.

وفيما يتعلق بتاريخ "عيد الفطر"، فقد انتشرت حكايتان دينيتان في قومية الويغور، أولهما تروي



اجتماع أهالي القوميات المختلفة معا للرقص والغناء إحتفالاً بعيد الفطر

أن الناس قد أصابتهم مجاعة في زمن من الأزمنة، وكان الأطفال يبكون بشدة بسبب الجوع القاتل، وراودت الأم حيلة، حيث وضعت بعض الأحجار الصغيرة في قدر من الماء ووضعته على النار، ثم نادت على أطفالها وقالت لهم سأصنع لكم شيونغ كيتي ماكي (نوع من الطعام؛ عبارة عن دقيق الذرة، يصنع على هيئة الكعك، ثم يوضع في الماء حتى يصير حساءً ثم يؤكل). وكانت تأخذ ما بين الحين والآخر عودًا خشبيًا وتجعل أطفالها يتحسسون به ما بداخل القدر، حتى يتأكد أبناؤها بأن الطعام لم ينضج بعد، ومن ثم يصعب عليهم تناوله الآن لأن الدقيق لا يزال صلبًا. وكررت تلك العملية مرة تلو الأخرى، إلا أن أبناءها لم يستطيعوا الانتظار. وحاولت الأم مرة أخرى أن تسكتهم بنفس الطريقة إلا أن أمرًا عجيبًا قد حدث هذه المرة، فقد كشفت غطاء القدر وأعطت العود الخشبي لأبنائها حتى يتحسسوا الطعام، إلا أن العود الخشبي دخل هذه المرة في طعام حقيقي. وقد تملك الأم العجب والدهشة، ولكنها أعادت النظر مرة أخرى بكل انتباه فوجدت أن الحجارة التي وضعتها في القدر قد تحولت إلى طعام، ومن ثم أكلوا حتى شبعوا. ولهذا فقد اعتقد بعض الناس أن الإله قد منحهم تلك المعجزة من أجل أن يساعدهم وينقذهم، ومن ثم انتشر الخبر في كل مكان، وبدأوا يتبادلون التهاني لأن الله أنقذهم، كما استعانوا بشتى الأشكال الترفيهية للتعبير عن شكرهم لله. ومنذ ذلك الحين، بدأت الجماهير في الاحتفال بتلك الذكرى من كل عام مستخدمين تلك الأساليب التي تم استخدامها وقت حدوث تلك المعجزة، ثم توارثوها جيلاً

بعد جيل حتى أصبحت تقليدًا متبعًا إلى الآن.

أما القصة الأخرى فهي أن الناس كانوا يختبئون في الأزمنة القديمة في الغابات الجبلية تجنبًا لعدوان القبائل الأخرى، ولم يكن ليجرؤوا على طبخ الطعام بالنهار، لأنهم كانوا يخشون من تصاعد ألسنة الدخان ومن ثم يمكن اكتشافهم بسهولة، ولذا فقد كانوا ينتظرون قدوم الليل ثم يشعلوا النار ويطبخوا الطعام. وبمرور السنين أصبح هذا الأمر تقليدًا تتوارثه الأجيال جيلاً بعد الآخر.

وبعد نهاية شهر رمضان، يتجمع الناس صبيحة عيد الفطر في المسجد من أجل أداء صلاة العيد، ثم يذهبون بعد انتهاء الصلاة إلى المقابر من أجل زيارة أقاربهم الموتى، ثم يبدؤون بعد ذلك في القيام بفعاليات وأنشطة العيد الصاخبة. وتقوم كل أسرة في هذا العيد بإعداد أطعمة العيد الفاخرة، مثل السانغ تسي [1] والحلويات والمعجنات وغيرها، كما يرتدون ملابس العيد الفاخرة ويتزاورون، وكلما تقابلوا في ذلك اليوم تبادلوا التهاني مع بعضهم البعض، ثم يتشكلون في جماعات ذكورًا وإناثًا، صغارًا وكبارًا، ويقومون بالأنشطة الترفيهية، حيث إن جميع الأماكن الترفيهية تكون مفتوحة في آن واحد.



مسلمون قومية الويغور ينتشرون في الأنحاء من أجل شراء مستلزمات الاحتفال بعيد الفطر

[1] نوع من المعكرونة المقلية التي يمكن أن تراها في الحياة اليومية لقومية الهان والهوى والويغور والقازاق وغيرهم

وفي جنوب شينجيانغ يتناولون القصص الشعبية، حيث إن الكثير من هذه القصص تحمل مضمونًا دينيًا. وفي المساء، ومع حلول انتهاء الصيام، تقوم المساجد بقرع أجراس الإفطار، حيث تختلف تمامًا عن أجراس الإعلان عن الصيام، ومن ثم يمكنهم تناول الطعام والشراب وتبادل النكات والضحكات. ومن مظاهر الإفطار في هذا الشهر أن الكثير من الجيران يجتمعون سويًا على مائدة طعام واحدة، بل ويمكن للغرباء العابرين المشاركة في الطعام إذا كانوا جائعين، حيث يستمتعون بحسن الكرم والضيافة.

عيد الأضحى

"عيد القربان" هو الترجمة الصوتية لعيد الأضحى باللغة العربية، حيث إن كلمة العيد تشير إلى المهرجان أو الاحتفال، أما كلمة قربان فتشير إلى الأضحية أو الفداء، ولذا يمكن تسمية ذلك العيد بالعديد من الأسماء، كـ "عيد التضحية" و"عيد القربان" و"عيد النحر". ويعد هذا العيد من الأعياد الدينية للعديد من القوميات الصينية المسلمة مثل قومية الويغور وقومية هوي وقومية القازاق وقومية الأوزبك وقومية التتار وقومية القيرغيز وقومية سالار وقومية دونغشيانغ وقومية باوآن وغيرها من الأقليات القومية. وتطلق عليه قومية هوي اسم "العيد الكبير"، أما قومية الويغور فتطلق عليه "عيد القربان". ويأتي هذا العيد في اليوم العاشر من شهر ذي الحجة كل عام.

وقد ظهر عيد الأضحى بسبب بعض الأحداث الدينية التي وقعت في المنطقة العربية قديمًا. فقد شرع الإسلام فريضة الحج وهو أحد أركان الدين الإسلامي الخمسة التي يجب على المسلم أداؤها في العشر الأوائل من شهر ذي الحجة، وفي اليوم الأخير من تلك الأيام العشرة (أي يوم العاشر من شهر ذي الحجة) ينحرون الهدي (أبل أو أغنام أو أبقار). ويقع هذا اليوم تقريبًا بعد سبعين يومًا من عيد الفطر المبارك. ويرجع أصل عيد الأضحى المبارك إلى قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام. فقد ورد في الأثر أن سيدنا إبراهيم كان مخلصًا في عبادته لله، وكان يقدم الكثير من الأنعام قربانًا لله، وكان الناس يحسدونه على إخلاصه وطاعته، بل ويشكون في ذلك الإخلاص والإذعان لله تبارك وتعالي، ورد عليهم إبراهيم عليه السلام بأنه على استعداد كامل بتقديم الغالي والنفيس في سبيل الله، حتى ولو أمره الله بذبح ابنه لفعل دون أن يتردد لحظة. ومن أجل أن يثبت الله صدق كلام نبيه إبراهيم، فقد جعله يرى مرات عدة في منامه أنه يذبح ابنه إسماعيل عليه السلام. وتوجه إبراهيم عليه السلام إلى ابنه ليخبره الأمر، ثم أخذه وذهب به إلى جبل منى بمكة. وفي طريقهم ظهر أمامهم إبليس مرات عديدة، وأوعز إلى إسماعيل بالفرار ولكنه رفض وسوسة إبليس وأخذ بضع حصوات ورماه بها، ثم وضع إبراهيم ابنه إسماعيل على

الأرض، ورضخ الصغير لما أراده منه أبوه، إرضاءً لأمر ربه وأبيه. وما أن رفع إبراهيم سكينه ليذبح ابنه، حتى أنزل الله كبشًا من السماء فداءً لإسماعيل عليه السلام. ومنذ ذلك الحين، ظهرت عادة ذبح الأنعام كل عام عند العرب قديمًا، ولما أرسل الله النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم بالبعثة، أقر النبي محمد تلك العادة بل وحافظ عليها. ثم شرع الإسلام اليوم العاشر من شهر ذي الحجة ليكون عيد الأضحى، وبعدها أصبح عيدًا مشتركًا لجميع الأمم والقوميات التي تدين بالإسلام. علاوة على ذلك، فإن الفرق بين السنة الميلادية والهجرية في الصين بل وفي العالم كله حوالي إحدى عشر يومًا، لذا يختلف التقويم الميلادي لعيد الأضحى في الصين كل عام.

ووفقًا للعادات والتقاليد، فإن كل أسرة مسلمة يتعين عليها تنظيف المنزل قبل العيد تنظيفًا جيدًا، وشراء ملابس العيد الفاخرة، بالإضافة إلى شراء الأضحية التي سيتم ذبحها في العيد. أما النساء فيقمن بإعداد مجموعة متنوعة من الكعك والسانغ تسي والخبز، كما يقمن بشراء أنواع مختلفة من الحلويات وغيرها من المأكولات استعدادًا للعيد. وفي صباح يوم عيد الأضحى، يغتسل الرجال ويلبسوا أجمل الثياب ويتوجهوا إلى المسجد لصلاة العيد، وبعدها يقوموا بزيارة المقابر. ووفقًا للتقاليد الإسلامية، فإن أفضل الأوقات لنحر الأضحية هو صباح يوم العيد بعد صلاة العيد، حيث إن أول الأفعال التي يقوم بها الرجال بعد عودتهم إلى المنزل هو ذبح الأضحية. وفي صباح اليوم الأول من أيام العيد تكون جميع الأسر المسلمة مشغولة للغاية في ذبح الأضحية، ثم يقومون بسلق اللحم وطبخ أمعاء الخرفان ورؤوسها، وتكون الأجواء مفعمة بالفرحة والسرور. ويمكن لكل أسرة أن تذبح خروفًا واحدًا، كما يمكن أن يقوموا بذبح الأبقار أو الإبل، ويجب في الأضحية التي يذبحونها أن تكون سليمة جيدة، وليست مكسورة القرون، ولا بها عيوب. كما لا يجوز في الأنعام التي يراد ذبحها أن تكون صغيرة السن، بل لابد وأن يكون الخروف أو الماعز قد بلغا عامًا، والأبقار أو الجاموس قد تجاوزت السنتين، والإبل قد تجاوزت الخمس سنين. كما يستحب لصاحب الأضحية أن يكون حاضرًا وقت الذبح، ثم يذكر اسم الله عليها. ولا يمكن بأي حال من الأحوال بيع لحم الأضحية، بل تقسم إلى ثلاثة أجزاء، جزء منها يكون صدقة توزع على الأيتام والفقراء، والجزء الثاني يتم توزيعه على الجيران وإطعام الضيوف الذين يأتون للزيارة، أما الجزء الثالث فيكون لبيت صاحب الأضحية. وبعد الانتهاء من عملية ذبح الأضحية وتقطيع عظامها ولحومها ووضعها في القدور، يتوجه الرجال لزيارة بعضهم البعض ويهنئون أنفسهم بعيد الأضحى المبارك، أما النساء فيلزمن المنزل من أجل طبخ اللحوم وإعداد أطعمة العيد وتحضير الشاي، بل ويكن على أهبة الاستعداد لاستقبال الضيوف. وللعلم، فمع تطور المجتمع اليوم، بدأت عادة الصدقة تدريجيًا في الزوال. ومع قدوم الضيوف من أجل المعايدة والتهنئة بمناسبة العيد، فإنه يتم تقطيع أجزاء

من الأضحية التي قام صاحب البيت بذبحها لإعطائها للضيوف. وخلال فترة العيد، تضع كل أسرة طبقًا كبيرًا مليئًا باللحوم الشهية، بالإضافة إلى طعام السانغ تسي المقلي، كما تضع حولهما مجموعة من الأطباق الصغيرة بها أنواع كثيرة من الكعك والحلويات وغيرها. كما يرتدون أفضل الملابس والحلي، ويتزاورون للتهنئة بمناسبة العيد، ويستقبلون الضيوف القادمين من أجل تقديم التهاني بكل حفاوة. وتقام خلال فترة العيد، سواء كانت مدينة أو قرية، حفلات ترفيهية ضخمة، لا سيما تلك التي تنضوي تحت فن المشربية. ويشتمل مضمونها الرئيسي على ثلاثة أنواع من فنون الرقص والغناء، تتمثل في "الصانا" (رقص جماعي لرجال قومية الويغور)، و"السنام" (رقص غنائي خاص بنساء قومية الويغور)، و"الدولانغ سنام" (رقص زوجي أو جماعي على نحو واسع). ويرقص أهل قومية الويغور في جو مفعم بالسعادة والفرح، بصرف النظر عن العمر والجنس.

وتستمر فعاليات العيد لمدة ثلاثة أيام، حيث يتم في اليوم الأول زيارة الأسر التي توفي أحد أبنائها قريبًا أو تعرضت لأي نوع من الأحداث لمعايدتهم ومواساتهم. أما اليوم الثاني فهو لزيارة أهل الزوج والزوجة من أجل معايدتهم. أما اليوم الثالث فهو لزيارة الجيران وكبار السن. وفي مثل تلك الفعاليات،



النساء الويغوريات في مركز تاوجياقونغ بهامي بشينجيانغ يرقصن "مسرف"

وإلى جانب زيارة الزوج وزوجته لأهلهم وكبار السن، يقوم الرجال والنساء بزيارة أهليهم، لكن على نحو منفصل، الرجال وحدهم والنساء وحدهم. وفي التقاليد الشعبية الويغورية، لا يسمح باختلاط النساء بالرجال. ثم بعد ذلك يزور الأصدقاء بعضهم البعض، ويتبادلون التهنئة، ويتناولون الطعام والشراب، ثم يقومون بالرقص والغناء.

أما بخصوص تبادل التهاني العيدية الشعبية الويغورية، فإنها تعد أمرًا هامًا في قواعد تعزيز الروابط الاجتماعية الويغورية. وقد أصبح عيد الأضحى حاليًا أحد الأعياد التقليدية لقومية الويغور وغيرها من الأقليات القومية بشينجيانغ، ولهذا يحصل جميع العمال والموظفين من مختلف القوميات الذين يعيشون بمنطقة شينجيانغ على إجازة ثلاثة أيام احتفالا بمناسبة عيد الأضحى.

عيد النيروز

يعد النيروز واحدًا من الأعياد التي تتمتع بأهمية كبيرة عند أبناء قومية القرغيز، وهو رأس السنة عندهم. كما يعد من الأعياد التراثية التي ورثتها قومية القرغيز عن أجدادهم الذين كانوا يعبدون النار.

وفيما يتعلق بأصل عيد النيروز، فقد انتشرت إحدى الأساطير عن قومية القرغيز...

فقد عاشت قومية القرغيز، في زمن من الأزمنة البعيدة، فوق سفوح المراعي الشاسعة الخصبة، وكانوا يعيشون حياة سعيدة رغدة. وفي يوم من الأيام، تعرضت القرى البدوية القرغيزية للسلب والنهب على أيدي قبائل الكالماك تحت قيادة اثنين من خاناتها، بل وأعلنوا أنه إذا لم تستلم القرية بأكملها، فإنهم سيرسلون تنينين عملاقين لقتل جميع أهل القرغيز، ومن ثم أصابت القرية الحيرة تجاه هذا العدو الغاشم. وفي ذلك الوقت هب شيخ كبير يدعى نيروز وقاد مواطني القرغيز في نضال مرير وشاق مع قبائل الكالماك. ولكن نظرًا لكثرة عدة وعتاد قبائل الكالماك، فقد هاجموا ديار القرغيز بكل وحشية، ولذا اضطر القرغيز حينها للهروب إلى الجبال. ومع ذلك، فإن هذا الشيخ الكبير الذي يدعى نيروزًا لم يتقبل الهزيمة، بل اتصل بمجموعات من القبائل الأخرى، ومن ثم شكلوا جيشًا قويًا مشتركًا لمحاربة الغزاة. وتولى نيروز قيادة الجيش، وبدأوا في جمع أعشاب سامة تنبت على سفح جبال بامير، ثم قاموا بغلي تلك الأعشاب بعد إضافة الماء إليها، ثم أخذوا السائل السام وخلطوه بالدقيق وصنعوا منه خبزًا مقليًا، ثم قدموه إلى قبائل الكالماك في الواحد والعشرين من شهر مارس. وأشعل القيرغيز النيران فوق سفح الجبل وراقبوا الظروف بكل هدوء. وعادت قبائل الكالماك التي كانت تشعر بالجوع والعطش فوجدوا أمامهم الخبز المقلي الذي كان مخلوطًا بالسم، وعندما أكلوا من ذلك الخبز المسموم سقطوا كحبات القمح، وحينها

نزل القرغيز من فوق سفح الجبل كماء منهمر، وأبادت قومية القرغيز كل أبناء قبائل الكالماك، ومن ثم استعادوا حياتهم الهانئة الرغدة التي كانوا يعيشونها فوق سفوح المراعي والمروج الشاسعة الخصبة. وبعدها ومن أجل تخليد ذكرى البطل نيروز، قاموا بإشعال النار في اليوم الحادي والعشرين من مارس من كل عام احتفالاً بهذا اليوم السعيد، كما أطلقوا على هذا اليوم اسم "عيد النيروز".

وفي العشر الأواخر من شهر فبراير وحتى العشر الأواسط من شهر مارس يتم الانتهاء تمامًا من موسم ولادة الأغنام، وفي تلك الفترة يتم حساب عدد رؤوس الأغنام والمواشي التي يمتلكونها وغيرها من الممتلكات الأخرى، ثم يقومون بالاحتفال بالحصاد الوفير لذلك العام والاستعداد لإنتاج العام التالي. وفي المناطق الرعوية يتم إشعال كومة كبيرة من النيران، ومن ثم تقفز من فوقها الجماهير والمواشي، والهدف منها هو طرد تعاسة وأمراض وكوارث السنة الماضية. ثم يحيط الناس بتلك النيران ويبدؤون في غناء أغاني عيد النيروز ترحيبًا بأماني وسعادة العام الجديد، ثم يطلبون من النار المقدسة مباركة الحصاد الوفير وزيادة أعداد المواشي في العام المقبل.

ويعتقد القرغيز أن السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والمياه وغيرها من الكائنات لها إله خاص بها، وكل إله من تلك الآلهة يمكنه أن يصيب البشر بالكوارث أو يمنحهم البركات. كما يعتقدون أن حركة كل شيء في هذه الدنيا من بشر ومخلوقات تتوقف على النار. ويعتقدون أيضًا أن النار هي الحياة، وأنها منبع كل الثروات، وبها يحظى الناس بالدفء ويتجنبون البرودة، فضلاً عن الحماسة التي تعطيهم إياها. وعندما ينتقل شباب القيرغيز إلى منزل الزوجية الجديد لا بد وأن يأخذ مشعلاً من منزله القديم ليضيء به منزله الجديد. علاوة على ذلك، فإن القيرغيز يقومون بتكديس كومة من الأخشاب المتنوعة والمختلفة أمام منازلهم، وكأنها صورة من مشاهد يومية مفعمة بالحياة قد زينت تلك المروج الشاسعة. ومع تقدم العلوم والتكنولوجيا، وبالرغم من اعتماد الكثير من البدو على الكهرباء والطاقة الشمسية في حياتهم اليومية، إلا أن عبادة النار لا تزال كأي وقت مضى، حيث يقومون كل عام بتقديم القرابين لها. وعند حلول عيد النيروز، فإنهم يرتدون الملابس النظيفة الجميلة رجالاً كانوا أو نساءً، ثم يرقصون أمام النار، بل ويقفزون من فوقها طلبًا لطهارة القلب والحصول على بركة النار المقدسة، وبعد أن ينتهوا من صلاتهم ودعائهم، يزعمون أنه بإمكانهم الآن تجنب الكوارث والحصول على السعادة وتحقيق كل الآمال.

أما فيما يتعلق بالأنشطة الترفيهية الخاصة بعيد النيروز، فتراهم ينشدون أغاني ملحمة ماناسي وتانتشانغ، ويستخدمون آلة الكوموزي، بالإضافة إلى الحوارات الغنائية الرجالية والنسائية والرقص الجماعي بين النساء والرجال وغيرها من الفنون التي تتمتع بخصائص قومية فريدة. أما الألعاب الترفيهية

الشعبية، فتتمثل في ارتداء أحد الأشخاص لملابس أحد كبار السن في فصل الشتاء، وبعد تقديم العرض يقوم بخلع الملابس القطنية ويرتدي ملابس خفيفة لاستقبال الربيع. ويعد تناول "كه تشيا ①" أحد الطقوس التي لا يمكن الاستغناء عنه في عيد النيروز. وتحتوي تلك العصيدة على القمح والملح والذرة واللحوم والبصل والزبدة وغيرها من المكونات التي تزيد عن سبعة أنواع. ويقوم أهل القرغيز أثناء تناوله بطلب البركة والسعادة والسلامة في السنة المقبلة. وبعد الانتهاء من الطعام، يقوم الشيخ بالدعاء من أجل أن تنالهم السلامة والبركة طوال العام.

وبعد انتهاء العيد، يبدؤون في الاستعداد لبذر حبوب الزراعة في موسم الربيع، أما البدو فيتحولون إلى المراعي الصيفية من أجل أن يبدأوا حياة رعوية جديدة.

عيد ووتشي باي

تحتفل قومية تاهور التي تعيش بمنطقة شينجيانغ بعيدها التقليدي الذي يسمى باسم "عيد ووتشي باي" وذلك في اليوم الثامن من الشهر السادس بالسنة القمرية الصينية. وقد نشأ هذا العيد من مهرجان أوفو، وهو أحد فعاليات تقديم القرابين للآلهة، ويطلق أبناء قومية تاهور على تلك الفعاليات اسم "ووتشي باي". ويحظى أبناء قومية تاهور وقومية المنغول بعادات وتقاليد مهرجان أوفو ذاتها على مر التاريخ، فقد ازدهرت فعاليات أوفو عند المنغول وتطورت تدريجيًا حتى صارت إلى ما يعرف بـ"مهرجان نادام"، أما قومية تاهور فقد تمسكت بعاداتها وتقاليدها في إقامة فعاليات مهرجان أوفو، بل وشكلت عيدًا تقليديًا خاصًا بها. وفي يونيو عام 2010م، تم إدراج عيد "ووتشي باي" في سجل التراث الثقافي غير المادي على المستوى الوطني.

وتعني كلمة "تاهور" المستصلح، ويعيش أبناء قومية تاهور أساسًا في بلدة آسير تاهور بمدينة تاتشينغ في منطقة شينجيانغ. وتعني "أوفو" عند قومية تاهور أكوام الأحجار، حيث يتم تقديم القرابين إليها باعتبارها تجسيد للآلهة. ويشتغل أبناء قومية تاهور بالزراعة والرعي، ومن أجل الحصول على محصول زراعي وفير وإنتاج حيواني غزير، فإنهم يقومون كل عام بإقامة فعاليات أوفو من أجل الدعاء والصلاة للحصول على بركة الآلهة، ومن ثم يزدهر الإنتاج الحيواني ويزيد نسل الإنسان وتسود الحياة الرغدة.

وعلى الصعيد التاريخي، فإن توقيت عيد "ووتشي باي" ليس محددًا، حيث إن من يقوم على تحديد

① نوع من الطعام يتكون من الشعير والقمح والبازلاء وفول الصويا والفول والأرز والدخن، ثم يضاف إليه اللحم، وبعد طبخه وتجهيزه يضاف إليه الزبد والجزر.

ميعاده هو الباكتشي (شيخ القبيلة) وفق الظروف المناخية آنذاك، أما الآن فقد تم تحديده ليكون في اليوم الثامن من الشهر السادس بالتقويم القمري الصيني. وبعد مرور قرنين ونصف، حظي عيد "ووتشي باي" عند أبناء قومية تاهور بمفهوم عصري جديد، فبالإضافة إلى فعاليات تقديم القرابين للآلهة التي يقوم بها أبناء القومية، فإنهم يتجمعون سويًا ويبدأون في تقديم مجموعة متنوعة ومختلفة من برامج الرقص والغناء والرياضة، كما يعرضون المظاهر الروحية للتضامن والانسجام الذي تتمتع به قومية تاهور، فضلاً عن سعيها إلى الحياة الجميلة.

وفي صباح يوم عيد "ووتشي باي"، يشد الرجال والنساء والكبار والصغار الذين يرتدون الأزياء الوطنية أقمشة ملونة على خصورهم، كما يجب على الجميع أن يضيفوا حجرًا إلى أوفو، إلى جانب تقديم وعاء من النبيذ، تعبيرًا عن الإخلاص الذي يكنه الجميع للآلهة، ثم يتوجهون بالدعاء من أجل الحصاد الوفير وزيادة النسل في الأولاد والمواشي، وهكذا يبدأ العيد. كما يجب على الجميع أن ينظفوا فناء بيوتهم، ويعدوا المأكولات الفخمة، ويرتدوا أزياء العيد الفاخرة، ثم يتجمعون في مجموعات، حيث يرقصون الرقصات المرحة ويغنون أغاني الرحلات القديمة.

وفي يوم العيد، يفد أبناء قومية تاهور الذين يعيشون في بلدة آسير وتشيا شيا وعبد الله وغيرها من المناطق بمدينة تاتشانغ إلى آسير للمشاركة في فعاليات هذا المهرجان. وتعتبر بلدة آسير الموطن الوحيد لقومية تاهور في شينجيانغ، وهي إحدى مناطق مدينة تاتشانغ. ويعتمد المضمون الرئيسي للعيد على إقامة فعاليات تقديم القرابين في مهرجان أوفو، إلى جانب إقامة جميع الفعاليات الترفيهية التقليدية، وذلك من أجل إضفاء جو من المرح والسعادة على العيد.

وبعد بداية العيد، يرأس "الباكتشي"، (شيخ القبيلة، وتعني حاليًا السيد والأستاذ والمثقف)، الجميع من أجل إقامة الدورة الأولى من فعاليات تقديم القرابين، ثم يتم بعدها اختيار جانب إحدى القنوات المائية من أجل ذبح المواشي. وبعد ذبح المواشي، يبدأ الناس في طبخ اللحوم وإعداد مأكولات العيد. ويرتكز المضمون الحيوي للعيد على مساعدة الجماهير في حل مشاكلها وتحسين التنمية الإنتاجية ورفع مستوى معيشة الأسر المحتاجة. ومن ثم يجود الباكتشي والجميع بالمال من أجل مساعدة تلك الأسر الفقيرة، الأمر الذي يجعل فعاليات هذا العيد تزيد من تضامن القومية وتماسكها.

وتتمتع قومية تاهور بالعادات التقليدية التي ترتكز على العديد من فعاليات تقديم القرابين المتنوعة، حيث تعد فعاليات تقديم القرابين الخاصة بمهرجان أوفو لقومية تاهور واحدة من أهم تلك الفعاليات. ويتمثل أوفو قومية تاهور في مذبح على شكل هرمي يتم تكوينه من الحجارة على سفح جبلي مرتفع به ماء، وفي المنتصف يتم وضع أغصان شجر الصفصاف للإشارة إلى آلهة السماء والأرض والجبال

والأنهار. وتتمثل تقديم القرابين الأساسية في أنشطة الشامانية؛ وهي عبارة عن كاهن يرتدي ملابس ملونة، ويتمتم ببعض التعويذات والأدعية، ويستخدم أساليب متنوعة من أجل التخلص من الشرور، وجعل أجواء القرية مناسبة للزراعة، وجعل الجماهير تتمتع بالسلامة والأمان. وبعد بداية تقديم القرابين للآلهة، تراهم وهم يجمعون الأحجار المتناثرة ويقومون بترتيبها جيدًا، ثم يربطون الأشرطة القماشية الحمراء (التي تشير إلى الشمس) والزرقاء (التي تشير إلى السماء) والصفراء (التي تشير إلى الأرض) على أغصان الصفصاف المحيطة بأوفو تاهور، ثم ينحنون أمامها إجلالاً وإكبارًا. وبعدها تتبع الجماهير اليادقين (الكاهن الشاماني) في التوجه لتحية مذبح تقديم القرابين، ويطوفون ثلاث مرات حول أوفو تاهور طلبًا للبركة والأمان. وبعد انتهاء فعاليات تقديم القرابين، يقف الناس أمام النصب التذكاري على حدود تاهور لإقامة الاحتفالات الضخمة، وذلك من أجل إحياء ذكرى الإنجازات العظيمة التي حققها أسلافهم والمضي قدمًا نحو توسيع الثقافة التقليدية لقومية تاهور.

وبعد انتهاء العروض الرائعة، تبدأ الجماهير في تناول أطعمة العيد. ويجلس الجميع حول السجادة واللباد المملوء برسوم الأزهار لتناول اللحوم وشرب الخمر. وقبل أكل اللحوم، يقومون بطقوس تقديم اللحوم إلى الكبار. ويأخذ الشباب لحوم كتف الخروف والفخذ لتقديمها إلى كبار السن، سواء كانوا رجالاً أو نساءً، ويتمنون دوام الصحة والعافية لهم، فضلاً عن أمنياتهم بازدهار القرية، وفي الوقت ذاته يقدم كبار السن من الرجال والنساء بركاتهم إلى أهل القرية. وبعد إجراء هذه الفعاليات التقليدية، يبدأ الجميع في شرب النبيذ والغناء وتناول أطعمة العيد اللذيذة.

وتعتبر قومية تاهور واحدة من القوميات التي تتقن الرقص والغناء. وعند حلول العيد، يستغلون كل الفرص من أجل عرض مواهبهم، حيث يعزفون موسيقى قومية تاهور التقليدية، ويرقص الفتيان والفتيات الرقصات التقليدية التي تتمثل في رقصة "هانبي" ورقصة "بالبي" بمصاحبة الموسيقي، كما يقوم بعض الأشخاص بغناء الأغاني الشعبية التقليدية لقومية تاهور والتي تتمتع بغزارة المضمون، ومن ثم تجعل جو العيد مليئًا بالبهجة والسعادة. علاوة على ذلك، فإنهم يقيمون أيضًا مجموعة من المنافسات كسباق الخيول والمصارعة والرماية وشد الحبل ومنافسات قوة الأعناق بين الرجال والنساء وغيرها من المنافسات التقليدية التي تتمتع بالحماسة الشديدة وتُغرق الجميع في جو مهرجاني سعيد متناغم.

عيد بيليك

يعد عيد بيليك الخاص بقومية الطاجيك أحد الأعياد الضخمة. وتعني كلمة بيليك في اللغة

الصينية "المصباح" أو "فتيل المصباح". ومع ذلك، فليس المقصود من مصباح هذا العيد المصباح العادي الذي يعرفه جميعنا، بل المقصود به الشمعة الزيتية والتي تتكون من قطن مغموس في الزيت وملفوف على غصن جاف، وليس الغرض منه الإضاءة، بل الغرض منه هو التخلص من الشرور وطلب البركة والبحث عن الأرواح من أجل تقديم القرابين، ولذا فتسميته باسم "عيد الشمعة الزيتية" هو الأنسب. وقبل دخول قومية الطاجيك في الإسلام، فقد اعتنقت الزرادشتية لفترة طويلة. وتعتبر الزرادشتية واحدة من الأديان البدائية القديمة التي تقدس النار وتدين لها، وترى أن للنار روحًا يمكن التواصل معها، ويمكن من خلال مجموعة مختلفة من الطقوس التخلص من الشرور والكوارث والحصول على السعادة والبركة. وبعد اعتناق قومية الطاجيك للإسلام، انتشرت عبادة النار باعتبارها واحدة من العادات القومية فقط.

ولعيد فتيل المصباح يومان، اليوم الأول هو "يوم بيليك المنزلي"، واليوم الثاني هو "بيليك في المقبرة"، حيث يتم الاحتفال بذلك العيد في اليوم الرابع عشر والخامس عشر من شهر شعبان.

وفي مساء اليوم الأول من عيد فتيل المصباح، تمنح ربة المنزل شمعتين زيتيتين إلى كل فرد من أفراد الأسر، وفي اليوم الثاني يتم إحضار شمعة زيتية ووضعها على القبر. وفي الليل، يتم وضع تلك الشمعة الزيتية المصنوعة جيدًا في حوض من الرمل وإضاءتها، ثم تحيط بها أفراد الأسرة. ولضمان حضور الجميع، يقوم رب الأسرة بتفقد أسماء جميع أفراد المنزل، ثم تتقدم أفراد الأسرة بالدعاء بكل إخلاص من أجل تجنب الكوارث والحصول على السعادة. وبعد انتهاء شعيرة الدعاء، يبدأون في تناول أطعمة العيد.

وفي اليوم الثاني، وهو يوم "بيليك في المقبرة"، يتزاور الجيران والأصدقاء الجدد فيما بينهم من أجل تبادل التهاني، كما يقوم رب الأسرة بضيافة الجميع بتقديم الكعك والحلويات إليهم. وبالرغم من أن الغناء والرقص من الفعاليات التي لا يمكن الاستغناء عنها في العيد، إلا أن مسابقات رقص الخيول وإمساك الخراف تعد من الفعاليات الشائعة في ذلك العيد. وبعد انتهاء شعائر التأبين، يجمع الأفراد المتوجهون إلى مقبرة واحدة الأطعمة التي معهم ويتم توزيعها على الأفراد الموجودين بالتساوي من قبل فرد يتمتع بالأخلاق الحسنة والسمعة الطيبة.

ويذبح الطاجيك الأغنام فوق سقف البيت، ثم ينثرون دم الذبائح على جدران المنزل. وعند الذبح يضعون دم الذبيحة على وجوه الأطفال. وبالرغم من أن الإسلام يستحسن ذبح الأضاحي، إلا أن ذبحها من أجل التخلص من الشرور وغيرها تعد أحد العادات المتوارثة من الأديان البدائية وليست من الإسلام في شيء.

ويتمتع الطاجيك ببعض العادات التي تتمثل في نثر ذرات الدقيق عند إقامة الفعاليات الضخمة من أجل التخلص من الشرور والحصول على السعادة، وناثرة الدقيق لابد أن تكون هي السيدة الأكبر

في الأسرة. ويتم نثر الدقيق ليصل إلى أعلى نقطة في جدران المنزل، وهذا يعني عدم وجود أي مكان في ذلك المنزل من الممكن أن يختبئ فيه الشر، كما يتم نثر الدقيق أيضًا على كتف الجماهير، وذلك من أجل تقديم البركة واليمن في الأمور الشخصية لذلك الشخص الذي نثر الدقيق عليه.

وعند غروب الشمس، يجتمع الناس أمام المقابر لإشعال الفتيلة الزيتية للمقبرة من أجل تخليد ذكرى أقاربهم الموتى وتقديم الاحترام والبركة لهم، إلى جانب تقديم المأكولات والأطعمة على روح أقاربهم الموتى.

وبعد انتهاء "بيليك في المقبرة"، تشعل كل أسرة فتيلة زيتية على سقف المنزل، أما الأطفال فيقومون بإشعال النار خارج المنزل ويبدأون في اللهو واللعب، ثم تقوم كل أسرة بإعداد أطعمة "بيليك في المقبرة" التي ستقام فعاليتها في الليل.

عيد الميلاد (ميلاد السيد المسيح)

تحتفل القومية الروسية في شينجيانغ، في السابع من يناير من كل عام، بعيد ميلاد المسيح، حيث يعتقدون أن عيد ميلاد المسيح يبدأ ببداية العام. ويرتكز المضمون الرئيسي لطقوس وفعاليات عيد الميلاد المسيح على طلب السعادة والبركات في السنة المقبلة.

وفي مساء يوم السادس من يناير من كل عام يتم الاحتفال بيوم ميلاد المسيح، حيث يتم الالتزام بمجموعة من العادات والشعائر الدينية، ثم يسدل الستار على عيد ميلاد المسيح بتلك الفعاليات. وتتوجه القومية الروسية التي تدين بالأرثوذكسية إلى الكنيسة للقيام بالصلاة وإنشاد ترانيم عيد الميلاد وتقديم التبرعات. ويقال إن الأغنياء الذين يساعدون الفقراء في ذلك اليوم من المستحيل أن يصبحوا في أي يوم من الأيام فقراء. وحسب التقاليد القديمة، تقوم القومية الروسية بتناول الطعام ليلة ميلاد المسيح وحتى الصباح، وبعد الانتهاء من الطعام يشاركون جميعًا في حفلة عيد الميلاد.

ومن الجدير بالذكر أن فلاحي القومية الروسية الذين عاشوا في قرية إيلي وتاتشينغ كانوا يقيمون فعاليات بابا نويل، حيث كانوا يدعون بابا نويل قائلين: "استرح في الصيف وتعال في الشتاء"؛ وذلك لأن الفلاحين يعرفون أن برودة الربيع أمر طبيعي، لذلك فإنهم يقدمون الضيافة رمزيًا إلى بابا نويل من خلال دعوتهم له بعدم تعرض البلاد للجليد في فصل الربيع حتى لا يتضرر القمح وغيره من المحاصيل.

وفي عشية عيد ميلاد المسيح، تقوم كل أسرة بإعداد شجرة عيد الميلاد، حيث يقومون بوضع نجوم سداسية على شجرة عيد الميلاد. وتحكي الأسطورة أن المسيح قد ولد عند منتصف الليل، وفي



الاحتفال بعيد الميلاد المسيحي في الكنيسة الكاثوليكية بأورومتشي

ذلك الحين عزفت الموسيقى ونزلت الملائكة وانتشرت في كل مكان، وظهرت نجمة سداسية لامعة في السماء. وهناك بعض الأماكن التي لم تصلها شجرة الصنوبر، ومن ثم تستخدم الأقلية الروسية ألواحًا خشبية من أجل عمل رفوف هرمية الشكل، ويطلونها باللون الأخضر حتى تصير وكأنها أشجار من الصنوبر. علاوة على ذلك، فإن هناك أسطورة أخرى تتعلق بشجرة عيد الميلاد تفيد أن أحد الفلاحين قام بإكرام طفل فقير، وقبل مغادرة هذا الطفل، قام بقطع غصن شجرة وغرسه في الأرض، ثم تحول هذا الغصن إلى شجرة على الفور، ثم قال الطفل للرجل: "في كل عام لابد من عمل مثل هذا، وعليك أن تغطي أغصان هذه الشجرة بالهدايا، وسأترك لك هذه الشجرة مكافأة لصنيعك". ولا تزال تحظى تلك الأسطورة بالانتشار بين أبناء القومية الروسية في شينجيانغ حتى اليوم.

وقبل حلول عيد ميلاد المسيح، يتعين على أبناء القومية الروسية تنظيف منازلهم وغسل ملابسهم وإعداد الخبز وعمل المربى والحلويات وذبح الدجاج والإوز وغيرها من أجل استخدامها ليلة عيد الميلاد. وتتجمع أفراد الأسرة في تلك الليلة، حيث يتناولون المأكولات والأطعمة الفاخرة، ووفقًا للعادات والتقاليد، يتم إعداد مائدة من الطعام تحتوي على الدجاج أو الإوز والشمبانيا. وبعد العشاء، يغني الأطفال وهم يدورون حول شجرة عيد الميلاد، ثم يقص الكبار على أطفالهم قصة بابا نويل قبل النوم. ويقال إن بابا نويل شيخ ذو لحية بيضاء يرتدي رداءً أحمر، ويدعى القديس نيكولاس. وكان في الحقيقة أسقفًا لإحدى مدن آسيا الصغرى، وبعد ذلك أصبح قديسًا، وفي كل عام يركب مزلجة تجرها الغزلان حاملاً معه الهدايا، حيث يأتي من الشمال ويدخل البيوت عبر المدخنة، ثم يقوم بتعليق هدايا عيد ميلاد المسيح في جوارب الأطفال الجديدة الموجودة على رأس السرير. ويدخل الأطفال عالم الأحلام وهم يحملون الذكريات الجميلة المتعلقة ببابا نويل، أما الكبار فيحضرون هدايا عيد الميلاد بما فيها الحلويات والألعاب وغيرها بدلاً من بابا نويل.

وفي ليلة عيد الميلاد، يقوم الشباب بإحضار أقنعة الأبقار والخراف والدببة وغيرها من الحيوانات ويطوفون في جماعات على البيوت حاملين سلالاً على ظهورهم من أجل طلب الصدقات، حيث يطرقون أبواب المنازل (ويكون في الغالب معروفًا)، ويتم استقبالهم بكل ترحاب. وبعد الدخول إلى المنزل يبدأون في إنشاد ترانيم عيد الميلاد، ثم يدعون لصاحب المنزل وأسرته بالسعادة والبركة، ويقدم لهم رب البيت الشاي والكعك، كما يضع في تلك السلال بعض المأكولات. وبعد زيارة عدة منازل، تكون الحقيبة أو السلة قد امتلأت، ومن ثم يبدأون في تقسيم المأكولات التي جمعوها ثم يحتفلون بليلة عيد الميلاد.

وخلال عشاء ليلة عيد ميلاد المسيح، يتم إشعال النيران على رأس حقول القرية، حيث يحتفل الناس بها باعتبارها عيد ميلاد الشمس وبداية سنة الحصاد الجديدة. كما يعتقد الفلاحون أن إشعال النار يرمز إلى نمو القمح جيدًا والحصول على الحصاد الوفير في السنة الجديدة.